AL-MUJTAMA'A
المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2096)
(السنة 46)
رمضان 1437هـ
يونيو 2016م
www.mugtama.com
@mugtama
facebook.com/mugtama
@mugtama

اللقاء التوديعي لعائلة زعيم الجماعة الإسلامية ببنجلاديش قبل إعدامه

استلهام روح رمضان في إحياء الأمة لدورها الحضاري

الفلوجة.. بين نيران الطائفية والخلافات السياسية

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

راشد الغنوشي:

بالثورة انتهت معركة الهوية والديمقراطية وانتقلنا لمعركة التنمية

الكويت ٧٥٠ فلساً. السعودية ١٠ ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر ١٠ ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني. لبنان ٤٥٠٠ ليرة. المغرب ٢٣ درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

فضيلة الشيخ / أحمد القطان

أخـــواني .... أخـــواتي

السجـــناء والســـجينات هُـــمْ أهـــلنا

قرّة عينَا.. تعالوا نتعاون ... فـرج عنهم...

العـــيد مقبـــل .. إحـــنا في رمضـــان...

دخـــلوا الفرحـــة علـــى قلـــوبهـــم.

تبرع.. عن طريق الاستقطاع

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل : 24834414 - 94064060 - 94064061

اللجنة النسائية : 94064069

www.altkaful.com

جمعية التكافل لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢٠٩٦) - (السنة ٤٧)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي . الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

المخرج الفني
محمد أبو زيد

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي : الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة . الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
22519539 - 22514180
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

ملف العدد

استلهام روح رمضان في إحياء الأمة لدورها الحضاري

- «حدس» تشارك في برلمان 2017 8
- الغنوشي: بالثورة انتهت معركة الهوية والديمقراطية وانتقلنا لمعركة التنمية... 10
- الثورة السورية تواجه سلسلة من المنعطفات في عامها السادس 59
- «تخفيض العتبة» في الانتخابات المغربية 60
- موريتانيا: خطاب رئاسي يعيد أزمة الرق 61
- تركيا: ملامح القيادة الجديدة للعدالة والتنمية 62
- الجزائر: مخاوف من عودة الاستدانة الخارجية 65
- «النكبة» الفلسطينية مازالت مستمرة 66
- لبنان: الانتخابات البلدية بطرابلس.. رسائل ودلائل..... 69
- اللقاء التوديعي لعائلة زعيم الجماعة الإسلامية ببنجلاديش..... 70
- شاهين: نتمنى من الحكومة التركية منح الجنسية للاجئين..... 74
- كتاب«مقاصد المقاصد.. الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة»..... 78

الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج والدول العربية:
10 دنانير كويتية أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
60 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات والشركات:
30 ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
75 دولاراً أمريكياً.
الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw
السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

آية العدد

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)﴾

(سورة آل عمران)

ملفات خاصة عن

فتاوى - اقتصاد إسلامي - تنمية ذاتية

مقالات

رمضان.. وقضايا الأمة
د. عامر البوسلامة 20

رمضان.. منهج لبناء الأمة والمجتمعات الإسلامية على أسس ظافرة
د. حلمي محمد القاعود 29

سمعة الدعاة تتحدى ظلم الطغاة!
د. يوسف السند 73

العقل السُّني العراقي.. وتحديات الوعي
محمد سالم الراشد 82

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 - الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

رأي المجتمع

الفلوجة.. بين نيران الطائفية والخلافات السياسية

الفلوجة إحدى مدن محافظة الأنبار، تقع على بعد ٦٠ كيلومتراً شمال غربي العاصمة بغداد، ارتبط اسمها بانطلاق شرارة المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م، وهي المعقل الأهم لأهل السُّنة في العراق الذين يمثلون التحدي الأكبر للمخططات الأمريكية - الإيرانية الرامية لتوظيف الأقليات الطائفية للضغط على العصبيات الغالبة لتقسيم العراق، وجعل وجهه وجهاً طائفياً، ومن هنا كان لا بد من كسر صمودها مجدداً مع بقية المدن العراقية ذات الغالبية السُّنية.

وقعت الفلوجة تحت سيطرة تنظيم «داعش» منذ يناير ٢٠١٤م الذي روَّج لنفسه الدفاع عن السُّنة في العراق، بينما هم أول من اكتوى بنيرانه وإجرامه؛ لذا تحركت القوى السُّنية لتحريرها من قبضة «داعش» بإعداد جيش سُني مكون من حشد عشائري بدعم من محافظ الأنبار، ومكونات سياسية أخرى على رأسها الحزب الإسلامي، وغالبية نواب السُّنة في البرلمان العراقي، لكن هناك أطرافاً سياسية أخرى مدعومة من «البعثيين» لا تريد تحرير الفلوجة من قبل هذه المكونات السُّنية، وفرضت الوجه الطائفي على معركة التحرير؛ فوقعت الفلوجة بين نيران الحقد الطائفي المدعوم من إيران الراغب في الانتقام من أهل المدينة السُّنية من جهة، ونيران الخلافات السياسية البعثية وإجرام «داعش» من جهة أخرى.

ويعيش المدنيون (نحو ١٠٠ ألف نسمة) بين جحيم معركة لم يختاروا زمانها ولا مكانها، فضلاً عن الأطراف التي تتقاتل ضمنها، حيث قال المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة فرحان حق: «إن نحو ٥٠ ألف شخص ما زالوا محاصرين داخل الفلوجة»، فضلاً عن الانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان وأعمال التخريب الواسعة لممتلكات المدنيين في مناطق السُّنة التي تدكها مليشيات الحشد الطائفي، والتحالف الدولي بالقصف العشوائي، علاوة على الإبادة الممنهجة التي بدأت منذ عامين عبر منع الفلوجة من الغذاء والدواء.

وإزاء هذه الهجمة الطائفية الشرسة والمأساة التي تعيشها الفلوجة وسط مباركة دولية وعجز عربي مريب، يتضح أن الهدف الأساسي ليس تحرير الفلوجة من قبضة «داعش»، بل استئصال الحالة المقاومة في العراق دعماً للمشروع الطائفي، حتى إن قاسم سليماني، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، يشرف بنفسه ميدانياً على خطة اقتحام المدينة بعد فشله الذريع في سورية.

وإزاء هذه العمليات الإجرامية الانتقامية والمجازر التي ترتكب بحق السُّنة في الفلوجة من قبل مليشيات الحشد الشعبي الطائفية المدعومة بعناصر وعتاد الحرس الثوري؛ يتوجب على الدول العربية سرعة التحرك لوقف هذه المجازر الطائفية من خلال ما يلي:

- دعم المكون السُّني بالفلوجة ليكون قادراً على حمايتها وتحريرها من قبضة «داعش» دون تدخل مليشيات الحشد الشعبي الطائفي، والحرس الثوري الإيراني.
- العمل على وقف مخططات إيران الرامية لتغيير ديمجرافية السكان؛ بهدف تمزيق أوصال المدن العراقية وتقسيمها على أساس طائفي.
- كشف التحالف بين البعثيين العراقيين وتنظيم «داعش» الذين تسببوا في نكبة أهل السُّنة في العراق، وعدم إتاحة الفرصة لهذا التحالف ميدانياً بالتمدد حتى يتم تطهير المدن العراقية من هذا التحالف الإجرامي الخبيث.
- أن يتحمل مجلس محافظة الأنبار (غربي العراق) مسؤولية ما يحدث للمدينة المحاصرة بين نارين، وعلى العشائر المحيطة بالفلوجة ألا تكون جسراً للعدوان عليها.
- على الحكومات العربية الوقوف سريعاً في وجه المخططات الطائفية ضد أهل السُّنة في العراق، ودعم موقفهم في الحصول على مطالبهم السياسية العادلة.■

وزير الاقتصاد القطري: دول مجلس التعاون من أنجح التجمعات الاقتصادية

أكد وزير الاقتصاد والتجارة القطري الشيخ أحمد بن جاسم بن محمد آل ثاني أن مجلس التعاون الخليجي هو من أنجح التجمعات الاقتصادية «وهو تجمع فاعل وعملي قاد إلى نتائج إيجابية كبيرة، ويمتلك تجربة اقتصادية فريدة»، وقال وزير الاقتصاد والتجارة القطري خلال مداخلته في الجلسة العامة الثالثة حول الاقتصاد العالمي التي انعقدت ضمن منتدى الدوحة الـ٦١: إن لدى دولة قطر وغيرها من دول مجلس التعاون رؤى واضحة للتحول الاقتصادي وتحقيق التنمية المستدامة.

وأشار إلى بعض الإنجازات الاقتصادية، مبيناً أنه تم إنجاز الاتحاد الجمركي والسوق الخليجية المشتركة في مراحلها الأخيرة،

أحمد بن جاسم آل ثاني

وهناك الكثير من المبادرات الاقتصادية المشتركة التي تدعم تطور الاقتصاد الخليجي، مبيناً أن الاقتصاد الخليجي تكاملي ومتقارب ونجح لعوامل كثيرة، وأن هناك الكثير مما يمكن القيام به لمزيد من الفاعلية والتطور لهذا التجمع على مختلف المستويات.

وقال: إنني على ثقة بأنه سينجح، وإذا قارنا هذا التجمع الخليجي بالتجمعات الأخرى؛ فلا شك أنه الأنجح في المنطقة، مشيراً إلى أن انخفاض أسعار النفط يؤثر بشكل كبير على الاقتصاد العالمي وليس على الدول المصدرة فقط.■

دول مجلس التعاون الخليجي تدعو إيران لـعدم «تسييس» الحج

استنكرت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية المحاولات الإيرانية الهادفة إلى تسييس فريضة الحج، واستغلالها للإساءة إلى المملكة العربية السعودية، حسب ما صرّح به الأمين العام للمجلس عبداللطيف بن راشد الزياني.

وأشار الزياني إلى أن دول المجلس تستنكر موقف الجمهورية الإيرانية الإسلامية الرامي إلى تسييس فريضة الحج، من خلال وضع العراقيل أمام التوصل إلى اتفاق نهائي ينظم قيام الحجاج الإيرانيين بأداء فريضة الحج للموسم القادم.

وقال: إن دول مجلس التعاون تدعو المسؤولين الإيرانيين إلى أن يدركوا أن فريضة الحج فريضة دينية مقدسة لدى جميع المسلمين، ولا ينبغي ربطها بالمواقف والخلافات السياسية بين الدول، وتطالب الجهات المختصة في إيران بالتعاون مع الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية المسؤولة عن تنظيم موسم الحج، حتى يتاح للحجاج الإيرانيين أداء فريضتهم باطمئنان وسلام مع أشقائهم من مسلمي العالم.

وعبّر الزياني عن تقدير دول المجلس والعالم الإسلامي للجهود الكبيرة والتسهيلات العديدة التي تقدمها حكومة خادم الحرمين الشريفين من أجل رعاية حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين والزائرين للأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية، انطلاقاً من واجبها ومسؤوليتها في خدمة الحرمين الشريفين.■

الداخلية السعودية: انخفاض معدل جرائم الاعتداء على النفس بالمملكة

أكدت وزارة الداخلية السعودية انخفاض معدل جرائم «الاعتداء على النفس» بالمملكة العام الماضي مقارنة بالعام السابق بنسبة ٦,٠٪، مشيرة إلى أن منطقة مكة المكرمة سجلت ارتفاعاً في جرائم الاعتداء على النفس مقارنة ببقية مناطق المملكة، فيما سجلت منطقة الرياض الأعلى ارتفاعاً في جرائم الاعتداء على الأموال.

ووصف المتحدث باسم الوزارة اللواء منصور التركي - خلال مؤتمر صحفي بالرياض حول مؤشرات الجريمة في المملكة - الجرائم المعلوماتية بالجرائم العالمية؛ لاعتمادها على الاتصال بمواقع محظورة عالمياً، وغالباً ما تقع تحت أسماء وهمية أو مستعارة، مبيناً أن الأمن العام بالمملكة مهتم بمكافحة الجرائم المعلوماتية، وأهمها المتعلقة بالاعتداءات الجنسية على الأطفال وابتزازهم.

وأوضح أن جرائم الاعتداء على النفس بلغت ٥١٠ جريمة لكل ١٠٠ ألف من السكان، وتضم: الاعتداء والمشاجرات وتمثل نسبة ٦٥٪، يليها جرائم التهديد ومحاولة القتل بنسبة ٨,٩٪، وجرائم إطلاق النار بنسبة ٨,٦٪، وجرائم الطعن بنسبة ٩,٢٪، وجرائم الانتحار بنسبة ٦,٢٪، والقتل العمد بنسبة ٧,٠٪، وجرائم الخطف ٦,٠٪، وجرائم أخرى بنسبة ٩,٩١٪.■

برلماني: ٧٣ قناة تتحدث ضد البحرين.. منها ٣٥ فارسية

محسن البكري

قال النائب البحريني محسن البكري: يوجد ٣٧ قناة تتحدث ضد البحرين، ٥٣ منها ناطقة باللغة الفارسية، مشيراً إلى أن البحرين كلما اقتربت من إيران خطوة؛ ابتعدت الأخيرة خطوة، وكلما ذهبت البحرين نحوها شبراً، ذهبت مهرولة بعيداً.

وطالب البكري، خلال جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء (٤٢ مايو ٦١٠٢م)، في تعقيبه على إجابة وزير الخارجية عن سؤاله بشأن التدخلات الإيرانية، بتدشين إستراتيجية وطنية لمواجهة التدخلات الإيرانية في البحرين، معتبراً أن السفارات الإيرانية في الدول العربية أصبحت وكراً للتجسس وغرف عمليات لإدارات الأزمات فيها.

وذكر أن السؤال المقدم لوزير الخارجية قدمته نهاية العام الماضي، ووصل الجواب في مطلع العام الجاري، وعدم حضور الوزير لا يصب في خدمة التعاون بين السلطتين. وأردف: يجب أن تكون هناك لغة حزم بعد أن حاولنا مراراً وتكراراً من باب الأخوة وأواصر القربى الإسلامية مع إيران.

وتابع البكري: هناك أيادٍ متشابكة ولها مصلحة في الوطن العربي، وسنعرّج مستقبلاً على التدخلات الغربية في شؤوننا الداخلية، وخصوصاً ممن نعتبرهم حلفاء لنا.

وشدد على أن التدخل واضح في الشؤون البحرينية من قبل إيران، وهناك ٠٦١ تصريحاً عدائيّاً ضد البحرين.■

زيادة مساحة البحرين لـ٩٣٤ كم٢

اعتمد الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك البحرين، المخطط الهيكلي الإستراتيجي لمملكة البحرين (المُحدث)، ضمن المرسوم رقم (٦٣) لسنة ٦١٠٢م الصادر في ١١ مايو ٦١٠٢م.

وفي تفاصيل للمخطط الهيكلي الإستراتيجي لمملكة البحرين (المُحدث)، فقد بلغ إجمالي مساحة مملكة البحرين ٧٥٤٣٩ هكتاراً؛ أي ٧٥,٤٣٩ كم٢، وذلك بعد أن كانت ٣,٥٦٧ كم٢ في العام ٢١٠٢م، وكانت مساحة البحرين تبلغ ٩٥٧ كم٢ في العام ٠١٠٢م، و٩,٧٥٧ كم٢ في العام ٩٠٠٢م، و٤,١٤٧ كم٢ في العام ٦٠٠٢م، علماً بأن مساحة مملكة البحرين بحدودها الإقليمية تبلغ نحو ٧٦٢٨ كم٢.

وتضمن المخطط الجديد أيضاً مجموعةً من الجزر الاصطناعية الجديدة، ومسار سكة القطار الرابط بين دول مجلس التعاون شمالي البحرين، وكذلك شوارع سريعة دائرية، ومواقع مشروع توسعة مطار البحرين.■

تهنئ مجلة «المجتمع» الأمة الإسلامية بقدوم شهر رمضان المبارك أعاده الله علينا بالخير واليمن والبركات.

خـــابايا
KHABAYA
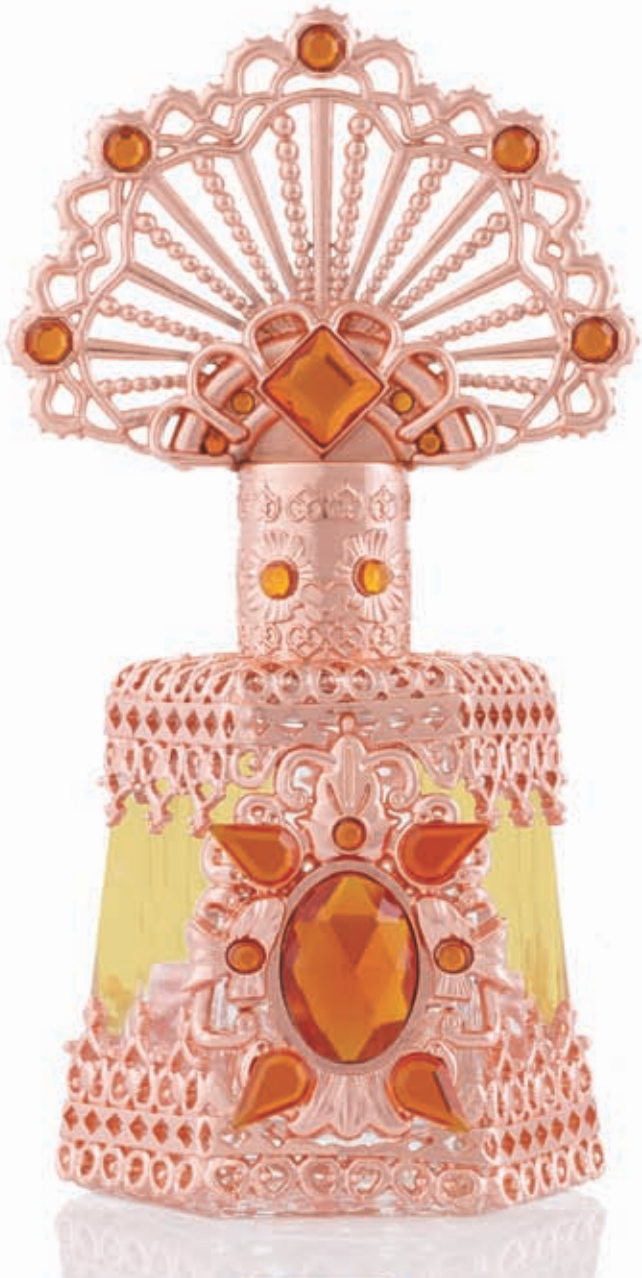
معـــارض الشايع للعطـــور
منذ SINCE 1928
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - عمان
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E. - QATAR - OMAN
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.afkar.com.kw
@alshayaperfumes

«حدس» تشارك في برلمان ٢٠١٧.. وسياسيون: موقف شجاع

محمد الدلال

فهد الخنة

أسامة الشاهين

كتب: سامح ابو الحسن

أعلنت الحركة الدستورية الإسلامية «حدس» في بيان لها إعادة النظر في موقف مقاطعة الانتخابات، حيث قالت الحركة: إنها توصلت لإعادة النظر في موقف المقاطعة باتجاه المشاركة من جديد في العملية الانتخابية والتي ستجرى في عام ٢٠١٧م، وذلك استشعاراً من الحركة لمسؤولياتها الوطنية تجاه التحديات الكبيرة المحلية والإقليمية الأمنية والاقتصادية، ونظراً لانسداد مسارات العمل الإصلاحي والحالة السلبية التي وصلت إليها التنمية والحريات العامة ومصالح الشعب الكويتي، ورغبةً منها في فتح مسارات أخرى للخروج من حالة الجمود السياسي والتنموي التي وصلت إليها البلاد، وسعياً منها نحو المشاركة بإيجابية لتصحيح المسار.

وأكدت الحركة الدستورية الإسلامية في بيانها التزامها بالثوابت والمطالب والمواقف الإسلامية والدستورية والوطنية والإصلاحية التي خاضت بموجبها انتخابات مجلس الأمة في فبراير ٢٠١٢م، وقاطعت الانتخابات دفاعاً عنها، مدركة حجم الصعوبات الانتخابية والبرلمانية والسياسية التي تواجه الخط الإصلاحي في المرحلة المقبلة، ساعية لبذل أقصى صور الجهد لتحقيق الإصلاح ومواجهة الفساد، معتمدة على الله تعالى، ثم على دعم الشعب الكويتي الكريم.

وأشارت إلى أنها تسعى لأن تكون المرحلة المقبلة مرحلة تتضافر فيها جهود كافة الأطراف المسؤولة في الدولة ومساعي الشعب ومؤسسات المجتمع المدني، نحو البناء السياسي والتنموي، والتصدي البنّاء والحكيم للتحديات الأمنية والاقتصادية المحلية والإقليمية والدولية تعزيزاً للأمن والاستقرار والتنمية.

ودعت الحركة الدستورية الإسلامية في بيانها جميع القوى والشخصيات الوطنية وأفراد الشعب الكويتي الكريم إلى تعزيز العمل الوطني المشترك؛ من خلال تبني مشروع إصلاحي توافقي يتضمن محاور رئيسة في دعم الديمقراطية ودولة المؤسسات، يؤكد سيادة القانون، ويعلي من شأن مبادئ العدل والمساواة الاجتماعية والاقتصادية، ويحمي المواطن من غلو وتسلط المتنفذين، ويعزز الحريات العامة، ويفعِّل التنمية وينشط الاقتصاد الوطني، ويمارس الرقابة الشعبية الدستورية الحقة، ويواجه الفساد، ويسعى لدعم استقلالية القضاء، ويعالج الاختلالات والتشويه الكبير في التشريعات، ويطور النظام الانتخابي القائم حالياً، مع السعي الجاد لإرجاع الحقوق لأصحابها، وبالأخص ممّن سُحبت الجنسية منهم دون وجه حق، والدعوة لإطلاق سراح سجناء الرأي وإيقاف الملاحقات لأصحاب الرأي والموقف السياسي.

وقال عضو الحركة الدستورية الإسلامية النائب في مجلس فبراير ٢٠١٢ المحامي محمد حسين الدلال: إن الحركة الدستورية اتخذت قراراً بالمشاركة في الانتخابات القادمة، ولم تتخذ أي قرار بأسماء مرشحي الحركة للانتخابات، وما يثار بشأن بعض الأسماء المطروحة ممثلة لـ «حدس» عبارة عن تحليلات فقط، اختيار مرشحي الحركة يخضع لآليات لائحية؛ منها استقراء آراء الدائرة، وموافقة قواعد الحركة وقيادتها.

فيما قال عضو الحركة الدستورية الإسلامية النائب في مجلس فبراير ٢٠١٢ المحامي أسامة عيسى الشاهين: إن قرار الحركة بالمشاركة في الانتخابات البرلمانية القادمة اتُّخذ بناء على ١٤ اجتماعاً شورياً، و٥

تصويتات ديمقراطية، وتنوع آراء الإصلاحيين حوله مفهوم ومحل ترحيب وتقدير.

وأكد الشاهين أن المستفيدين من الوضع الحالي من الطبيعي مهاجمتهم للقرار؛ لأنهم يدركون حجم السخط الشعبي العارم عليهم؛ بسبب مواقفهم السيئة تجاه حريات وأموال الشعب.

وأوضح الشاهين أن هناك نزوحاً جماعياً ملحوظاً لكتّاب ووزراء ونواب سابقين «زرق» إلى الخطاب «البرتقالي» الذي سبق لهم انتقاده، وأضاف: لا يجوز لنا محاكمة نواياهم بل نعاملهم بالظاهر، فالكويت تحتاج جميع أبنائها، ومن يأتون متأخرين خير ممن لا يأتون أبداً.

وبين أن مقاطعة انتخابات ديسمبر ٢٠١٢ و٢٠١٣م وهدوء نشاط المعارضة بعدها، ساعد على إدراك الكثيرين لسوء أداء الحكومة بعيداً عن «شماعة» المعارضة والإخوان.

ومن جانبه، أشاد النائب السابق السلفي د. فهد صالح الخنة بقرار الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) وإعلانها خوض الانتخابات القادمة لمجلس الأمة، خاصة أنه كان ولا يزال يدعو مختلف القوى السياسية في البلاد إلى خوض الانتخابات والمشاركة في إدارة الدولة وتفعيل دور المؤسسات الدستورية، مؤكداً أنني مازلت أتمنى مشاركة المخلصين بمن فيهم التكتل الشعبي؛ حتى نستأنف جميعاً عملية الإصلاح الحقيقية في وطننا، ونفعِّل أدوات الرقابة والتشريع، ونتصدى للفساد وتحقيق رفاهية المواطن.

وذكر د. الخنة أن المرحلة القادمة يمكن أن نطلق عليها اسم مرحلة إنقاذ الكويت، ومطلوب من الجميع أن يعوا ذلك جيداً؛ لأن ما يحصل الآن هو ترسيخ للفساد مقابل مجلس أمة لا يمتلك تحقيق الرقابة الشعبية، ولا الإصلاح المأمول، وإنني ما زلت أدعو جميع المصلحين للمشاركة حتى يعود مجلس الأمة كما كان في السابق، يعبر عن إرادة الأمة، ويحظى بثقة الشعب، ويسعى للمصلحة العامة، ويحاسب الفاسد، ويتبنى عملية الإصلاح الشاملة في كافة المجالات.

وبسؤال د. الخنة عن مشاركته في الانتخابات القادمة أجاب: إنني لم أحسم هذه المسألة حتى الآن، وبالتأكيد هناك مشاورات، وأي قرار سيتم اتخاذه سيتم إعلانه، ونسأل الله التوفيق والسداد، غير أنه أكد أننا بحاجة للتكاتف والمضي قدماً نحو تصحيح كافة الأوضاع الخاطئة من خلال التصدي للفساد بمختلف أنواعه وإنقاذ البلد، بحسب «الوطن» الإلكترونية.

الدلال: اختيار مرشحي الحركة يخضع للآليات للائحية

الشاهين: قرار الحركة اتُّخذ بناء على ١٤ اجتماعاً شورياً و٥ تصويتات ديمقراطية

فهد الخنة: أتمنى مشاركة المخلصين بمن فيهم التكتل الشعبي حتى نستأنف عملية الإصلاح

المليفي: قرار الحركة السابق بمقاطعة الانتخابات موقف وليس مبدأ ولها أن تعدل عنه.. وعدولها الآن شجاعة تحسب لها

ومن جانبه، قال الوزير والنائب السابق أحمد المليفي: إن هناك من يخلط بين المبدأ والموقف، الموقف يجوز تغييره حسب الزمان والمكان وتغير الظروف، أما المبدأ فلا يجوز تغييره مهما كانت المبررات، مثل: مبدأ الصدق لا يجوز أن يتغير إلى الكذب، والأمانة لا يجوز أن تتبدل إلى الخيانة، أما المواقف فتبنى على المبادئ لا تثريب في تغييرها حسب المعطيات، كأن يعارض السياسي في موقف ويتفق في موقف آخر، «المعارضة موقف لا مبدأ»، مبيناً أن هذه مقدمة مهمة لفهم القرار الذي اتخذته الحركة الدستورية من المشاركة في الانتخابات القادمة «انتخاباً وترشيحاً».

وتابع المليفي: هناك من يعتبر المقاطعة مبدأ، وأن «حدس» خالفته، وهو مفهوم خاطئ؛ إذ إن المقاطعة موقف قائم على مبدأ اعتراضها على مرسوم «الصوت الواحد»، ومعطيات صدوره، وهذا الموقف (المقاطعة) يجوز تغييره لشكل آخر من المواقف إذا ثبت عدم فاعليته أو تغيرت الظروف (صدور حكم الدستورية بدستوريته)؛ لذلك اتخاذ الحركة الدستورية قرار المشاركة لا يعني انقلابها على المبدأ، بل هو تغيير في الموقف من موقف سلبي إلى موقف إيجابي يحسب لها لا عليها.

وأكد المليفي أن هذا الموقف الشجاع من الحركة الدستورية وقبلها ثوابت الأمة نأمل بأن يشجع الجميع للعودة إلى المشاركة الإيجابية «إنتخاباً وترشيحاً».

فيما قال الكاتب الصحفي عبدالعزيز الفضلي: إن الحركة الدستورية من خلال كوادرها وأعضائها تتبع مبدأ التشاور في اتخاذ القرارات، ولذلك وبناء على رأي الغالبية تم اتخاذ قرار المشاركة في الانتخابات، وهو أمر ليس بجديد على الحركة.

وتابع الفضلي: العجيب أن بعض خصوم الحركة أخذ يكيل الاتهامات، ويحاول الإيقاع بين الحركة والمقاطعين، ويتهمهم بالتخلي عن رفقاء الدرب من المعارضة، وهناك آخرون يطالبون الحركة بأن تعتذر عن موقفها السابق بالمقاطعة، وأقول: إن الحركة ليست بحاجة إلى الاعتذار؛ لأنها عندما قاطعت كانت ترى المصلحة في ذلك، وقد تحققت بعض مقاصدها، واليوم رأت أنّ في المشاركة دفعاً لمفسدة أكبر.

وبين الفضلي أن من عوامل قوة الحركة الدستورية أنها تحترم آراء كوادرها وأعضائها، وليست كبعض التيارات الأخرى التي يسيطر عليها بعض المعمّرين والذين يتخذون القرار من دون الرجوع إلى الشباب، الذين هم عصب هذه التجمعات.

وأكد الفضلي أن الحركة اليوم لا تجد حرجاً في إعلان موقفها الجديد، ولن تُلقي بالاً لمن يتهمها بالتلوّن أو تغيير المبدأ، فهي لم تطعن في من شارك في آخر انتخابات؛ لأنها كانت ترى أن المسألة اجتهادية تحتمل الصواب والخطأ، مبيناً أن بعض خصوم الحركة الدستورية لن يثق بالحركة، ولن يصدق كلامها ولو أقسم أعضاؤها لهم بأغلظ الأيْمان، لأنه اتخذ موقفاً مسبقاً، وأمثال هؤلاء لن يرضى عنك ولو أعطيته ماء العيون.

واختتم الفضلي قائلاً: نحترم كل الآراء - المقاطع والمشارك - ولن يتم التخوين لأحد، ونتمنى أن تكون مصلحة البلاد والعباد هي الهدف الأسمى الذي يسعى الجميع إلى تحقيقه.■

في أول مقابلة له مع الإعلام بعد فوزه برئاسة النهضة بتونس..

راشد الغنوشي:

بالثورة انتهت معركة الهوية والديمقراطية وانتقلنا لمعركة التنمية

التقت «المجتمع» برئيس حزب النهضة التونسي الشيخ راشد الغنوشي في منزله بعد ليلة حافلة بالنشاط الحزبي والخلافات السياسية والفكرية، في طور إقرار اللوائح الجديدة، وانتخابات رئيس الحركة، ومجلس الشورى، وبعد إقرار التحول الإستراتيجي بتجديد هوية الحزب إلى «حزب سياسي وطني ذي مرجعية إسلامية، وفصل الدعوي عن السياسي».. وقد تحدث رئيس الحركة الشيخ راشد الغنوشي لـ «المجتمع»، مؤكداً قدرة الحركة على التكيف مع الوضع الجديد، وتأهيلها لتصبح حركة سياسية، وقيماً فعّالة يكون فيها الوطن أعلى من الحزب.

وقد أجرى المقابلة رئيس تحرير مجلة «المجتمع» الأستاذ محمد سالم الراشد، على هامش دعوته لحضور المؤتمر العاشر لحزب النهضة بتونس.

• مرت حركة النهضة بمراحل وتحولات.. فهل يمكنكم تلخيص مسارها الفكري والسياسي في عمرها الزمني؟

– أحيي مجلة «المجتمع» التي سبقت غيرها بهذا الحديث، وذكّرني هذا بأول حديث أجرته معي المجلة في أول إعلان عن هذه الحركة عام ١٩٨١م، وكان وقتها د. إسماعيل الشطي هو الذي أجرى الحوار المشهور، وظل جزءاً من تاريخ الحركة، وكل دارسي الحركة يذكّروني بهذا الحدث؛ مما يعتبر في ذلك الوقت جرأة غير معهودة؛ حيث دافعت عن الديمقراطية وأصالتها في الإسلام، واعتبرت سلطة الشعب هي السلطة الحقيقية في الإسلام.

حتى إذا سألني في تلك الندوة صحفي: ماذا تراكم فاعلون إذا انتخب الشعب الحزب الشيوعي؟ أجبت بدون تردد: سنحترم إرادة الشعب! ليس أمامنا إلا أن نقنعه بالتراجع في انتخابات تالية.

لم يكن هذا حديثاً مستساغاً في الأدبيات الإسلامية يومئذ، ولم يكن مستساغاً ذلك التحول في الحركة الإسلامية التونسية نفسها والتي نشأت قبل ذلك بـ١٠ سنوات، متأثرة بكتابات سيد قطب يرحمه الله في الجاهلية والمجتمع الجاهلي والدولة الجاهلية وتكفير الديمقراطية بطبيعة الحال والاشتراكية وغيرها.

في عام ١٩٨١م بدأت نقلة في الحركة الإسلامية من الجماعة الإسلامية إلى الاتجاه الإسلامي، وكانت نقلة من الدفاع عن الهوية إلى معركة الديمقراطية، بدأنا حركتنا عام ١٩٧٠م، ولكن منذ عام ١٩٧٠ إلى ١٩٨١م ركزنا على أن تونس دولة إسلامية عربية كرد فعل ضد التطرف العلماني (اللائكي) الذي قادته دولة الاستقلال، التي حاولت تهميش الهوية العربية الإسلامية وقامت بإغلاق المعاهد الدينية والكتاتيب وصادرت الأوقاف.

وفي نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات وتحديداً في عام ١٩٨١م حدثت أزمة للنظام التونسي؛ مما اضطره إلى شيء من الانفتاح، فأعلن رئيس الدولة عدم ممانعته في قيام أحزاب معارضة، حيث إنه منذ الاستقلال عام ١٩٥٦ إلى ١٩٨١م كان هناك نظام الحزب الواحد الشمولي والذي يقوده الرئيس «بورقيبة»، وكان رد الفعل على هذا الحزب الشمولي نشوء أحزاب شمولية أخرى، حيث كانت النهضة حزباً شمولياً، والشيوعيون والقوميون أحزاباً شمولية، فكان عصر الشمولية.

وأعلن الرئيس «بورقيبة» أن الدولة مستعدة للاعتراف بأحزاب معارضة، فلم يكن من الحركة إلا أن هيَّأت نفسها فتقدمت، ولم يمرِ شهران حتى أعلنت عن نفسها حزباً سياسياً يتبنى الديمقراطية والانتقال من اسم الجماعة الإسلامية إلى حركة الاتجاه الإسلامي، فتقدمنا بطلب اعتمادنا وفق قانون الأحزاب كحزب سياسي، وتبنينا الخيار الديمقراطي بدون تحفظ، وذهبنا مع الديمقراطية إلى النهاية لأول مرة، ومع شرعية الانتخاب وشرعية الدولة، ولم يكن الرد الرسمي إيجابياً، فالدولة لم ترحب بهذا التطور، وقد أجرينا استفتاءً داخلياً للانتقال من السرية إلى العلنية، ومرر بنسبة ٧٠٪، حيث كنا حركة سرية، وهناك تخوف من العلنية.

ولم يمر على طلبنا أكثر من شهرين حتى بدأت أول عملية اعتقال واسعة، وطرقنا باب القانون، فخرج لنا القانون يحمل عصاه؛ حيث اعتقل أكثر من ٥٠٠٠ شخص بتهمة تكوين حزب غير مرخص، وثلب الرئيس، وبالرغم من أننا طلبنا الترخيص! وقد حكم عليَّ بالسجن عشر سنوات قضيت منها ٣ سنوات.

هذه السنوات الثلاث كانت مهمة؛ لأنها سمحت لنا أن نعمق فكرنا، وأن تتوسع مطالعتنا خارج فكر سيد قطب، والمودودي، تعمقنا في فكر مالك بن نبي رحمه الله وفي الفكر اليساري الصادر من أمريكا اللاتينية، بسبب تشابه أوضاعهم مع بلادنا، فتعمقنا في الفكر الديمقراطي والاجتماعي، وأتيحت لنا فرصة للاستفادة من الحركة الإصلاحية في تونس التي نشأت في القرن التاسع عشر بقيادة عدد من المشايخ على رأسهم المصلح الكبير خير الدين باشا، ومشايخ جامع الزيتونة وعلى رأسهم الشيخ سالم بوحاجب، ومن أهم أفكارهم ضرورة التطور، حيث ملأهم شعور عميق بصدمة حضارة وتفوق الغرب، وتأخر المسلمين، فكان الجواب ليس

دولة الاستقلال في بداياتها عملت على تثبيت الحكم الشمولي وتهميش الهوية العربية الإسلامية

بدأنا منذ عام ١٩٨١م بالانتقال من الاقتصار على الدفاع عن الهوية إلى الاهتمام بالمسائل السياسية والمطالبة بالديمقراطية وناضلنا ضد الحكم الشمولي وساندنا الثورة وجذَّرنا الديمقراطية والإسلام في الدستور وننتقل الآن إلى تعزيز الاقتصاد

داخل السجن عمَّقنا حوارنا لننتمي إلى فكرنا المجدد في أفكار مالك بن نبي والفكر المقاصدي للشاطبي كما استفدنا من الفكر السياسي اليساري الصادر من أمريكا الجنوبية لتشابه أوضاعها مع بلادنا فتعمق الفكر الديمقراطي والاجتماعي

استفدنا من الفكر الإصلاحي الذي نشأ في القرن ١٩ بقيادة خير الدين باشا وجامع الزيتونة وسالم بوحاجب والطاهر عاشور ورجعنا إلى آبائنا الفكريين الطبيعيين

اتهاماً للإسلام وإنما اتهام للمسلمين، والدفاع عن قابلية الإسلام للحضارة والتطور، فكان إحياء الفكر الخلدوني وإحياء فكرة الإصلاح والعدالة ومشروعية الاقتباس حتى من غير المسلمين، فيما يوافق قيم الإسلام ومقاصده، فأعيد نشر كتابات وأدبيات المقاصد؛ مثل مقاصد الشاطبي، وأن للإسلام مقاصد في الإصلاح ومقاومة الفساد، وأن مدار السياسة الشرعية درء المفاسد.

قبل هذه المرحلة كنا نعيش على الأدبيات المشرقية، ولكن في سنوات السجن تجذرت الحركة؛ فأدركنا أن لدينا آباء وأصولاً، وأننا امتداد للتاريخ ولسنا مسقطين على هذه البيئة، من هنا كانت شرعية الاقتباس من الحضارات الأخرى بما فيها الحضارة الغربية في مسائل الحكم والإدارة وتنظيم الحياة.

هذا الانتقال عام ١٩٨١م من معركة الهوية إلى معركة الديمقراطية، ومنذ ذلك التاريخ الصراع محتدم مع النظام الشمولي الدكتاتوري التونسي نظام «الحزب الواحد» حتى وإن أصبح بغطاء ديمقراطي، ولكنه شكلي؛ لأنه ظل الحزب الحاكم الذي يسيطر على الدولة والمجتمع سيطرة كاملة، مكتفياً منذ عام ١٩٨١م بعناوين ديمقراطية (ديمقراطية الواجهة)؛ حيث اعتراف بأحزاب صغيرة لا تمثل منافساً حقيقياً، والاستمرار في اضطهاد المنافسين الحقيقيين وعلى رأسهم الحركة الإسلامية، فمنذ عام ١٩٨١ – ٢٠١١م والمعركة محتدمة، هي معركة الديمقراطية، هذه المعركة انتهت بسقوط الدكتاتورية وقيام الثورة، وما كان يمكن الاعتراف بالنهضة في تونس إلا بقيام الثورة، وكنا أكثر المستفيدين من الثورات باعتبارنا أكثر المضطهدين من النظام السابق حيث تعرض عشرات الآلاف للسجون، وما يزيد على ١٠٠ شهيد.

• ذكرت في المراحل شرعية الاقتباس من الحضارات، فما الاختلاف بين هذا وادعاء العلمانيين بأنهم يقتبسون من الغرب مواد الحضارة؟

– منذ ذلك الوقت كان هناك مشروعان لتحديث مجتمعاتنا؛ الأول: مشروع تحديث؛ أي دخول العصر والعالم الحديث من بوابة الإسلام والفكر الإسلامي من أجل استيعاب كل القيم الحديثة، والبحث عن حلول لمشكلاتنا، مستفيدين من تجارب الآخرين

مع الالتزام بثوابت الإسلام ومقاصده، تحديث في إطار قيم الإسلام، وهذا مشروع تحديثي.

وهذا هو الذي قادته الحركة الإصلاحية في تونس والأستانة والقاهرة في القرن التاسع عشر، وكان هو مشروع الجامعة الإسلامية بقيادة الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، هذا المشروع هو تحديث في خدمة الإسلام وفي إطاره.

الثاني: وهو مشروع للتحديث في إطار الفكر الغربي بما ينتهي به الأمر إلى تهميش الإسلام، وهو تحديث باكتساب القيم الحديثة، ولو أدى ذلك إلى التضحية بالإسلام، فمنذ القرن التاسع عشر نشأ في بلادنا هذان المشروعان، فلم يبق الصراع بين القديم والحديث، كان في البداية رفضاً لكل ما جاء من الغرب، ولكن بعد ذلك مع الحركة الإصلاحية تبلور مشروع استيعاب الحداثة لاحتوائها، وليس للصدام معها.

• كيف تأكدتم من أن معركة الهوية والديمقراطية قد انتهت؟

– بالثورة انتهت معركتان؛ معركة الهوية، ومعركة الديمقراطية، فالثورة اعترفت بالهوية العربية الإسلامية للدولة التونسية، كما نص عليه البند الأول للدستور، والقيم الإسلامية تخللته، فلم يقتصر الأمر على بند واحد، كما هو في المادة الأولى من الدستور لدولة تونس أن لغتها العربية ودينها الإسلام، كما ينص الدستور على أن الدولة يجب أن ترعى الإسلام وأن تحمي مقدساته.

وفي البند (٣٩) أوجب الدستور على الدولة أن تجذر الناشئة بالفكر الإسلامي، فانتهت معركة الهوية، كما حسمت معركة الديمقراطية بالاعتراف بسلطة الشعب وبالحريات العامة والخاصة ومنها حرية الاعتقاد والضمير وحرية الشعائر الدينية واحترامها.

من هنا جاءت النقلة في المؤتمر العاشر؛ فبعد معركة الهوية ومعركة الحرية، وجب الانتقال إلى معركة جديدة هي معركة التنمية.

لم تعد المعركة ذات طابع أيديولوجي، فقد فرغنا من هذا الموضوع، ولا هي معركة الديمقراطية، فالتونسيون يعيشون الحرية في ظل دستور ديمقراطي تقدمي.

وإنما هناك معركة التنمية بما يقتضيه من إصلاحات في التعليم والإدارة والاقتصاد وفي كل مجالات الحياة، بما يوفر للتونسيين العمل، وهو هدف أساسي للثورة بسبب تفاقم البطالة، هناك ما يزيد على ٦٠٠ ألف عاطل عن العمل (١٥٪)، نصفهم تقريباً يحملون شهادات عليا، قامت الثورة ونسبة البطالة ١٤٪، واليوم نسبتها ١٥٪، يلحق بذلك وجود فوارق جهوية شاسعة كانت سبباً رئيساً لقيام الثورة في المناطق الهامشية الداخلية، وحتى الآن هذه المناطق بعد ٥ سنوات من الثورة لا تشعر أنه استجيب لندائها واحتياجاتها، الشباب الذين أحرقوا أنفسهم كانوا من

المناطق الداخلية.

لذلك فالحركة اليوم تعدل ساعتها بحسب مشاغل الناس وهمومهم وحسب احتياجات المجتمع، وتعتبر الميدان الأساسي لها اليوم هي معركة الاقتصاد، وهي المعركة الحقيقية وليست الهوية والديمقراطية والدفاع عن الإسلام، فهذه مناطها المجتمع المدني أو الأهلي، أما نحن كحزب مشارك في السلطة فمهمتنا هي حل مشكلات الناس في التشغيل والتعليم والصحة وتوفير الأمن.

• ما التحولات الجديدة والتي سميتموها بالتحول الإستراتيجي؟ وهل هذا التحول هو تحول الحركة إلى شيء من العلمانية كما يدعي البعض؟

– من كل ما سبق؛ فإن هذا اقتضى نوعاً من التخصص والفصل بين أبعاد المشروع الإسلامي المختلفة، بين الوظيفة السياسية وهي وظيفة الحزب، وبقية أبعاد المشروع (الدينية، الثقافية، والعمل الخيري.. وما إلى ذلك).

في المؤتمر الحالي العاشر أنجزت هذه المهمة، وأقر مبدأ تخصص الحزب في المجال السياسي وتركيزه على موضوع الإصلاح والتنمية؛ أي الإصلاح انطلاقاً من الدولة، وتم الفصل مع بقية أبعاد المشروع ليكون مكانها مؤسسات المجتمع المدني؛ كالجمعيات الثقافية والرياضية والنقابات والأعمال الفكرية والتعليمية، وهذا تطور طبيعي وانتقال من العموم إلى الخصوص، وهكذا تتطور كل العلوم والظواهر.

وإذا كان المشروع الإسلامي الشمولي نشأ كرد فعل على مشاريع علمانية شمولية، فقد أسقطت الثورة تلك المشاريع الشمولية، واقتضى تطور الظاهرة الإسلامية أن تدخل مرحلة التخصص والفصل بين الوظائف، وهي سمة من سمات المجتمعات الحديثة.

في مرحلة الدكتاتورية كانت السياسة تتخفى في المساجد، وتحت النقابات والإعلام ومنظمات المجتمع المدني لأنها كانت محظورة.

بينما اليوم لم يبق هناك مبرر لأن يختفي نشاط تحت نشاط آخر، فكلٌّ يمارس وظيفته بشكل علني وفي إطار الدستور الذي فرض هذا التخصص، إذ حظر الجمع بين وظيفة قيادية في جمعية من الجمعيات ووظيفة قيادية في حزب سياسي.

ولذلك في الانتخابات الماضية فرضنا على عدد من مرشحينا الذين كانوا أئمة وأرادوا أن يترشحوا للمجلس النيابي أن يختاروا بين الإمامة أو النيابة، حتى لا نقع في شبهة توظيف المنابر الدينية لأهداف سياسية، المساجد أماكن عبادة ووحدة وتآخ، بينما التنافس الحزبي هو مجال صراع واختلاف.

نرى هذا التطور طبيعياً، ووقت الإنسان محدود، فلا يمكن أن يغطي كل شيء، وأيضاً تجربتنا كشفت أن هذا الخلط ونحن نتحدث عن خلط وظيفي وليس انفصالاً عقلياً بين السياسة والدين، نحن لا نتحدث عن فصل فلسفي؛ أي فصل في عقل المسلم بين السياسة والدين والحياة، نحن نتجه إلى التخصص، وليس إلى فصل في العقل والقيم، نؤثر التخصص والتفرغ والاستقلال العملي لأبعاد المشروع، بلغة أخرى شمولية المشروع الإسلامي لا تعني شمولية التنظيم، فإذا كانت الفكرة الإسلامية شاملة فأداؤها ليس من الضرورة أن يتم من خلال وعاء تنظيمي واحد يضم السياسة والاقتصاد والتربية والعمل الخيري.. إلخ، هذا لا يتناسب مع ظاهرة التطور؛ لأن التطور من سماته التخصص.

جمّع أبعاد المشروع الإسلامي أضر به عملياً؛ لأن تجربتنا بينت أنه كلما اصطدمت السياسة بالدولة، والسياسة عادة مجال للتجاذبات والتدافعات، ماذا يحصل لأجزاء المشروع المترابطة؟ تغلق المساجد ويمنع النشاط المسجدي، باتهامها أنها توظّف لصالح السياسة، ويبدأ بمصادرة كل المشاريع الفكرية والجمعيات الخيرية والثقافية والرياضية والاجتماعية والتعليمية، كلها تضررت من وراء ارتباطها بالحزب السياسي، ولأن الحزب في كثير من الأحيان يدخل في مصادمات وهذه طبيعة السياسة، ثم إن الحزب أصبح متهماً بأنه يوظف الدين لأغراض سياسية.

كل التيارات الكبرى في العالم من التيار اليساري أو اليميني أو الليبرالي هي في الحقيقة متعددة الأبعاد، من أحزاب تعبر عن هذه التيارات والأفكار، إلى جمعيات ومفكرين ومثقفين وأدباء وإعلاميين، لا يجتمعون تحت مظلة تنظيمية واحدة، ولكنهم يندرجون ضمن أحزاب وجمعيات مستقلة عن بعضها.

ما مبرر الإصرار على أن الظاهرة الإسلامية ينبغي أن يستوعبها تنظيم واحد،

النهضة ليست حزباً علمانياً وإنما حزب سياسي ديمقراطي وطني مرجعيته الإسلام الوسطي

معركتنا منذ عام ١٩٨١ - ٢٠١١م كانت معركة الديمقراطية.. والثورة اعترفت بحركة النهضة باعتبارها أكثر المضطهدين من الأنظمة السياسية السابقة على الثورة

بعد كتابة الدستور انتهت معركة الهوية بإقرار الديباجة والمادة الأولى التي اعتبرت تونس دولة عربية دينها الإسلام كما أقرت مواد بإلزام الدولة برعاية الإسلام وحماية مقدساته وأوصت المادة (٣٩) بأن على الدولة أن تنشئ الناشئة بالفكر الإسلامي

الثورة سمحت بالاعتراف بسلطة الشعب والحريات العامة والخاصة ومنها حرية الاعتقاد والشعائر الدينية واحترامها

فيكون تنظيماً عملاقاً يخلط بين العمل الدعوي والسياسي والمجتمعي، هذا يمكن أن يلوث الحياة السياسية كما يلوث العمل المجتمعي والدعوي.

هذه المرحلة الشمولية أنهتها الثورة والدستور باعتبار التخصص مرحلة متقدمة يقتضيها التطور، التخصص هو سمة المجتمعات الديمقراطية الحديثة وسمة الحضارة.

• علاقة المجتمع بالدولة في بلادنا العربية نشأت بعد حروب التحرير الوطني، فأصبحت الدولة من حيث قدرتها ونفوذها أكبر من المجتمع، والمجتمع أصبح ضعيفاً، ما رأيكم في ذلك؟

– هذه هي الدكتاتورية؛ مجتمع ضعيف ودولة قوية، والحقيقة أن الدولة تبدو قوية ولكنها في النهاية ضعيفة؛ لأن الدولة تقوى بقوة مجتمعها، ولذلك رأينا كيف سقط الاتحاد السوفييتي (نموذج للدولة القوية في مجتمع ضعيف) كورق الخريف، ورأينا الدكتاتورية في العالم العربي، دكتاتورية «صدام حسين» لم تصمد أكثر من ٣ أسابيع، بينما الديمقراطيات قاومت، مثل ديمقراطية «تشرشل» قاومت حتى انتصرت، قاومت الفاشية (نموذج للدولة القوية) رغم الأسلحة المتقدمة والتنظيم القوي ومع ذلك انهارت تماماً.

الديمقراطيات ليست ضعيفة بل لها أنياب، فمثلاً انهارت مناطق الأنبار أمام «داعش»، بما في ذلك مدينة مثل الموصل فيها ٣ ملايين نسمة، وبنك مركزي، وكميات مهولة من أسلحة، بينما مدينة صغيرة مثل بن قردان في الجنوب التونسي وهي تقع على حدود ليبيا حيث توجد جماعات شبابية تونسية وغير تونسية متمركزة في مناطق من ليبيا حاولوا أن ينتزعوا من السيادة التونسية نقطة صغيرة جداً، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً؛ لأن هناك مجتمعاً قوياً ملتحماً مع دولته، رغم أن هذا المجتمع كان محتجاً على الدولة لأنها منطقة مهمشة، الناس كانوا غاضبين، وظن أولئك المجرمون أن هذه خبزة سهل تناولها، وأن الأمور ناضجة ليرفعوا علمهم على تلك المدينة ويعلنوها إمارة، ولكن الناس التحموا بالدولة وتصدوا للمهاجمين وصاروا يدلون قوات الأمن على الإرهابيين المختفين في البيوت، لذلك فشل «الدواعش» في أن ينتزعوا أي قطعة من تونس، صحيح أنهم ضربونا ضربات موجعة؛ يضرب ويهرب، وهذا ممكن أن يحدث في أي دولة.

• «داعش» في تونس.. من وراءها؟

– هذا ليس نتاجاً للثورة، وإنما هو إرث للدكتاتورية، باعتبارها إرث «بن علي»، وقد حصلت عدة عمليات ومواجهات بين الدولة والشباب المتأثر بتيارات العنف في العهد السابق، وكان من بين هؤلاء حوالي ٣٠٠٠ في السجون، الثورة أطلقت سراحهم؛ لأنها فتحت أبواب السجون، فانطلقوا بسرعة للمساجد، وانتشروا وسيطروا على المئات منها، وأنشؤوا شبكات من العمل الخيري، مستغلين حالة الفوضى وضعف الدولة بعد الثورة؛ لأن الدولة قبل الثورة كانت تبدو قوية مسيطرة تحكم بالرعب، وبعد الثورة انهار كل شيء، واحتاج الأمر إلى مدة حتى يعود للانتظام ليس على أساس الرعب والخوف وإنما على أساس القانون، واحتاج الأمر وقتاً في المرحلة الانتقالية تلك.

توسع الفكر المتطرف العنيف، وانتبهت الدولة بخبرتها المحدودة، وكانت منشغلة ببناء الدستور وإعادة النظام على أساس الحرية وليس على أساس القمع، ولكن الدولة تنبهت لخطرهم بعد سنتين تقريباً، بعدما انتقلوا من مرحلة التبشير والدعاية إلى مرحلة الممارسة، وبدؤوا بالاغتيال السياسي، منذ ذلك الوقت بدأت الدولة تنتبه لهم، وكانت الحكومة بقيادة النهضة في ذلك الوقت، وأقدمت على تصنيفهم تنظيماً إرهابياً، وأعلنت عليهم الحرب، ومُنعوا من عقد مؤتمرهم الثاني.

إذاً نستطيع أن نقول: الإرهاب في تونس ليس من منتوجات الثورة، وإنما هو امتداد للفكر التكفيري في المنطقة، وثمرة من ثمار العهد الدكتاتوري، لا سيما وأن تونس دولة الاستقلال همَّشت المؤسسة الدينية التونسية

شمولية الفكرة لا تعني شمولية التنزيل أو التنظيم والمشكل أننا في صراعنا مع الأنظمة الشمولية تحولنا إلى حركات شمولية بينما خلال تاريخنا الإسلامي تخصص المجتمع الأهلي في الاهتمام بشؤون الدين واحتياجات المجتمع من عمل خيري وتثقيفي

المعتدلة، وفي هذا السياق جاء إغلاق جامع الزيتونة، وهو أقدم جامعة في العالم، الآن أصبح مسجداً ولم يعد جامعة، يوم الاستقلال كان جامع الزيتونة يدرس ٢٧ ألف طالب، وله معاهد ممتدة على طول البلاد وعرضها، وكان له معهدان في الجزائر، وكان يشع على الإسلام المالكي في أفريقيا، حيث إن تونس كانت تتوافر لها مرجعية دينية.

نشأ فراغ في تونس، هذا الفراغ أنتج الحركة الإسلامية، وهي نفسها نشأت متأثرة بنوع من التشدد كرد فعل على التشدد العلماني، ولكنها لم تلبث أن تفاعلت مع البيئة التونسية ومع العصر، فاعتدلت وبدأت تندمج في المجتمع عام ١٩٨١م بطلبها بأن تعتمد حزباً سياسياً، ولكنها جوبهت بالقمع.

إذاً هناك حالة فراغ جعلت المجتمع التونسي في الحقيقة أرضاً منخفضة تهب عليها الرياح من الخارج، يتلقى التأثيرات الخارجية تأثير «الدواعش» و «القاعدة» في غياب المرجعية الدينية التونسية، وفي غياب الحركة الإسلامية المعتدلة التي هي نفسها أقصيت بحجم هائل من العنف شمل عشرات الآلاف من المعتقلين.

• بالرجوع إلى موضوع المرجعية، هل في مشروعكم تطوير لمرجعية دينية في البلاد؟

– لو قارنا مثلاً بين المغرب وتونس ستكتشف الفرق، المغرب في موضوع الإرهاب لم يتعرض إلا لعملية أو عمليتين، السبب أن النظام المغربي أعطى للمؤسسة الدينية دوراً مهماً في مواجهة أفكار التشدد والتطرف والإرهاب، بينما في تونس للأسف لم يتم إدراج المعطى الديني في مقاربة التصدي للإرهاب، إلى الآن ليس هناك إلا الرد الأمني ضد الإرهاب، بينما خلفية الإرهاب خلفية دينية، ولذلك هؤلاء الخوارج يحتاجون علماء يواجهونهم مواجهة فكرية مؤصلة، فهم يعتبرون أنفسهم أهل الدليل.

ولذلك لابد من إعادة المرجعية والمدرسة التونسية العلمية الشرعية، هناك تراث ديني في تونس مثل مدرسة أبي زيد القيرواني، ابن عرفة، المازني، ابن عاشور، نحتاج إلى إحياء وتجديد هذه المدرسة حتى تستأنف السند العلمي في تونس لإنشاء طبقة علمائية قوية.

كان هناك مشروع إصلاحي من داخل جامع الزيتونة يقوده العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور، الاستقلال ألغى هذا المشروع، وكان يمكن لتونس أن تدخل الحداثة من إطار جامع الزيتونة؛ أي تدخل الحداثة من باب الإصلاح الداخلي الذي كان يتم من جامع الزيتونة، ولكن جاء الإصلاح ثورة على الماضي كله، البلاد الآن تحتاج إلى استعادة تراثها الديني، بعيداً عن التوظيف السياسي لهذا الطرف أو ذلك، المطلوب من الدولة أن تقوم بهذه المهمة باعتبار أن الدستور يعتبرها الراعي للدين.

مثلاً هناك ٧٪ فقط من أئمة تونس (بالرغم من وجود ٧٠٠٠ مسجد) تقريباً، هؤلاء في الإطار الديني لا يقل عن ٣٠ ألفاً ليس هناك متخصص في العلوم الدينية إلا ٧٪، الجامعة الزيتونية إمكاناتها محدودة، الأمر يحتاج إلى نظام تعليمي وجامعة كبرى لتخريج العلماء الأكفاء والأئمة؛ وذلك لنشر الفهم الصحيح للإسلام ومحاربة الأفكار الهدامة والمتطرفة.

• الآن هذا التطور الجديد في الحركة، كيف ستحاولون تسويقه داخل الحركة نفسها للفهم الذي قد ينعكس باتجاه المشروع السياسي، وفصل الدعوي عنها؟ كيف تستطيعوا أن تسوقوه للقواعد الداخلية والعامة بأن هذا ليس فهماً علمانياً؟

– من المؤكد أن النهضة ليست حزباً علمانياً، هي حزب سياسي ديمقراطي وطني يستند إلى المرجعية الإسلامية دون احتكارها أو النطق باسمها، هذا واضح في كل أدبياتنا وفي كل لوائحنا، لك أن تطلع على أهم لوائح هذا المؤتمر، وقد أدرنا حوارات داخلية طويلة ومعمقة ومع أوسع عدد من أعضائنا وحتى أصدقائنا طيلة سنتين، كما تم عرض هذه اللوائح ومناقشتها في أكثر من ٤٠٠ مؤتمر محلي وجهوي بين عشرات الآلاف من منخرطينا، ومن خلال هذا النقاش نشأ توافق أو إجماع حول الوجهة العامة، ولذلك في المؤتمر العام الذي جمع ١٢٠٠ مؤتمر، تم إقرار اللوائح السبع بنسبة عالية تفوق الـ٨٠٪ بما يشبه الإجماع.

• رأينا حركة الثورات منذ عام ٢٠١١م حتى اليوم، هذه الثورات متفاوتة في قدرتها على التكيف مع الأوضاع، وفي الوقت نفسه تواجه الثورات المضادة، النتائج اليوم لها تأثير كبير جداً على العالمين العربي والإسلامي من جانبين؛

معركتنا الجديدة بعد مؤتمرنا العاشر هي معركة التنمية.. فبعد ٥ سنوات من الثورة ما زالت المناطق الداخلية في تونس لا تحظى باهتمام تنموي ولا يشعر الناس بالتغيير

انتقالنا للعمل كحزب سياسي اقتضته المرحلة وهو التخصص والفصل بين الأبعاد المختلفة للمشروع الإسلامي وفق مبدأ التخصص

في المؤتمر العاشر لحركتنا تم إنجاز الفصل والتمييز بين أبعاد مشروعنا المختلفة تاركاً أجزاء المشروع الحضاري والمجتمعي لمؤسسات المجتمع المدني

نجاح الثورات في المنطقة العربية أو فشلها ناتج من اختلاف ظروف كل بلد.. فتونس بها جيش محترف لا يتدخل في السياسة وفيها نخبة ابتعدت عن الإقصاء وتبنت مبدأ الحوار لحل الخلافات

بذور «داعش» التونسي زرعت في ظل نظام «بن علي» الشمولي وانتعش بالعمليات في عهده.. في حين فشل الآن في السيطرة على أي جزء من تونس حتى إن مدينة صغيرة مثل «بن قردان» قاومتهم وذلك لأن الثورة أوجدت دولة الشعب

ظهر «داعش» وأخواته بسبب غياب الديمقراطية في العراق وسورية واليمن وليبيا واستطاع استقطاع أراضي هذه الدول لينشئ دولة داخل الدولة

تدهور المجتمعات، وتآكل هامش الدولة، ما توقعاتك على ضوء هذه التغيرات؟

– على كل حال، تونس أطلقت شرارة ثورات «الربيع العربي»، وحافظت عليها في الوقت نفسه، لديَّ القناعة الشديدة بأن تلك الشرارة أدخلت المنطقة العربية في طور جديد، ليس في تونس فقط ولكن المنطقة كلها، وما يبدو اليوم وكأن تلك الشرارة قضي عليها نهائياً في بعض البلدان وأننا عدنا إلى ما كنا عليه بل أسوأ، هذا بادئ الرأي (ظاهر الأمر)، أما الحقيقة فتلك الشرارة لا تزال تعمل عملها، وتعطي آثارها بأشكال مختلفة، ولكن لا عودة إلى الماضي، قد يبدو الأمر في مصر أسوأ من الماضي، حتى إن العودة لعهد مبارك يبدو حلماً بعيد المنال، ولكن الوضع الآن مختلف عما كان عليه قبل الثورات.

قبل الثورة، حركة مثل «كفاية»، وهي مجموعة صغيرة من المثقفين، كان خروجها في تظاهرة أمراً غريباً، ويمثل حدثاً كبيراً، بينما اليوم رغم القمع لا يخلو يوم من تظاهرات في الأرياف والقرى والمدن والجامعات؛ بما يعني أن هناك شيئاً جديداً قد حصل، الناس تحرروا، كسروا جدار الخوف، سقطت هيبة الدكتاتورية، وهذا ما يفسر حجم العنف الذي تمارسه؛ لأنها مرعوبة، الناس استعادوا ثقتهم في أنفسهم.

• المنطقة دخلت في مخاض التغيير، متى سيفضي إلى نتائجه؟

– مسار الثورات ليس خطاً صاعداً أبداً، خط الثورات هو خط مضطرب، الثورة الفرنسية أمضت قرناً حتى تحقق انتقالها من نظام ديني مقدس إلى نظام ديمقراطي، مرت الولايات المتحدة بحرب أهلية طاحنة ذهبت بالملايين، الثورة الإنجليزية قضت عقوداً، ثورة إسبانيا والبرتغال وأوروبا الشرقية كلها أمضت عشرات السنوات من التقلب، الفرق ما بين تونس وغيرها من الثورات العربية هو فرق موضوعي، إذ إن الأوضاع مختلفة، بحيث لا تستطيع أن تمارس السياسة في مصر متجاهلاً دور الجيش، الدولة دولته وهو أنشأها، الانقسامات الطائفية في سورية والعراق هذه لها دور كبير، فرق بين تونس وسورية، المجتمع التونسي منسجم عقائدياً وسكانياً ولغة ودينا، ولذلك عندما قامت الثورة في تونس وجد «بن علي» نفسه وحيداً لا يثق في أحد، بينما «الأسد» لديه رصيد مرتبط معه، ولكن كون الأوضاع مختلفة لا يعني ثورة تنجح وغيرها تفشل، التغيير حصل في النفوس قبل أن يحصل في الواقع ما دامت الثورة نجحت في بلد لماذا لا تنجح في بلد آخر؟

تكاليف التغيير وزمن التغيير سيختلفان،

ومدى حكمة إدارة النخبة للحدث بحسب تعقد الأوضاع.

لم يكن من الحكمة التورط في العنف في سورية، نجح النظام في جر المعارضة للعنف، تكاليف السلم أقل من تكاليف العنف، بعكس ما يثار أن المسارعة إلى العنف سيقلل التكاليف، فن إدارة المعركة إما أن يقل الثمن أو يخففه، ينبغي أن يكون التحرك وطنياً وليس دينياً ولا فئوياً، لأن هذا مفيد للنظام أن يخرج المعركة في ثوب أنها معركة بين نظام يحمي الأقليات والتعدد وبديل يريد أن يقضي على الأقليات، وفي مصر أي معادلة سياسية تتجاهل الجيش، أو تتجاهل الإخوان أو الليبراليين لا يمكن أن تنجح، وستكون لصالح الدكتاتورية.

السياسة هو فن إدراك ميزان القوى، كيف تحسن قراءة موازين القوى وتنزل سياستك وفق هذا الإطار، أي قراءة خاطئة في ميزان القوى تؤدي إلى كارثة؛ «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، وليس علماء الدين هم من يحدد هذا الوسع؛ لأنه ليس موضوع حلال وحرام، هذه قراءة تحتاج إلى عالم بالواقع، إلى سياسي يقرأ ميزان القوى السياسية، وعلماء في الإستراتيجية، وفي القانون والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية، هؤلاء هم الذين يقرؤون موازين القوى.

وميزان القوى لا يتحدد بالكم فقط، وهذا الخطأ كثيراً ما نقع فيه، فنحن نخطئ خطأ شديداً إذ لا نقرأ ميزان القوى بأبعاده المختلفة، ولذلك معظم الأخطاء السياسية آتية من سوء تقدير الموقف، تقدير الموقف مهم جداً؛ مثلاً في الطب تشخيص الداء هو الخطوة الرئيسة للدواء.

ولذلك العلوم التي ينبغي أن ننميها كأحزاب سياسية هي العلوم التي تعين على حسن تقدير الموقف؛ أي على قراءة موازين القوى، وذلك هو الحكمة حيث وضع الشيء في موضعه.

ونحن وقعنا في هذا، أخذنا من الحكم في عام ٢٠١١م ما يتجاوز ميزان القوى، ميزان القوى لم يكن يسمح للنهضة أن تأخذ الحكم والوزارات الكبرى ورئاسة الحكومة، هذه طفرة حماسية، سرعان ما عادت موازين القوى تعمل عملها، ولولا انسحابنا لسقط السقف على رؤوسنا، لم يكن في الإمكان المحافظة على الحكم إلا بسقوط التجربة؛ لأن ميزان القوى لا يسمح لنا إلا المشاركة وليس القيادة، ولذلك أُنقذت الثورة والديمقراطية والبلد والنهضة عند انسحابنا، ورفعنا شعار «تونس أعز علينا من النهضة»، أو كما يقول الرئيس الباجي: «الوطن قبل الأحزاب»، خروجنا من الحكومة حفظ تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس، وحفظ تونس من الارتكاس إلى الدكتاتورية أو السقوط في الفوضى، وقد تبنينا عدداً من المبادئ نعتقد بأنها ساهمت في صنع النجاح التونسي، وهي مبدأ الحوار بين جميع الأطراف لحل الخلافات، الابتعاد عن الإقصاء والاستقطاب الأيديولوجي، وتبني مبدأ الوفاق كسبيل وحيد لحفظ وحدتنا الوطنية وحفظ تجربتنا الديمقراطية الوليدة.

• البعض يحمل حركة الإخوان في مصر ما حدث، من خلال استقرائك للوضع، ماذا تنصح في هذا الصدد؟

- لا نتمنى إلا الخير لكل مصر وشعبها، فقوة مصر هي من قوة العالم العربي، وضعفها هو ضعف للعالم العربي؛ إذ إن مصر هي قلب العروبة، لذا يتألم كل محبي مصر لما يحدث، ما أرى سبيلاً إلا البحث عن تسويات ومصالحات كبرى، إذا لم تكن متاحة اليوم ستتوافر ظروفها في الأيام القادمة، كل من يتجاهل المكونات الحقيقية للشعب المصري ويتصور أنه يمكن القفز فوقها سيخطئ الحساب، فلا يمكن القفز فوق مكون الجيش، ولذلك لا ينبغي استفزازه بشعار «يسقط حكم العسكر»، هذا شعار خاطئ؛ لأنه يضع الحل مقابل إقصاء الجيش، ولا يمكن إقصاء الجيش في مصر، الجيش ينبغي أن يكون جزءاً من الحل، أيضاً من يظن الأرض ستبتلع الإخوان هذا تصور خيالي، الإخوان مثل أهرامات مصر، جزء لا يتجزأ، لا يمكن تصور مصر دون إخوان.

في مصر أقباط أيضاً، هذه حقيقة من حقائق الحالة المصرية، كما يوجد في مصر نخبة ليبرالية قوية ونافذة.

فأي معادلة تختزل هذه الحقائق في شيء واحد (إخوان أو جيش أو أقباط) فهذا ليس معناه إلا إطالة النزيف المصري.

ولذلك لا بد من البحث عن تسوية تأخذ بعين الاعتبار الحقائق المصرية الصلبة، وتوطن الكل، وتشارك الجميع، وتجعل الجميع جزءاً من الحل وليس من المشكلة.

• التدخل الإيراني، هل هذا التدخل سيستمر في تقديرك؟

لا عودة للماضي والحروب الأهلية والانقلابات مرحلة في مسار الثورات بسبب سقوط جدار الخوف وسقوط هيبة الدكتاتور

تكاليف التغيير كبيرة وإدارة التغيير عليها المدار والنجاح ومدى حكمة النخب التي تدير الحدث يؤسس للنجاح أو الفشل

القوى الإسلامية تجاوزت ميزان القوى الداخلية بسبب طفرة حماسية وسرعان ما عادت موازين القوى

علماء الواقع هم من يدركون الوسع ويحسنون قراءة موازين القوى وليس علماء الدين

معظم أخطاء الحركات الإسلامية أتت من سوء تقدير الموقف

النظام الشمولي الذي مبعثه الحزب الشامل كارثي حيث سقط الاتحاد السوفييتي بسبب الدكتاتورية في حين ديمقراطية «تشرشل» قاومت الفاشية

حكومة النهضة الثانية بعد الثورة هي التي واجهت «تنظيم أنصار الشريعة» واعتبرته جماعة إرهابية

نشوء التطرف في تونس بسبب الفراغ المرجعي الإسلامي الذي خلفته الدولة الشمولية بعد الاستقلال وأنهت رسالة جامعة الزيتونة وبعد ذلك إقصاء الحركة الإسلامية المعتدلة فملأ الفراغ الفكر المتطرف والعنيف

الصدمة الحضارية للمسلمين ولدت تيارين كبيرين.. تيار الإصلاح الإسلامي والتيار الإقصائي الذي يرى في الدين الإسلامي عقبة للتطور والحداثة في حين أن التيار الإصلاحي الإسلامي يرى التحديث في إطار قيم الإسلام

إستراتيجية التعاون المشترك بين دول المنطقة العربية هي البديل عن الوحدة الاندماجية أو الجزئية والبديل عن الحروب الباردة والساخنة

هناك علمانيون ديمقراطيون يمكن التفاهم معهم وهناك علمانيون استئصاليون متطرفون والأمر ذاته ينطبق على الساحة الإسلامية

– للأسف هناك شعور في المنطقة أن السياسة الإيرانية الإقليمية تنحو منحى توسعياً، وصلت حتى زعم بعض المسؤولين الإيرانيين السيطرة على عدد من العواصم العربية.

هذا الشعور إن تجذر، وهذه السياسة إن تواصلت خطيرة ومضرة، ليس فقط لبلدان المنطقة، ولكن لإيران أيضاً؛ لأنها تغذي نيران الفتنة الطائفية، لا يمكن لإيران أن تسيطر على المنطقة؛ لأنها متعددة، وهي منطقة في أغلبها سُنية، لا يمكن القفز فوق هذه الحقائق.

نحتاج إلى خلق حالة توازن في المنطقة؛ لأن ذلك ربما يقنع كل الأطراف باستحالة استفراد طرف واحد بالسيطرة عليها، ولذلك فالمشروع الذي يبدو أن الملك سلمان يقوده في محاولة للجمع بين السعودية وتركيا ومصر، هذا مشروع لو كُتب له النجاح قادر على أن يُحدث التوازن، وهذا سيكون في مصلحة الجميع؛ لأن التوسع كثيراً ما يقضي على الإمبراطوريات، وهو أيضاً لصالح السُّنة والشيعة؛ لأنه يبعد الحرب الطائفية التي هي مدمرة للجميع ولا رابح فيها، الحرب سببها في كثير من الأحيان طموح غير مشروع للهيمنة، ولذلك استعادة التوازن في المنطقة مهم جداً.

• أعطنا ملامح لمشروع مواجهة التمدد الإيراني؟

– مواجهة إيران ليس مشروعاً، إنما المشروع الحقيقي هو التنمية الاقتصادية في المنطقة، وتطوير علمي يوفر لهذه الشعوب مقومات الحياة ومقومات الدفاع عن نفسها، والمنطقة حالياً غير قادرة على توفير احتياجات شعوبها، ولا هي قادرة على الدفاع عن نفسها، والسبب هو التجزئة والعجز عن البحث عن مقومات حياتها والدفاع عن هذه المقومات وتحقيق طموحات الشعوب في التعاون والوحدة والتنسيق والتخطيط المشترك، وهذا يقتضي التخفيف من الحواجز بين الشعوب والدول، الحواجز في انتقال الأشخاص والأفكار والسلع التجارية، رسم إستراتيجية مشتركة، ليس بالضرورة أن تكون المعادلة ما بين وحدة اندماجية وقطع الحدود وما يشبه الحرب الباردة، أوروبا ٢٧ دولة محافظة على راياتها وعلى وزاراتها وسيادتها، ولكنهم خففوا من وقع السيادة بحيث تمر من دولة لأخرى لا تشعر بأنك انتقلت.

• هل يمكن التواصل مع العلمانيين؟

– لا ينبغي أن نحكم على العلمانيين حكماً واحداً وكأنهم شيء واحد، هناك علمانيون ديمقراطيون، وهناك علمانيون استئصاليون، كما أن هناك إسلاميين ديمقراطيين، وإسلاميين متطرفين، ولذلك من الممكن أن نتعايش مع علماني ديمقراطي، ومستحيل أن نتعايش مع إسلامي تكفيري؛ لأنه يستحل دماءنا.

أطلق الأكاديميون الغربيون على الظاهرة الإسلامية مصطلح «الإسلام السياسي»، ليميزوه عن «الإسلام اللاسياسي»، ونحن نعتبر أن هذا المصطلح ليس دقيقاً ولا يصف الظاهرة الإسلامية الوسطية بدقة، ونفضل وصف أنفسنا بأننا مسلمون ديمقراطيون، بينما مصطلح الإسلام السياسي يضع كل الظاهرة الإسلامية في سلة واحدة مع «القاعدة» وتنظيم «داعش»، نحن نريد أن نتباين عنهم وأن نُعرِّف أنفسنا بأنفسنا.■

بقية المنشور (ص٨٢)

السياسة والموقف المناسب لها؛ ولهذا فإن حالة العسكرة أو السياسة في البيئة السُّنية كانت قاصمة وليست عاصمة.

ومن الطبيعي أن يتولى قيادة الموقف هم طبقة العلماء الشرعيين، ويفترض أن يكون دورهم ليس التصدي للقيادة السياسية، بل بتحفيز العوام ومساندتهم في توظيف الرأي الشرعي لتقدير الموقف الواقعي المبني على آراء المتخصصين؛ لذا افتقدت النظرية السياسية الواقعية المسددة بالرأي الشرعي من الاحتلال الأمريكي للعراق وتطور الحالة السياسية وإلى اليوم.

ثانياً: العقل السُّني مجزأ الهوية ومتعدد الثقافة الفكرية، ولذا فإنه يعكس هوية مضطربة لا تلوي على نسيج فكري واحد، فهناك الفكر البعثي والعلماني والسلفي والإخواني والصوفي، ولكل نظريته في العمل والواقع، وهي متعارضة في مسارها وأغراضها، ولذا فلا مرجعية فكرية شرعية لأهل السُّنة، وليس المقصود بها الفتوى وإنما الرجوع لها عند الواقعات، وهذا بالطبع انعكس على طبيعة الصراعات السياسية والاستقطابات في المحتوى السُّني الديمجرافي.

ثالثاً: نزوع العقل السُّني نحو الاستعلاء الفكري بسبب التاريخ والديمجرافيا، وبسبب طبيعة الحواضن والبيئة والنمطية؛ مما أوجد حاجزاً فكرياً وقدرة على استيعاب الآخر سواء الطائفي أو العرقي أو الوطني أو حتى داخل النسيج السُّني الواحد، وإذا أضفنا أن محددات المظلومية السُّنية التي نشأت بسبب الظلم والطغيان والحرمان وتجاوز الحكومة، فإن ذلك زاد من فجوة الاغتراب الفكري والاستعلاء بما أضعفت قدرة العقل السُّني في العراق على صياغة المشتركات، والبحث عن التناقضات ومبررات التأثيم والتأزيم، بل وجدنا أنه غير قادر على مواجهة الفكر «الداعشي»؛ بسبب أنه ناتج من نفس بيئة الاستعلاء الفكري السُّني، وعليه فإن نتائج أزمته في العراق أدت إلى:

– التلبس بالمشروع الطائفي وإنهاء المشروع الوطني بحكم الواقع، إذ تحول النزوع لمشروع «الإقليم السُّني» هو غاية المطلب السُّني.

– حالة الضياع وعدم الاستقرار والتهجير والتغيير الديمجرافي، فالسُّنة لاجئون في وطنهم وخارجه.

– الفشل في إيجاد القيادة الجامعة القادرة على توحيد الرؤية السياسية للسُّنة، بسبب ضعف الإرادة وشهوة الاختلاف وسوء الظن والشك السياسي.

– فشل الجهود في إيجاد قوة عسكرية منظمة تحت مظلة الدولة تحمي مصالح السُّنة؛ بسبب الفتاوى اللامسؤولة التخطيط لفشلها، والعمل الدؤوب في تخوينها وتأطيرها خارج نطاق الدولة لتصبح مشمولة بقوانين الإرهاب.

يا ترى فما هو الحل؟

من الطبيعي أنه لا يمكن أن يضع أحد حلاً إلا العقل السُّني العراقي، وهذا العقل اليوم مستغرق في جزئيات المشهد المأساوي العراقي، غير مستقر ومستفز بالاعتداءات والظلم اليومي، ومتحفز للتطرف وإصدار الأحكام والتحليلات المتطرفة.

إن استقرار العقل السُّني نحو قيادة فكرية جامعة متزنة تنظر إلى المشهد الجزئي وتفصيلاته داخل العراق، بالإضافة إلى المشهد الإقليمي الدولي للتفكير برؤى عملية شاملة، ربما ذلك سيساهم في دفع الساسة والكفاءات والثوار العراقيين السُّنة للاعتدال في رؤيتهم ومواقفهم، والنظر في تفكيك المفاسد ودرء المخاطر وتعظيم المكاسب لصالحهم.

وتعد مأساة الفلوجة نموذجاً عملياً لمأساة العقل السُّني المضطرب، والذي لا ينظر إلى حقيقة الحدث إلا في الإطار الواحد، وهو إطار الصراع الطائفي، دون التفكير في النظر الشامل ومآلات الأمور حال تفكيك المشهد وإعادة تركيبه وفق نظرية المصالح والمفاسد والسياسة الشرعية، وكيفية توظيف حالة الفلوجة إلى تجسيد حالة من وحدة الرؤية السياسية والعسكرية والإستراتيجية ومعادلة القوة وتوازنها.

فالمشهد خطير؛ إذ تتصارع فيه قوى سُنية محلية سياسية ممثلة في السُّنة الممثلين في مجلس النواب العراقي، وأهل الفلوجة (الديمجرافيا السُّنية)، والحشد العشائري (قوى سُنية مسلحة) في مواجهة قوى سُنية مسلحة متطرفة (داعش) ويقدر عددها بـ٦٠٠ مقاتل، وفق التقارير الصحفية.

ومن جهة أخرى، فهناك قوى الدولة العراقية ممثلة في الجيش العراقي، وقوى متطرفة شيعية مدعومة من إيران (الحشد الشعبي الشيعي)، وتواجد خبرات إيرانية في الميدان بقيادة سليماني، وقوى دولية تقودها الولايات المتحدة.

فكل هذه القوى متواجدة حالياً في محيط الفلوجة وعلى أرضها، والكل متحفز لنصر يحققه.

فالأمريكيون يريدون الانتصار لكسب معركة الانتخابات الرئاسية لصالح حزب «أوباما».

والإيرانيون يريدون تحقيق نصر مستعجل من أجل ضخه لداخل إيران لفشلهم في سورية، ولتخفيف ضغط الإصلاحيين على تيار المحافظين المؤيد بـ «خامنئي».

والعبادي يريد تحقيق نصر من أجل مواجهة مظاهرات الشيعة في بغداد.

والسياسيون السُّنة ومحافظ الأنبار صهيب الراوي وحشده العشائري يريد تحقيق نصر من أجل تمكين حالة الإقليم السُّني الذي ينتظرون طرحه للمستقبل.

وتنظيم «داعش» يريد تحقيق نصر بعد هزائمه لتثبيت موقفه وحماية نفوذه.

فالفلوجة إذن ليست فقط حالة صراع طائفي، وإنما أيضاً هناك مجموعة من تناقضات المصالح تريد جميع الأطراف تحقيقها من معركة الفلوجة.

ويبقى هنا كيف يفكر العقل السُّني لاستثمار هذه اللحظة التاريخية؟

أشك أن ينجح ذلك العقل ما لم يفك التباسه بالجزئيات وينظر للكليات والمقاصد.

ويبقى أن الدماء المبعثرة من هذا التدافع هي دماء سُنية، ستظل مستمرة ما دام الضعف والتشتت والفرقة سائدة عند السُّنة وعقلها المفكر.

فإلى متى سيستمر العقل السُّني العيش في حالة اللاوعي، وأن يرتفع العقل السُّني في العراق إلى مستوى الحدث والمسؤولية، ويكون على مستوى تحديات الواقع وفهم التحولات والمتغيرات، وأن العراق اليوم ليس هو العراق ما قبل الاحتلال؟

وسيظل العراق السُّني أملاً زاخراً بالعقول القادرة على إنقاذه من التفتت والتجزؤ والضعف.■

رمضان.. وقضايا الأمة

بقلم: د. عامر البو سلامة

يهل علينا شهر رمضان المبارك، بخيره العميم، وأجره المضاعف الجزيل، وفضله الواسع، وبركاته غير المحدودة، ونفحاته الأنسية، وإشراقاته القدسية، ومدرسته الروحية، إنه شهر الصيام؛ حيث القوة والصلابة، وشهر الصلاة والقيام؛ حيث الإعداد الرائد، وشهر منظومة الأخلاق؛ استعداداً لمنهج الفضيلة، حقاً إن شهر رمضان، هدية عظيمة من الجليل الرحمن، ومنة لا مثيل لها في عالم العبادة والطاعة، من الملك الكريم الذي أمر بالعدل والإحسان.

> شهر الوحدة حيث يعلن المسلمون جميعاً هذا الشهر طاعة لله يمسكون في ساعة محددة وكذلك يفطرون يتساوى في هذا كل مسلم على وجه الأرض

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ (البقرة)، وعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ» (رواه ابن ماجه في سننه (١٦٤٤)، وقال عنه الألباني: حسن صحيح).

يهل علينا هذا الشهر الكريم، والأمة في وضع شديد الوطأة، واسع المحنة، عظيم البلاء، متعدد المشكلات، متنوع المصاب، متشعب الإشكالات، في كثير من بقاع العرب والمسلمين، في سورية وفلسطين والعراق واليمن وليبيا وبورما وأفريقيا الوسطى، وغيرها من بلاد المسلمين، حيث الدماء والأشلاء، والقتل والخراب، والدمار، والأشياء الكبار، مثل مصادرة حقوق الإنسان، وشيوع الظلم الذي هو أساس كل بلاء.

وفي هذا الوسط الرهيب، من العدوان الصارخ، والضلال المبين، تظهر صور البشرى، التي تملأ الآفاق فخراً وضياء، فيظهر جيل في الأمة يستحق كل تقدير وإكبار، وهو علامة فضل وخير، ويحمل في ثنايا صبره وتضحيته وجهاده وثباته معالم الغد المشرق، الذي تنتظره الأمة منذ زمن ليس بالقليل.

دروس رمضانية

ومما نتعلمه من رمضان، ونحن نعيش واقعنا المعاصر:

١- مدرسة الحرية: يعلمنا رمضان، كيف يجب أن نتحرر من قيود الشهوة وضواغطها، وكيف ينبغي أن نتحلل من سجنها، ونغوص في أعماق الإمساك بعنان مسيرها، حتى لا تتجه بنا نحو واد هابط، أو تغرق في مستنقع آسن، أو تنحرف عن جادة المنهج القويم، وذلك بالصيام، والامتناع عن الطعام والشراب، وشهوة الفرج، من طلوع الفجر إلى مغيب الشمس، كل هذا للخلاص من حالة البهيمية التي لا تعرف حداً لإغراءات النفس، وانسياقها خلف لعاعات البصل والعدس والثوم، ولا تلتزم بضابط يردعها عن سواكن الوجدان الذي يغص بمعاني الجنوح، وهناك فارق كبير بين حالتين، وبين صورتين، فالأمة عندما تتربى على هذا تصبح قادرة – وقد تحللت من ضواغط الشد إلى شهوات الأرض ولواصقها – على العمل في مشروعها السياسي الحضاري النهضوي، الذي أساسه المطالبة بحقوق الإنسان، واستئناف الحياة على قيم العدل والكرامة، وهنا نتذكر الحرية وتلازمها مع إنسانية الإنسان، الذي يبحث عن كل السبل التي تؤدي به للوصول إلى هذا المعنى، مكرماً من الله تعالى.

كل هذا يسوقنا إلى حقيقة يحاول الذين لا يعرفون سوى شهوة السلطة ومتعلقاتها أن يطمسوها بالظلم، وتكميم الأفواه، وحبس الأنفاس، والتضييق على الناس، وبالذات منهم من يقول: لا؛ لذلك تكون الثورة بكل ما في جعبتها من فضائل، وهنا قرع جرس «الربيع العربي» إيذاناً بغد مشرق، تنتصر فيه الإرادة الصلبة على المرادات التافهة، فيتحرر العباد من هؤلاء الذين ينسجون خيوط عناكب الفتنة في كل مجالات الحياة، ومنها جوانب الحياة السياسية، وفقه الاجتماع.

فالأمة التي تتربى في مدرسة رمضان تدرك تماماً ما معنى الحرية، وتفهم الوسيلة التي تصل بها إليها، والأمر لا يعدو صبر ساعة، ثم يفرح الصائم بفطره، والثائر يظفر بحريته، ويسترد إنسانيته المسلوبة.. لك الله يا شعب سورية وفلسطين والعراق واليمن وليبيا وبورما، فرمضان مدرسة الحرية التي تخرج فيها بناة الحضارة الإسلامية، وضربوا أروع الأمثلة في القدوة الحسنة، من خلال زهد حضوري فاعل، زرع الثقة في نفوس الناظرين، وترجم إلى مشروع مسار، تسير على نهجه وفود جرارة من حملة المنهج الذين تأثروا بحركة صحوة الحياة على قيمة «لعلكم تتقون».

٢- شهر الصبر والتحمل: إذ الصوم، والكف عن شهوتي البطن والفرج، وضبط النفس عن شهادة الزور، وعن السباب والشتائم، بل يقابل ذلك من فعل به كذلك: «اللهم إني صائم»، مع عبادة وصلاة وذكر وقراءة قرآن كل هذه الساعات التي ربما تطول في بعض البلدان، يعطينا طاقة

استثنائية، ويمنحنا دربة على تحمل المشاق، وفي هذا الخضم اللاحب المليء بما ذكرنا، لا بد من سلاح وزاد، أما السلاح فهو الصبر الذي به نواجه المحن، ونتغلب على الصعاب ونتحدى العقبات، فلا نسقط في الطريق ولا نهزم من أول هزة، ولا ننكسر في أول صيحة ولا نقع في أول عثرة، وأما الزاد فهو التقوى.. وهنا أشيد بأهلنا في سورية الذين يتسحرون على أصوات البراميل المتفجرة، ويفطرون على إيقاع أصوات القنابل المجنونة، ويصلون على أنغام الحارقات العمياء، على اختلاف ألوانها وأشكالها وصورها وأطوالها وأعراضها وروائحها وطعومها، كيف لا وهم في مدرسة الصبر وفي دورة الصبر والمصابرة والمرابطة، وفي خضم هذا المشهد الرهيب، يرى الشهداء ويشم رائحة الدم في كل مكان، وتبرز له معالم الرعب الشامل الذي يلفه بثوب الصبر والثبات، مستبشراً بلقاء الله تعالى.

٣- شهر التطهير والتطوير والتغيير: الثابت في هذه الدنيا هو التغيير؛ فالتغيير الإيجابي هو الذي تتجدد معه الحياة، وتتطور حركيات العمل، وتنطلق جوارح الأمل من مفاصلها المتكلسة، ودوائرها الضيقة المغلقة، وشهر رمضان مدرسة من مواد تعليمها «التغيير»؛ لأنه ثورة على النفس، وثورة على العادات الضارة، وثورة على نظم التغذية، والقضاء على الأعراف المفسدة، وكسر لنول نسيج التحرك البطيء، والعمل الرتيب، ووهن الحياة إلى غد مفعم بالحيوية والنشاط، متشبع بالبذل والعطاء، مراعياً واجب الساعة، فقيهاً بفريضة الوقت، مغيراً نحو الأحسن، ملتزماً بالثوابت، مقاصدياً في المتغيرات، وهذا له ثمنه، فلابد من الصبر والمجاهدة، وما ذنب أهل سورية الذين يتآمر عليهم، إلا أنهم طالبوا بالتغيير من أجل حريتهم وكرامتهم وحقوقهم.

٤- شهر الدعاء: على المسلم أن يكثر من الدعاء في هذا الشهر المبارك، متحرياً أوقات الفضل التي يتوخى فيها الإجابة؛ مثل ساعات السحر، وإثر الصلوات، ولا ننسى أن للصائم دعوة لا ترد عند فطره، يدعو فيها المسلم لنفسه وأهله، ولا ينسى إخوانه المسلمين في كل مكان، خصوصاً منهم أولئك الذين اضطهدوا لأنهم يبحثون عن الحرية والكرامة، ويعانون من الطغاة والمجرمين، فتقع على رؤوسهم البراميل المتفجرة، وتسقط عليهم الصواريخ العمياء، كأهل سورية الكرام الذين دخلوا عامهم السادس وهم في ثورة، صامدين صابرين محتسبين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» (رواه البيهقي ٣/٣٤٥، والضياء في «المختارة» ١/١٠٨، وفي «المنتقى من مسموعاته بمرو» ١/٩١، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/٤٠٦).

٥- يعلمنا الجود والكرم: الجود تحرر من إسار المادة وعبادتها، والتخلص من اللهث وراء الدنيا وطينها ووحلها، وصاحب المشروع الذي يبحث عن طاعة الله في مفردات تقوية بناء الأمة، يدفعه هذا إلى فقه متين، يعي من خلاله كيف ينبغي أن يسخر ماله من أجل هذه الحقيقة، واليوم أمة الإسلام تواجه تحديات جساماً، وتمر منعطفات خطرة، فهل قدمنا لهذه الأمة من مالنا ما يحل به مشكلة من مشكلات الأمة، أو يكون سبباً في وضع لبنة في بنائها النافع، هل فكرنا في مشروع للتنمية البشرية؟ هل صنعنا محضناً تربوياً؟ هل بذلنا من مالنا ما يخدم مشروعاً إعلامياً ينير الدرب للآخرين، كي تصل رسالة الخير للإنسان يصنع على مناهج الحق، من خلال رؤية تقوم على فكرة النظافة، في زحمة الإعلام الذي يذبح الأمة في بعض منتجاته، التي تزيده ضياعاً وانهياراً، جاء في الحديث الصحيح: أنه – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – كان جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان.

٦- شهر «وحدة الأمة».. التكاتف والتعاون والشعور بأحاسيس الآخرين: لا أعتقد أن هناك برنامج عمل جماعياً على وجه الأرض، في أيامنا هذه، أو في أعماق التاريخ، أفضل من رمضان، حيث إن المسلمين جميعاً يعلنون هذا الشهر طاعة لله، يمسكون في ساعة محددة، وكذلك يفطرون، منهج واحد في المباحات المسموح بها، وأيضاً في الممنوعات، يتساوى في هذا كل مسلم على وجه الأرض؛ الفقير والغني، الذي في الشرق، والذي في الغرب، كلهم يفعلون هذا برضاً وقناعة؛ «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

نعم هذه الصورة العامة، تمثل حالة من حالات ظهور الأمة، في إطار وحدتها، ومجال تعاونها، لذا من لوازم هذا أن نحقق معنى «الأخوة الإسلامية» التي من مفردات ترجمتها على هيئة عمل، أن يرحم بعضنا بعضاً، وأن يحسن الغني إلى الفقير، وأن يشترك جميع المسلمين على وجه هذه البسيطة في هموم بعضهم، وأن يحققوا جسدية هذه الأمة، فننصر قضايا المنكوبين والمظلومين والمقهورين والمعتدى عليهم، وما الذي يحدث في سورية المجاهدة عنا ببعيد، وكذلك في باقي بلاد المسلمين، فهل من خطة تعكس هذا الأمر، كل بما يستطيع، حتى نكون «الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فاجعل بعض زكاتك في خدمة هؤلاء المظلومين، ولا يفوتك أن تخصص بعض مالك لإفطار الصائم، والصدقة في هذا الشهر يضاعف الله تعالى الأجر فيها، وفوق هذا وذاك كن مضحياً بوقتك ومالك وقلمك ولسانك وجوارحك من أجل إخوانك، ومشاريعهم في الحرية والتغيير.■

الأمة التي تتربى في مدرسة رمضان تدرك تماماً معنى الحرية والوسيلة إلى تحقيقها والأمر لا يعدو صبر ساعة ثم يفرح الصائم بفطره والثائر يظفر بحريته

رمضان مدرسة تعلِّم التغيير لأنه ثورة على النفس وعلى العادات الضارة وعلى نُظم التغذية والقضاء على الأعراف المفسدة

يجب ألا ننسى أهلنا في سورية الذين يتسحرون على أصوات البراميل المتفجرة ويفطرون على إيقاع أصوات القنابل ويصلون على أنغام الحارقات العمياء

إلا الصيام..!

أ. د. عماد الدين خليل
* مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي

من بين كل العبادات الإسلامية.. من بين كل صيغ التقرب إلى الله تعالى.. من بين كل أساليب التطهر الروحي.. يبرز الصوم جهداً متميزاً وسعياً خالصاً وكفاحاً صعباً لنيل رضا الله سبحانه وثوابه.

فما من عبادة يمارسها الإنسان إلا وهي تنطوي، بما ينفخ فيها الشيطان من أساليبه الماكرة، على هامش للرياء الذي تتداخل في جنباته النيات الحسنة بمقاصد السوء من حب الظهور والتباهي وكسب رضا الناس.

الصلاة التي يمكن أن يرائي بأدائها الإنسان، وأن ينفلت من إلزامها أنى شاء دون أن يلحظه أحد، الزكاة التي يمكن أن يدلس الإنسان في دفع مستحقاتها دون أن يلحظه أحد، الحج الذي يمكن أن يكون وسيلة لتغطية سلوك معوج بديكور خارجي جميل دون أن ينتبه إليه أحد، شهادة لا اله إلا الله التي اخترقت عبر التاريخ وجدان آلاف الناس بعشرات الممارسات الشركية ومئاتها وألوفها دون أن يكتشفها أحد.

لماذا «إلا الصيام»؟

هذا الجهد المكافح والملزم بالامتناع الصارم عن الطعام والشراب وكل صيغ السلوك الملتوية من أجل أن يمضي لتأدية مهمته الأساسية في كسب رضا الله، فلا يقدر الإنسان أن يدلس فيه أو يمارس غشاً من أي نوع كان؛ لأن عملاً كهذا سيخرجه من التزامه بمطالب الصيام.

من أجل ذلك ورد في الحديث القدسي أن كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله تعالى وهو يجزي به، يقول الله عز وجل فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» (متفق عليه).

هكذا يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة بهذه الكلمات القاطعة التي تعد وتنذر في الوقت نفسه، ومن أجل ذلك شمر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عن سواعدهم وهم يستقبلون رمضان سنة بعد أخرى، وعلى مدار التاريخ؛

فامتنعوا عن الطعام والشراب، وتمحضوا لغسيل خبراتهم الروحية من كل ما من شأنه أن يمسها بسوء، واضعين نصب أعينهم خصوصية هذه العبادة وارتباطها المباشر بالله «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به».

رمضان.. واستعادة الدور الحضاري

وبالانتقال من الخاص إلى العام، فإن هذه العبادة المتميزة المكافحة الصبورة كان يمكن أن تنفخ النار في جسد الأمة الإسلامية الممزقة، المتهالكة، المترعة بالشروخ والهزائم والأحزان، وأن تشد أواصرها وهي تمارس هذا الجهد المشترك من الصبر والتحمل، وأن تذكرها بأن صيامها هذا الذي يعدها الله سبحانه بأعلى درجات الثواب إن أحسنت القيام به؛ يجب أن يدفعها إلى المزيد من التوحد وتجاوز الخلافات والمضي قدماً لاستعادة دورها الحضاري الضائع.

فهذا الشهر الكريم الذي يطرق أبواب الأمة سنة بعد أخرى، يجب أن يعلمها الصبر والكفاح المتواصل والتمحض من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لهذه الأمة التي غدت عبر القرون الأخيرة قصعة يولم عليها المولمون من مشارق الأرض ومغاربها كما تنبأ يوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سلوكيات خاطئة

ويدهش الإنسان وهو يرى بعض أولئك الذين يتحدثون عن حكمة الصيام كيف أنهم يضيقون عليه الخناق، فيجعلونه مجرد دافع للإحساس بمأساة الفقراء والجائعين، وكأننا كمسلمين لا بد أن نجوع لكي نحس بما يعانيه الآخرون دون التفات إلى نبض هذا الدين الذي يجعل من العدل الاجتماعي واحداً من مرتكزاته الكبرى على مستويي التشريع والتوجيه على السواء!

ويدهش الإنسان وهو يرى الشعوب الإسلامية تتسابق في مد موائد الطعام مساء كل يوم من أيام رمضان، لا يؤكل سوى العشر، وترمى الأعشار الأخرى في سلال المهملات، بينما الآلاف من المسحوقين يتضورون مسغبة وجوعاً!

ويدهش الإنسان كيف تصبح ملاهي الأمسيات الرمضانية والعروض التلفازية وكأنها هي المقصودة من جهد النهار فتنتشر تقاليدها وبدعها في مشارق الأرض ومغاربها انتشار النار في الهشيم!

التوازن النفسي والجسدي

ونحن نتحدث عن شهر الصيام هذا، لا بد أن نتذكر ذلك التوافق المدهش بين هدف كل عبادة في هذا الدين وتساوقها مع الحاجات والمطالب البيولوجية والنفسية والاجتماعية للإنسان؛ الصلاة، الحج، الزكاة، والصيام الذي طالما أكدت الدراسات الطبية والنفسية ضرورته لاستعادة السوية الطبيعية للإنسان في صحته وعافيته، في تكوينه النفسي، وعبر علاقاته الاجتماعية.

إن كل عبادة تنطوي على جملة من الترميزات التي تبدو لأول وهلة أن لا علاقة لها بهذا الذي نتحدث عنه، مجموعة من الرموز المنفصلة عن مطالب الإنسان الحيوية والتي يراد منها فقط الاستجابة لأمر الله سبحانه، ولكن بالإيغال في شرايين كل عبادة يتبين ذلك التوافق المدهش بين الرمز والمطلب البشري، بين الاستجابة لأمر الله والتحقق بالمطالب الجسدية والنفسية والاجتماعية على السواء، وتلك هي واحدة من معجزات هذا الدين.

إن الصيام عقد مقدس بين العبد وربه، وإنه يتطلب استجاشة أعمق نقطة في خلايا العقل والقلب والروح والوجدان من أجل أن يكون بحجم رمضان كما يريده الله ورسوله، لا كما اعتاده المقلدون.

«فإنه لي وأنا أجزي به»؛ لأنه – جل في علاه – يعلم ما يكلفه الصوم من مشقة وما يتطلبه من صبر، ليس فقط عن الطعام والشراب، وإنما عما اعتاد عليه الناس وأصبح جزءاً أساسياً من حياتهم اليومية عبر أحاديثهم ومعاملاتهم من رياء وغيبة وتنابز وغيرها من عشرات الممارسات الخاطئة التي يجيء التوقف عنها بقوة الإرادة الإيمانية، بمثابة إعلان للحرب على «الخطيئة» مهما ضؤلت ودقت، وهذا يتطلب جهداً فائقاً لن يكون جزاؤه إلا ذلك الذي يجيء من عند الله سبحانه، وما أعظمه من جزاء.

ومرة أخرى؛ فلو قدر لهذه الأمة أن تعرف كيف تتلقى هذه المنحة الكبرى، وهي تكافح الجوع والعطش والتطهر من الآثام، بأن «تتوحد» وتتجاوز كل صيغ الخلاف والتقاتل، وتمضي صوب تغيير واقعها البائس هذا صوب ما أراده لها الله الذي قال في أجيالها الأولى: إنها خير أمة أخرجت للناس؛ لكانت قد وضعت خطواتها على الطريق الصحيح.■

هذا الشهر الكريم يعلِّم الأمة الصبر والكفاح المتواصل من أجل تحقيق الأهداف الكبرى

الصيام عقد مقدس بين العبد وربه يتطلب استجاشة أعمق نقطة في خلايا العقل والقلب والروح والوجدان

لو قُدِّر لهذه الأمة أن تعرف كيف تتلقى هذه المنحة الكبرى وهي تكافح الجوع والعطش والتطهر من الآثام لوضعت خطواتها على الطريق الصحيح

رمضان فرصة لترتيب أولويات الأسرة

أ.د. زيد بن محمد الرماني
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود

لقـد درجت أمانينا على اغتنام فرصة الصيام لتقويم الروح بفوائد روحية، وتقويم الجسد بفوائد جسمية، فهل نتعود على اغتنام الفرصة لتقويم اقتصاد الأمة وهو جسـمها وروحها من داء عضال هو داء الاسـتهلاك الدائم من غير إنتاج كافٍ؟! وهل يكون شـهر رمضان فرصة ومجالاً لامتلاك إرادة التصدي لحالة الاسـتهلاك الشرهة التي تنتابنا في هذا الشهر الكريم؟!

إنّ للصوم أبعـاداً اقتصادية عظيمة، منها ما يدركه العقل البشري كأثره على صحة الإنسان مثلاً، والثروة البشرية، ومنها ما لا يستطيع العقل البشري إدراكه، فطوبى لمن اقتدى في صيامه وقيامه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثراؤك على قدر توفيرك

إنّ من واجب المسلم أن يعمل على توفير ما تقوم به الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وغيرها من الضروريات، لصيانة دينه ونفسه ونسله، ولحفظ عقله وماله، كما يفترض في المسلم أن يتجنب النزعة الاستهلاكية قدر الإمكان، وإن كان هذا يختلف من شخص لآخر، بحسب يساره المادي وبقدر زهده في الدنيا ومباهجها، إلا أن هناك حدوداً لذلك – على كل حال – ينبغي مراعاتها.

«إنّ الإنسان أهم بكثير من أي نموذج أو نظرية أو تفسير»، هذا ما اكتشفه علماء الاقتصاد أخيراً، فالإنسان هو الذي يقرّر مستوى رفاهيته ودرجة ثرائه، والأمر كله متوقف على قراره وسلوكه، فبإمكانه إن أراد أن يكون معتدل الاستهلاك فيصبح حجم الوفر لديه بما يمكنه أن يصبح ثرياً، وبإمكانه إن كان نهم الاستهلاك كما هي حال الفرد في أغلب المجتمع الغربي أن يأكل ثروته.

وبعد أن كان علماء الاقتصاد مصرِّين على أن الدولة وسياستها هي العنصر الأهم في العملية الإنتاجية؛ عادوا ليقرِّروا أن المستهلك والمنتج هما سيدا اللعبة.

فيوم يربي المجتمع عادات الاستهلاك ويهذبها ويوجهها، ستحدث عملية ترشيد واسعة ستؤدي إلى انتفاعه بخيراته على أكمل وجه.

وهكذا، فمفتاح حل الأزمات الحقيقي إنما يكمن في «التربية الاستهلاكية»، وهو

مفهوم حديث نسبياً، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «كُلْ واشربْ والبسْ وتصدّقْ ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة»، وقد ورد عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قوله: «كل سرف فبإزائه حق مضيّع».

لا تكن من إخوان الشياطين

إن الصوم يربي في المسلمين ملكة الصبر؛ ذلك أن أحد أسباب الكارثة التي حلّت بنا اليوم هي البطر في الاستهلاك والتبذير والبعد عن الدّين القيّم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل)، وكلنا يعلم قصة قارون كما وردت في القرآن الكريم في سورة «القصص» (الآيات ٧٦ – ٨٣)، وفرعون وغيرهما من الذين جحدوا نعم الله تعالى.

فالإسراف والتبذير في الاستهلاك يعتبر سوء استخدام للموارد الاقتصادية والسلع التي أنعم الله بها على العباد لينتفعوا بها، وهو عمل يذمه الإسلام ذمّاً كبيراً، حيث وصف الله المسرفين والمبذرين بأنهم إخوان الشياطين، لما لهذا العمل من آثار سيئة لا تقتصر على صاحبها الذي مارس الإسراف بل تمتد لتشمل المجتمع والعالم.

إن الجميع يركض نحو دائرة الاستهلاك المفرط، والاستعداد للاستهلاك في رمضان يبدأ مبكراً مصحوباً بآلة رهيبة من الدعاية والإعلانات والمهرجانات التسويقية التي تحاصر الأسرة في كل مكان وزمان، ومن خلال أكثر من وسيلة، فالزوجة تضغط باتجاه شراء المزيد، والأولاد يُلحّون في مطالبهم الاستهلاكية، والمرء نفسه لديه حالة شراهة لشراء أي شيء قابل للاستهلاك وبكميات أكثر من اللازم.

احذر هذه العادات في رمضان

ومن الأسف أن اعتاد بعض الناس على عادات سيئة دخيلة في شهر رمضان، تتمثل في طريقة الإنفاق الاستهلاكي وهي ليست من الإسلام.

ومن ثم فإن الزوجة التي تعد وتطبخ، والزوج الذي يجلب وينفق، كلاهما متهم بالشراهة الاستهلاكية التي تنتاب مجتمعنا في رمضان وغير رمضان.

لذا، يمكن القول، بصفة عامة: إن الإسراف في هذا الشهر (رمضان) وفي غيره سمة من سمات منطقتنا العربية، فيكون النهار صوماً وكسلاً والليل طعاماً واستهلاكاً غير عادي.

فرصة لترتيب الأولويات

إنّ صفة استهلاك المسلم هي الكفاية لا التبذير، ومنفعته تتحقق ليس فقط بالإشباع المادي بل من خلال الإشباع الروحي بأداء الواجب نحو المسلمين من مال الله الذي رزقه إياه، ومنفعته تتحقق حتى في قيامه بواجبه نحو المسلمين، وقبل ذلك أهله وزوجته وأولاده.

ولذا، يسعى المسلم إلى مرضاة الله تعالى، فيشكر الله على نعمه ويحمده ليحقق منفعة بسد حاجته، وبلوغ متعته والكفاية عن الحرام، وتحقيق مرضاة الله ونيل ثوابه عز وجل.

إن شهر الصيام فرصة دورية للتعرف على قائمة النفقات الواجبة بالمفهوم الاقتصادي، وعلى قائمة الاستبعاد النفقي ثم فرصة لترتيب سلم الأولويات، ثم فرصة كذلك للتعرف على مستوى الفائض الممكن.

ثم إن شهر رمضان فرصة لتحقيق ترشيد أفضل، ولتوسيع وعاء الفائض الممكن، ولكن شريطة أن يرتبط بالقاعدة القرآنية الإرشادية المعروفة: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»، هذه القاعدة – ولا شك – هي ميدان الترشيد على المستوى الفردي والمستوى العام.

لقد أكدّ الباحثون حقيقة مهمة تنص على أن فوضى الاستهلاك تبرز بوضوح حينما تبدأ الزوجة بعرض نفقاتها لتكون نفقات من السلع والمواد الغذائية التي تبتلع فعلاً الدخل الشهري حتى آخر قرش فيه.

وتنتقل عدوى التبذير إلى الأطفال؛ فينمو معهم انعدام الحس بقيمة الأشياء، فلا يحافظون بالتالي على لِعَبهم أو كتبهم، وفي ظل ذلك، لا تصبح قضية وقتية حالية، بل مسألة تمتد إلى المستقبل، ولا يعود التبذير والترف مقتصراً على الأسرة بل والوطن كذلك، فشهر رمضان يجري تحويله عاماً بعد عام إلى مناسبة للترويج الكثيف والحاد لمختلف السلع، وتسهم في ذلك بقوة مختلف وسائل الإعلام وفنون الدعاية ووكالات الإعلانات.■

للصوم أبعاد اقتصادية عظيمة منها ما يدركه العقل البشري كأثره على صحة الإنسان ومنها ما لا يستطيع العقل إدراكه

مفتاح حل الأزمات الحقيقي إنما يكمن في «التربية الاستهلاكية»

صفة استهلاك المسلم هي الكفاية لا التبذير ومنفعته تتحقق ليس فقط بالإشباع المادي بل من خلال الإشباع الروحي

عدوى التبذير تنتقل إلى الأطفال فينمو معهم انعدام الحس بقيمة الأشياء فلا يحافظون بالتالي على لِعَبهم أو كتبهم

الشهر فرصة المسلم للتغيير واستعادة زمام المبادرة..

استلهام روح رمضان في إحياء الأمة لدورها الحضاري

تحقيق: عبدالغني بلوط - علي عليوة - عبدالباقي خليفة - محمد ولد شينا

ارتبط شهر رمضان المبارك في ذاكرة الأمة الإسلامية بمجاهدة النفس وجهاد العدو وطلبه وتحقيق الانتصارات، فهو شهر فتح الثغور والأمصار لنشر مبادئ الإسلام، وشهر الجد والاجتهاد في التبتل في محاريب العبادة، والإقبال على تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وبذل الزكوات والصدقات للفقراء والمحتاجين والجود بالخيرات، ولقد فهم السلف رضوان الله عليهم أن رمضان عبادة وريادة، وهمة ونشاط، فحري بالأمة أن تجدد فيه دينها وتستلهم منه نفحات التغيير، وتستذكر فيه جهاد الفاتحين، وتقتبس من أيامه نفحات الصالحين وتقتدي بمنهاج السابقين في احتساب الصوم والقيام والعبادة وكل وجوه الخير، والإقبال على رب العالمين.

وفي هذه السطور، نجدد معالم هذا الفهم الصحيح لما يمثله شهر رمضان لهذه الأمة من قيم ومفاهيم إسلامية عظيمة:

وحول كيفية الاستفادة من شهر رمضان في إحياء الأمة لكي تسترد قوتها ودورها الحضاري أوضح الداعية المصري عبدالرحمن لطفي أن شهر رمضان هو شهر القرآن، ولكي تستعيد أمتنا دورها الحضاري عالمياً فلا بد أن يفهم المسلمون أن سبب تخلفهم وضعفهم وهوانهم هو أنهم تخلوا عن إقامة الدين، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون، ونسوا أمر الله لهم في القرآن الكريم بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً غير متفرقين.

وأضاف أن تحقيق هذه الوحدة مع العودة لكتاب الله تعالى وسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي الخطوة الأولى في استعادة المسلمين لقوتهم ودورهم الحضاري، وأن نستلهم التاريخ وما حققه المسلمون من انتصارات في شهر رمضان شهر مجاهدة النفس ومجاهدة أعداء الأمة، ومنها معركة «بدر الكبرى»، و «فتح مكة»، وفتح الأندلس، والانتصار على التتار في «عين جالوت»، وعلى الصهاينة في العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ.

فرصة للتغيير

ويؤكد أ.د. مولاي عمر بنحماد، الداعية المغربي؛ أن رمضان مدرسة وفرصة الإنسان المسلم للتغيير، ولاستعادة المبادرة، وهي بعض عناوين حملات دعوية رمضانية يسعى القائمون عليها إلى تذكير الصائمين بأدوار رمضان ومقاصده.

ويبرز بنحماد في تصريح خاص لـ «المجتمع» أنه قد أتى على الأمة زمان وقع التركيز فيه على جوانب الأحكام، ووقع التقصير أو الغفلة عن مقاصد العبادات، إن لم نقل: مقاصد الشريعة

الإسلامية عموماً، وإن كل جهد يبذل لإعادة الاعتبار للمقاصد سيكون هو المدخل لنرى ثمار الشعائر على مستوى السلوك الفردي والجماعي.

وبالنسبة لرمضان - يشدد بنحماد، الأستاذ الجامعي - فإن المدخل هو التذكير بهذا النداء الإيماني: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾) (البقرة)؛ لأن اشتراك الأمة في مشارق الأرض ومغاربها في هذه الطاعة لهو أعظم حافز لتذكيرها بوحدتها، وهذا الأمر لا ينبغي أن يشوش عليه الاختلاف الذي يقع في بداية الشهر ونهايته، إن الاختلاف في يومين لا ينبغي أن يحجب عنا وحدة أمة في ثمانية وعشرين يوماً الباقية.

ويضيف أن هذا الشعور بالوحدة إنما يتحقق مع الصيام والصلاة أكثر مما يتحقق مع ركني الزكاة والحج، فالحج لمن استطاع إليه سبيلاً، والزكاة لمن ملك نصاباً تجب عليه فيه، ومعاني وحدة الأمة من أعظم ما يساعد عليها رمضان والصيام.

ويشير المتحدث ذاته إلى أنه إذا كانت لذة الانتماء للأمة الإسلامية من ثمار رمضان، فإنه على المستوى الفردي فرصة لاستعادة المبادرة وحشد العزيمة؛ ذلك لأن المسلم الذي يترك المباح من المأكل والمشرب وغيرهما طاعة لله هو على ترك ما لا يجوز أقدر، أو هكذا ينبغي أن يكون.

ويقول بنحماد: إن اشتراك المسلمين في هذه الطاعة التي خصها الله تعالى بما خصها به من الفضل كما في الحديث: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، لا ينبغي أن يحجب عنا بعض جوانب النقص التي وجب أن تتجه جهود الدعاة إلى استدراكها، وفي مقدمتها مظاهر الإسراف في النفقة في شهر رمضان، ذلك أن الشهر الذي هو في أصله للانتصار على الشهوات قد تحول مع الزمن وفي كثير من الأوساط إلى شهر الإنفاق الزائد عن الحاجة، وقد مدح الله تعالى عباد الرحمن بقوله: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾) (الفرقان)، وإلى هذه الوسطية ندعو دون تقتير ولا إسراف.

ومن مظاهر الخلل التي تنتشر في رمضان هدر الوقت، وتضييعه بما يجعل نهار رمضان وليله مختطفاً، ويصير الصائم مغبوناً فيهما كما في الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ»، وأعظم الغبن ما يكون في الأيام المباركة.

ويستدرك أن هذا لا ينبغي أن يحجب عنا الجوانب المضيئة الكثيرة في رمضان؛ وعلى رأسها محافظة المسلمين على شعيرة الصيام وتعظيمهم لها، وإن فاتهم شيء من مقاصدها وأبعادها، ومن الجوانب المضيئة ما نشاهده من الإقبال على بيوت الله وعمارة لها، وحرص على صلاة التراويح والقيام، ومن ذلك أيضاً العناية بالقرآن الكريم تلاوة وترتيلاً وتجويداً وتدبراً، وما ينظم من أجل ذلك من المسابقات المحلية والدولية.

ومن الجوانب المشرقة ما نشاهده من تنافس في توفير وجبة الإفطار، وفي تقديم المساعدات للمحتاجين بما صار يعرف بـ «قفة» رمضان، وفي الحديث: «من فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً».

رمضان انطلاقة إلى المعالي

وقال الشيخ جمال يمن، من شيوخ الشمال الغربي لتونس، ورئيس جمعية أئمة المساجد في بنزرت لـ «المجتمع»: القرآن نزل في رمضان، وعلينا تنزيله في واقعنا وحياتنا وحياة الناس، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، فلنا في رسول الله أسوة حسنة، وليكن رمضان انطلاقة جديدة، ومحطة إقلاع إلى المعالي الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وتابع: لنقوِّ صلتنا بالله في رمضان، ونقرأ القرآن، الذي يذكرنا دائماً بأن المؤمنين إخوة، وللأخوة حقوقها، كما لصلة الرحم حقها، وأردف: رمضان قوة روحية نستمد منها المدد لبقية شهور وأيام السنة، ونتزود منها لمعاركنا في دحض الشبهات ورد الأراجيف، ونبذ الخلافات، وإفساح المجال للمساجد ومختلف المنابر الإعلامية والسياسية لأداء دورها في محاربة الجريمة والتسيب والظلم والتجبر والإرهاب.

المعاني التربوية في رمضان

تزخر نصوص الشريعة قرآناً وسُنة بتعليل الأحكام وبيان إناطتها بمصلحة الفرد والأمة؛ (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

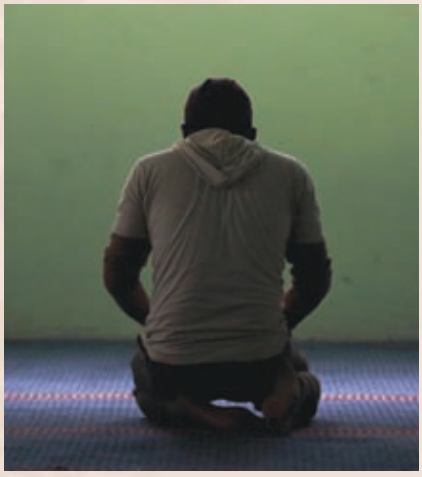

عبدالرحمن لطفي:

رمضان شهر مجاهدة النفس والأعداء.. وسلفنا الصالح حققوا فيه أعظم الانتصارات

مولاي عمر بنحماد:

اشتراك الأمة في مشارق الأرض ومغاربها في هذه الطاعة أعظم حافز لتذكيرها بوحدتها

المسلم الذي يترك المباح من المأكل والمشرب وغيرهما طاعة لله هو على ترك ما لا يجوز أقدر

الشيخ جمال يمن:

القرآن نزل في رمضان وعلينا تنزيله في واقعنا وحياتنا

رمضان فرصة لإفساح المجال للمساجد لأداء دورها في محاربة الجريمة والتسيب والظلم والتجبر والإرهاب

محمد ولد الرباني: رمضان فرصة لتعويد الإنسان على المشقة والحد من مظاهر الترف المرتبط غالباً بالطغيان والإفساد

رمضان موسم الخصوبة الإيمانية والنفحات الإلهية فاغتنموا منه ما استطعتم

بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾) (البقرة)، (مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾) (المائدة)، وقد روي عن كل من ابن عباس، وابن مسعود مقالة: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا؛ فأصغ إليها، فإما خير يسوقه إليك، أو شر يصرفه عنك».

وتأكيداً لهذا المعنى يقول محمد ولد الرباني، وهو أستاذ بمركز تكوين العلماء بموريتانيا: إن الصوم يشتمل على المعاني التالية:

أولاً: تعويد المسلم الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات، فالذي يضبط نفسه ويحبسها طيلة اليوم عما يعد في الأصل من المباحات والتفكهات الاعتيادية في الممارسة اليومية؛ يستطيع بذات الطريقة أن يضبط تلك النفس ويحبسها عما حرم الخالق جل جلاله أو على ما أوجب عليها؛ لأن التعود يصير عادة، والتطبع يصير طبعاً، وفي الصحيح ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

ثانياً: تعويد الإنسان على المشقة، والحد من مظاهر الترف المرتبط غالباً بالطغيان والإفساد: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴿١٦﴾) (الإسراء).

ثالثاً: تذكر نعمة الله عز وجل، فحين يجوع الإنسان أو يعطش أو يجد شبقاً لا يستطيع إطفاءه؛ سيشعر بما كان يتمتع به في عموم السنة من إباحة تلك الطيبات ووفرتها وهو غافل عن شكرها.

رابعاً: مواساة الفقراء والمحرومين؛ كما يكون الصوم عامل تذكر نعم الله على الغافل، فإنه يكون كذلك تذكرة بأحوال الفقراء والمحرومين الذي يعيشون ظروفاً كظروف الصوم في سائر السنة، فتتحرك العاطفة الإنسانية تحدوها الأوامر الإلهية في القرآن والسُّنة حاثة على الإنفاق كقوله تعالى: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾) (البقرة)، وكحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً» (أخرجه الترمذي، وصححه).

خامساً: أنه موسم الخصوبة الإيمانية والنفحات الإلهية؛ «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين» (متَّفق عليه)، وله طرق وألفاظ أخر، منها ما رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وابن حبان عن أبي هريرة: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النيران فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ كل ليلة يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»، وصح في الحديث المتفق عليه أنه «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأن الله سبحانه يقول فيما يرويه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (متفق عليه)، وصح أيضاً أن «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه» (في حديث متفق عليه).■

في رحاب رمضان..

منهج لبناء الأمة والمجتمعات الإسلامية على أسس ظافرة

بقلم: أ.د. حلمي محمد القاعود

في كل عام يأتي شهر رمضان المبارك، حاملاً للمسلمين نسائم روحية رقيقة تجدد حياتهم، وتلفتهم إلى أفضل القيم وأنْفَسِها في السلوك والعبادة والعلاقات الإنسانية، كما تهديهم إلى منهج رائع في مواجهة قضايا الحياة والمجتمع وطرق التعامل مع الأحداث والأطراف الأخرى ممن يتعايشون معهم أو يجاورونهم أو يعاملونهم.

لقد بدأت البعثة المحمدية في رمضان، حيث تم تكليف النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الدين الحق الخاتم، ونزل القرآن الكريم هدى ونوراً وخيراً للمسلمين والبشرية، قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ) (البقرة:١٨٥).

لا يشغلنا كثيراً الآن اليوم أو الليلة التي نزل فيها تحديداً القرآن الكريم في شهر رمضان حسب الروايات المتعدد إيذاناً بإعلان النبوة، ولكن الذي يعنينا هو نزول القرآن في الشهر المبارك؛ ليكون هداية إلهية للبشرية كافة؛ مثلما نزلت الكتب السماوية الأخرى في الشهر ذاته؛ مما يعني أن رمضان له منزلة خاصة في الوحي ورسالات السماء.

شهر نزول القرآن

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

في الشهر الذي أراد الله تعالى إكرام الأمة ببعثته صلى الله عليه وسلم، خرج النبي الكريم عليه الصلاة والسلام إلى غار حراء الذي كان يتعبد فيه عادة على ملة أبيه إبراهيم، حيث جاءه جبريل بالوحي لأول مرة.

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يعد هناك نوم! وأن هنالك تكليفاً ثقيلاً، وجهاداً طويلاً، وأنه الصحو والكد والجهد منذ ذلك النداء الذي يلاحقه ولا يدعه ينام! (انظر: تفسير سورة المزمل في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٦/ ٣٧٤٠).

إذاً هو منهج جديد يقوم على العمل

والجهد الذي لا يتوقف ينبئ عنه الوحي ومتطلباته، لبناء أمة جديدة تختلف تماماً عن الأمة القائمة التي تعيش في ظل الجاهلية بمعطياتها الوثنية وصراعاتها القبلية، ومنهج القوة الغلاب، ومنطق السادة والعبيد، وقيم اللذة والمادة بلا ضوابط، والانتصار للرجل على حساب المرأة لدرجة وأد الأنثى وهي صغيرة.. إلخ.

تكليف ثقيل وجهاد طويل

هذا المنهج الجديد الذي يُعنى - كما وصفه سيد قطب - بالتكليف الثقيل والجهاد الطويل والصحو والكد، هو الذي صنع أمة التوحيد تواجه العالم بالدين الخاتم، وتبسط جناحيها على الشرق والغرب، وتقدم نمطاً إنسانياً للحياة يقوم على العدل والرحمة والتعاون ونبذ العنصرية والرفق بالضعفاء ومساعدة المحتاجين، فضلاً عن التماسك والوحدة والاستسلام لله وحده والخضوع له.

ومن المفارقات أن صيام رمضان لم يفرض مباشرة في أول أمر الدعوة، ولكن منهج التدرج وترتيب البناء الإسلامي جعله في السنة الثانية للهجرة، قال النووي يرحمه الله: «صام رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان تسع سنين، لأنه فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة» اهـ (المجموع، ٦/ ٢٥٠).

وفكرة التدرج في التشريع والبناء الإسلاميين تعني الاستعداد للعمل والكد والجهاد لخدمة الدين والمجتمع، وهي فكرة حاضرة ومتضمنة في نزول الوحي «اقرأ»؛ مما يعني أن الأمة تحتاج إلى استعادة المنهج الإسلامي منذ البعثة المحمدية في شهر رمضان الذي يعني جمع الأنصار (المؤمنين بالدعوة) وتشرب تعاليم الدين الحنيف، واستخدام الإمكانات المتاحة لبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي ثم الأمة الإسلامية في خطوات متتابعة، كل خطوة تضيف إلى سابقتها من خلال عمل لا يكل ولا يمل، حتى يصل إلى الغاية المنشودة، وهي الوجود الإسلامي على أرض الواقع عزيزاً كريماً.

تطبيقات عملية

وإذا كان شهر رمضان قد شهد بداية المبعث وأوائل مراحل البناء الروحي والنفسي والفكري لقيام مجتمع إسلامي قوي؛ فقد شهد التطبيقات العملية لحماية الدعوة والمسلمين، في مرحلة النبوة وما بعدها حتى يومنا هذا، ويذكر التاريخ كثيراً من الانتصارات التي حققها المسلمون في رمضان، وشهود أحداث عديدة، وميلاد شخصيات بارزة في تاريخ الإسلام، وتحولات عظمى، وراءها دروس وعبر تكشف منهج الإسلام في بناء الأمة والدفاع عنها وصيانتها من الانهيار والضياع، وكثيراً ما نتحدث مثلاً عن انتصارات المسلمين التي تمت في شهر رمضان المبارك ونستعذب استعادتها في الأسماع والقلوب كما جرى في بدر والخندق وفتح مكة والقادسية وفتح الأندلس وعين جالوت والعبور في العاشر من رمضان، بيد أن استعادة حديث الانتصارات ينبغي أن يعيدنا إلى التعرف على كيفية تحقيقها، أو العلم بالطرق التي أدت إليها في هذا الشهر الفضيل.

الاعتصام بالقيم العليا

شهر رمضان فيه حرمان من الطعام والشهوات منذ الفجر حتى غروب الشمس، وفيه تعويد للسان والنفس على الترفع عن فاحش القول وسوء السلوك، والاعتصام بالقيم العليا التي تزكي النفس وتجلو الروح وتهدي القلب إلى طاعة الله تعالى، إنه شهر مجاهدة بلا ريب على المستوى الشخصي أو الذاتي، فكيف يكون الأمر إذا أضيف إلى هذه المجاهدة الجهاد بالمال والسلاح ومواجهة الأعداء؟

لا ريب أن الأمر سيكون صعباً وشاقاً، ولكن المسلمين استطاعوا في رمضان أن يحققوا معادلة مجاهدة النفس وجهاد الأعداء.

في غزوة بدر (٢هـ/ ٦٢٣م) مثلاً كان هناك قتال مع مشركي قريش بعد خمسة عشر عاماً من نزول الوحي؛ انتهى بنصر الله للمسلمين على الأعداء نصراً مؤزراً، وهو نصر غيّر موازين القوى في الجزيرة العربية، حيث أصبح المسلمون قوة لا يستهان بها، ونقلت مصير الدعوة من حالة الاستضعاف إلى مرحلة الوجود الفاعل القوي، وكما يقولون بلغة أيامنا رقماً مهماً يصعب تجاهله على المستويين الداخلي (في الجزيرة العربية)، والخارجي (الفرس والروم)، بعد أن كانوا مجموعة من أتباع دين جديد جاؤوا إلى يثرب (المدينة المنورة) طلباً للحماية والإجارة.

تفاصيل غزوة «بدر» تقدم لنا جانباً مهماً في تفكير هؤلاء الأتباع إزاء نبيهم وقائدهم صلى الله عليه وسلم، يتعلق بطريقة المواجهة مع جيش العدو الذي جاء من مكة مصحوباً بضجيج عال، تؤكده قوة ضخمة تفوق قوة المسلمين عدداً (ثلاثة أضعاف) وعدة، ووسائط قتالية بلغة عصرنا (قوات العدو راكبة فوق الخيل التي تشبه المدرعات والدبابات الآن، والمسلمون مشاة بسيوف ورماح ونبال).

المشاورة والمحاورة

ثم هناك طريقة المواجهة المباشرة.. كيف؟

كانت غاية المسلمين الاستيلاء على قافلة قريش التجارية التي يقودها أبو سفيان وفاء لبعض حقوقهم، ولما أفلتت القافلة، وجاءت قريش بجيشها الضخم لتقضي على المسلمين في المدينة، وهنا هبّ المسلمون بقيادة النبي

صلى الله عليه وسلم دفاعاً عن أنفسهم ودينهم.

ولكن المواجهة لم تكن عشوائية، فقد اجتمع المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت العبارة العنوان في اللقاء؛ هي قوله صلى الله عليه وسلم:

- «أشيروا عليَّ أيها الناس»!

أي أنه صلى الله عليه وسلم لم ينفرد بالرأي في طبيعة المواجهة، ولا كيفيتها، ولكنه أصغى للصحابة رضوان الله عليهم واستمع لوجهات نظرهم، وطلب معرفة آرائهم واستطلع مدى وحدة المهاجرين والأنصار وطاقتهم الروحية والمادية للقتال.

هذا هو منهج «أشيروا عليَّ أيها الناس» من نبي يوحى إليه، يدخل الحرب باتفاق مع المقاتلين ومعرفة استعدادهم للقتال، وهو ما كشفت عنه الأحداث بعدئذ حين قال أبو بكر رضي الله عنه لابنه عبدالرحمن ولم يكن قد أسلم بعد، إنه لو قابله في المعركة لقتله، بل إن أبا عبيدة رضي الله عنه يقابل أباه في المعركة فيقتله! وها هو مصعب بن عمير بعد نهاية المعركة يرى رجلاً من الأنصار يأسرُ أخاه أبا عزيز فيقول له: شدَّ وثاقه فإن أمَّه ذاتُ مال، فيقول أخوه: أهذه وصاتك بي؟! فيقول مصعب: هو - أي الأنصاري - أخي دونك!

التاريخ القريب

معركة «بدر» الرمضانية ترسي أسس الحركة في المجتمع المسلم وقت الحرب، وتعلمنا من خلال منهج «أشيروا عليَّ أيها الناس»، أن سياسة المجتمع الإسلامي لا تقوم إلا على أساس المشاورة والمحاورة، وليس على أساس الاستبداد والمصادرة، ويعلمنا التاريخ القريب أن الاستبداد أو الطغيان لا يحقق انتصاراً حقيقياً حتى لو صنع بعض الانتصارات في بدايات معاركه؛ لأن جنوده لا يملكون الروح الدافعة ولا العقيدة الراسخة، ولا التخطيط القائم على الشورى وتبادل الآراء وإقرار ما تتفق عليه الأغلبية.

في الحرب العالمية الثانية احتكر «أودلف هتلر»، زعيم ألمانيا؛ الرأي في حرب غير مشروعة، فحقق انتصارات هائلة في بداية المعارك واكتسح أوروبا وشمال أفريقية، ولكنه انهزم في النهاية، وفارق الدنيا منتحراً بالسم بعد أن بلغ عدد قتلى الحرب أكثر من ستين مليوناً، فضلاً عن الخراب والدمار في كل مكان شهد استخدام السلاح!

والشيء ذاته جرى مع حليفه في إيطاليا «بنيتو موسوليني» (الدوتش) الذي كان القسَم الإيطالي في عهده يقول: «باسم الله وإيطاليا أُقسم بأن أُنفذ أوامر الدوتش».

وكان النشيد الوطني الذي يردده الطلاب في طابور الصباح يقول: «أشكرك أيها الدوتش لأنك تمنحني ما يجعلني أنمو قوياً سليماً، يا رب احفظ الدوتش واجعله يحيا طويلاً من أجل إيطاليا والفاشية».

بعد الهزيمة المذلة عُلقت جثة «موسوليني» (الدوتش) في إحدى محطات تموين السيارات بعد إعدامه.

منهج «هتلر» وكذلك «موسوليني» لا يقره الإسلام؛ لأنه منهج فرعون الذي رد على الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه حين سأله: فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟ بقوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) (غافر:٢٩)، هذا الاستعلاء وتلكَ الغطرسة لا يقرهما الإسلام، الذي جعل للشورى سورة كاملة في القرآن الكريم يتعبد بها المسلمون في صلاتهم منذ البعثة حتى يوم الدين.

ولا ريب أن المنهج الإسلامي الذي وضعه الإسلام لبناء حركة المسلمين في مواجهة الحياة والأخطار، يحقق القدرة على النصر بإذنه تعالى، ويعصم المسلمين من الهزائم المذلة التي يتعرضون لها بسبب بعدهم عن هذا المنهج.. هل نذكّر باجتياح الصليبيين للشام والتتار لدولة الخلافة، والقشتاليين لدولة الأندلس، والروس للقوقاز؟

رمضان المبارك يفيض بنفحاته وعطاياه ودروسه على المسلمين، ويا لها من بركات تتنزل على من يعتبر، ويسكن الإيمان قلبه، ويخلص الطاعة لله تعالى.■

رمضان يفيض بنفحاته وعطاياه ودروسه على المسلمين ويا لها من بركات تتنزل على من يسكن الإيمان قلبه ويخلص الطاعة لله

فكرة التدرج في التشريع والبناء الإسلاميين تعني الاستعداد للعمل والكد والجهاد لخدمة الدين والمجتمع

هو شهر مجاهدة على المستوى الشخصي فكيف إذا أضيف إلى ذلك الجهاد بالمال والسلاح ومواجهة الأعداء؟

معركة «بدر» ترسي أسس الحركة في المجتمع المسلم وقت الحرب وتعلمنا أن سياسة المجتمع الإسلامي لا تقوم إلا على أساس المشاورة وليس الاستبداد

رمضان في مصر..

صيام وإفطار وقيام بطعم السياسة

القاهرة: علي عليوة

يأتي شهر رمضان في مصر للعام الثالث على التوالي بلون مختلف عن الأعوام السابقة؛ فبعد أحداث الثالث من يوليو، أضيف للمظاهر الرمضانية المتعارف عليها بعض المظاهر الأخرى ذات الدلالة السياسية؛ مثل الاحتجاجات شبه اليومية التي ينظمها أنصار د. محمد مرسي، أول رئيس مصري منتخب ديمقراطياً، للمطالبة بعودته وعودة الشرعية، بالإضافة إلى الاعتراض على بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تفاقمت خلال هذه الفترة، مثل ارتفاع الأسعار وغياب الأمن وتغول جهاز الشرطة على المواطنين.. إلخ.

أما على المستوى الاجتماعي، فيتسابق الشباب والأطفال قبيل دخول رمضان، ويتنافسون على تزيين شوارعهم والمحال التجارية بمختلف الأنوار، احتفالاً بالشهر الكريم بالورق الملون واللافتات المكتوب عليها عبارات الترحيب، وفضل الصيام، والفوانيس الملونة المصنوعة من الورق والخشب والتي تضاء بعد الإفطار وتجعل شوارع المدن والقرى أكثر جمالاً ومتعة للعين.

ويتعاون الأطفال والشباب في المدينة أو القرية بشكل تكافلي في هذه الزينة؛ حيث يتم تجميع الأموال اللازمة لشراء مستلزمات الزينة ابتداء من النصف الثاني من شهر شعبان من أصحاب الشقق والمنازل الواقعة في الشارع كل حسب استطاعته، بالإضافة إلى تزيين وإضاءة منارات المساجد ترحيباً بشهر الصوم.

وتتضمن هذه الزينات عبارات تكتب على أوراق الزينة المعلقة منها «أهلاً رمضان»، «أهلا شهر الصيام»، «مرحباً شهر القرآن والغفران»، فيشعر الطفل بأن رمضان عيد مميز يحتفل به، كما تزين الشوارع والمحلات بالفوانيس الكبيرة الحجم والأنوار.

موائد الرحمن

ولا يقتصر شهر رمضان في المدن والقرى على عادة تزيين الشوارع والمحال فقط، بل نجد ظاهرة «موائد الرحمن» التي يقدم فيها أشهى المأكولات الرمضانية واللحوم لإفطار الصائمين الفقراء، ولا تخلو منها المساجد والشوارع الرئيسة والميادين.

ويتولى بعض التجار أو المنتمين إلى الأحزاب السياسية تمويل تلك الموائد الرمضانية، ويتكفلون بتزيين الشوارع وتنظيفها، معتبرين هذا نوعاً من أعمال البر والدعاية.

وما إن تعلن دار الإفتاء المصرية عن بداية شهر الصيام حتى تموج شوارع

القاهرة والمدن الأخرى وحاراتها بالمواطنين الذين يحرصون على التزاور لتبادل التهنئة والتبريكات مع الأهل والأقارب والأصدقاء، وتبدأ العربات التي تبيع الفول والعرقسوس (مشروب شعبي مصري) تنتشر في الطرقات ومداخل الحارات وفي الساحات والميادين التي تجد إقبالاً كبيراً من المصريين طوال شهر رمضان، وتبدأ المحلات في عرض فوانيس رمضان التي يقبل عليها الناس كباراً وصغاراً.

المسحراتي وفرحة الأطفال

ومع أول يوم من رمضان يبدأ «المسحراتي»، وهو شخص يجوب شوارع المنطقة التابع لها طوال شهر الصوم وهو يحمل طبلة وعصا يضرب بها على الطبلة ليصدر عنها صوتا عالياً بهدف إيقاظ الناس قبل صلاة الفجر بساعة ليقوموا بتجهيز الطعام وتناول السحور استعداداً للصيام وأداء صلاة الفجر، وعادة ما يلتف حوله الأطفال ويطلبون منه ذكر أسمائهم خلال إيقاظ النائمين حين يقول: «اصحَ يا نايم وحد الدايم.. رمضان كريم»، فيقول مثلاً: «اصحَ يا محمد وحد الدايم»، ويفرح الطفل محمد بهذا النداء فرحاً شديداً.

وتمتلئ المساجد بالمصلين لأداء صلاة التراويح عقب صلاة العشاء، ويضطر الكثير من المصلين لافتراش المصليات للصلاة خارج المساجد بسبب ازدحام المسجد وامتلائه بالمصلين، ومعلوم أن لكل مناسبة من المناسبات المصرية نوعاً معيناً من الطعام يرتبط بتلك المناسبة، وفي رمضان يرتبط الناس بالكنافة والقطايف وكافة أصناف الحلويات الشرقية ولقمة القاضي والتمر والمكسرات بأنواعها.■

العربات التي تبيع الفول والعرقسوس تنتشر في الطرقات ومداخل الحارات والساحات والميادين التي تجد إقبالاً كبيراً من المصريين طوال الشهر

أُضيفَ للمظاهر الرمضانية المتعارف عليها بعض المظاهر الأخرى ذات الدلالة السياسية مثل الاحتجاجات المطالِبة بعودة الشرعية

رمضان في تونس..
تهيئة للعطلة الصيفية
بـ١٠٠ ألف حافظ للقرآن

تونس: عبدالباقي خليفة

رمضان محطة مهمة في حياة الإنسان والأسرة والمجتمع، يطوف حولها قطار العمر في حيز الزمن المكتوب منذ الأزل، وهو رمز للحياة في طاعة الرحمن، وهذا ما يستلهم من دعاء «اللهم بلغنا رمضان»، ودأب الواعون من الأمة على ترديد هذه الأدعية لمركزية رمضان في الحياة، فهي دليل عليه، كما أنه دليل عليها.

فرمضان من جملة ما أشار إليه المولى في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال)، فكل آية تبدأ بـ «يا أيها»، هي دعوة للحياة، وخلافها الموت الوجودي الزؤام، وكان الصيام من بين هذه الدعوة كما ورد في الآية (١٨٣) من سورة «البقرة».

الإقبال على المساجد:

من الظواهر الجيدة التي يلاحظها المرء في رمضان بتونس، هي امتلاء المساجد ولا سيما في صلاة العشاء والتراويح، إذ إن الكثير ممن لا يرتادون المساجد يتوجهون في رمضان لأداء الصلوات، وغالباً ما يواصل الكثير منهم أداء الصلاة بعد رمضان، في حين يعود البعض إلى ترك الصلاة، وخاصة أولئك الذين لا يواظبون على حضور الدروس التي يزداد عددها ونوعها في رمضان مقارنة بأيام وشهور السنة الأخرى، ويلاحظ أن الذين يستمرون في أداء الفريضة التي هي عماد الدين، هم أولئك الذين تشربت قلوبهم الإيمان، وأدركوا معنى أن يكونوا ربانيين لا رمضانيين، وهي العبارة التي يرددها كثيراً الدعاة في شهر رمضان.

مسابقات حفظ القرآن:

تنتشر في تونس الكتاتيب القرآنية، التي زاد عددها بعد الثورة، وتقيم الجمعيات ووزارة الشؤون الدينية مسابقات حفظ القرآن، وغالباً ما تكون في ليلة السابع والعشرين من رمضان، حيث تزدان المساجد بالأنوار، ويعم أرجاء الكثير منها البخور، وتظل صوامعها كما لو كانت أعمدة هندسية من نور طيلة الشهر الفضيل، حتى إن الكثير منها يرى على

بعد أميال وأميال.

ويأتي رمضان هذا العام وسط دعوة من وزارة الشؤون الدينية لفتح المدارس والمعاهد ومراكز التعليم المختلفة لتحفيظ القرآن الكريم في العطلة الصيفية التي تتزامن مع شهر رمضان المبارك، وتخريج مائة ألف حافظ.

الإفطارات العائلية وصلة الرحم:

تختلف تونس عن بعض الدول الإسلامية التي تقام فيها إفطارات جماعية يحضرها الآلاف من الناس، حيث لا تزال الإفطارات الجماعية على تلك الشاكلة غير مشهورة، وإن تم في رمضان الماضي إفطار جماعي في ساحة القصبة في تونس العاصمة، ويتوقع أن يتكرر هذا العام تحت شعار «الوحدة في مقاومة الشرور»، ويضم ممثلين عن الأحزاب وجمعيات المجتمع المدني وممثلي الأديان المختلفة.

كما أن هناك إفطارات جماعية كبيرة بعض الشيء تقوم بها بعض الأحزاب، على غرار ما يقوم به حزب حركة النهضة في تونس، وتدعى إليها الشخصيات السياسية والعامة، ودون العامة، بيد أن عادات أخرى أكثر عمقاً وقرباً من سمت الإسلام، وهي الإفطارات العائلية التي تعد من أهم عوامل تقوية أواصر وروابط صلة الرحم، حيث تدعى العائلات للإفطار عند بعضها بعضاً، أو دعوة أفراد منها للإفطار.

وهناك ظاهرة تبادل الجيران للأطعمة، حيث تزدان موائد الإفطار بكل ما لذ وطاب، وغالباً ما يحدث هذا ويرتب له من قبل النساء، ويمكن للمرء أن يشاهد الأطفال قبيل أذان المغرب وهم ينتقلون في الحارات بالمدن، أو المسارب بالقرى والأرياف، من بيت إلى بيت يحملون الصحون والجفان، ويعودون بالشكر والامتنان، وكثيراً ما يعودون إلى جانب ذلك بطعام آخر من البيت الذي حمل له الطعام.

عادات سيئة:

لئن كان رمضان فرصة للكثير من العباد للتزود ليوم الميعاد، إلا أن هناك من يغفل عن هذا الشهر، فيقضيه في النوم أو لعب الورق، أو الانتقال من فضائية إلى أخرى ومن مسلسل لآخر، واستغلت الكثير من الجهات عن طمع أو حسن نية أو سوء طوية، ما جبلت عليه الأنفس غير السوية من فضول، وخوار العزيمة، وضعف الهمة لترويج

الكثير ممن لا يرتادون المساجد للصلاة يواظبون عليها في رمضان وغالباً يواصلون أداءها بعده

الكتاتيب القرآنية تنتشر في البلاد وزاد عددها بعد الثورة وتقيم الجمعيات ووزارة الشؤون الدينية مسابقات حفظ القرآن

الإفطارات العائلية تعد من أهم عوامل تقوية أواصر صلة الرحم

بضائعها الفاسدة المفسدة، والإشهار التلفزي المزين للاستهلاك، وإن كان فيه الهلاك على مختلف المستويات؛ إذ إنه لا يمكن الحديث عن المحاسن دون ذكر المساوئ التي تنوء بها مجتمعاتنا، وسعى البعض لتحويل عباداتنا إلى ما يشبه مناسبات الأديان الأخرى، فرصة للمعصية وإعلاء طلبات الجسد، وتغييب استحقاقات الروح؛ فيغدو رمضان مجرد طعام وسهر ومسلسلات وفوازير وما شابه ذلك.

رمضان.. انطلاقة إلى المعالي:

وبهذه المناسبة، قال الشيخ جمال يمن، من شيوخ الشمال الغربي لتونس، ورئيس جمعية أئمة المساجد في بنزرت لـ «المجتمع»: القرآن نزل في رمضان، وعلينا تنزيله في واقعنا وحياتنا وحياة الناس، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، فلنا في رسول الله أسوة حسنة، وليكن رمضان انطلاقة جديدة، ومحطة إقلاع إلى المعالي الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

وتابع: لنقوِّ صلتنا بالله في رمضان، ونقرأ القرآن، الذي يذكرنا دائماً بأن المؤمنين إخوة، وللأخوة حقوقها، كما لصلة الرحم حقها، وأردف: رمضان قوة روحية نستمد منها المدد لبقية شهور وأيام السنة، ونتزود منها لمعاركنا في دحض الشبهات ورد الأراجيف، ونبذ الخلافات، وإفساح المجال للمساجد ومختلف المنابر الإعلامية والسياسية لأداء دورها في محاربة الجريمة والتسيب والظلم والتجبر والإرهاب.■

رمضان في الجزائر.. روحانيات وطقوس خاصة

نسخ القرآن والكتب الدينية الأكثر رواجاً في هذا الشهر

الجزائر: عبدالعالي زواغي

يستقبل الجزائريون شهر رمضان ويحتفون به، كما لو أنه ضيف عزيز هَلَّ عليهم بعد طول غياب، فتحن إليه الأنفس وتترقب وصوله بلهفة، لذلك تجدهم يسارعون إلى ترتيب بيوتهم والإقبال على العبادات والطاعات، فهو بالنسبة إليهم مناسبة سانحة لتجديد الإيمان في القلوب وتعزيزه، وفرصة لكسب المزيد من الثواب والأجر، من خلال العديد من الأعمال التي ألفوا القيام بها طيلة الشهر الفضيل، وتوارثوها جيلاً بعد جيل ولم تندثر بعد.

غالباً ما يبدأ شهر رمضان عند الجزائريين قبل دخوله المحدد، فخلال الأيام التي تسبق ذلك، تسارع الأسر الجزائرية إلى تهيئة بيوتها وتنظيفها، وبعض الجزائريين يغيرون حتى طلاء البيت ويستبدلون الستائر والأفرشة القديمة بأخرى جديدة احتفالاً بقدوم هلال رمضان، في حين تقبل النساء الجزائريات على الأسواق بغرض شراء مستلزمات الطبخ، خصوصاً الأواني والملاعق والمناشف الجديدة لتزين مائدة الفطور، لتبدو في أجمل حلة، وتساعد على فتح شهية الصائمين، والتلذذ بمختلف الأطباق والحلويات الشهية التي يتم إعدادها وصناعتها حصرياً طيلة أيام الشهر الفضيل.

موازاة مع ذلك، تزدهر في الأسواق الجزائرية تجارة السجاد الخاص بالصلاة والقمصان الرجالية والعطور، خصوصاً المسك والعنبر والسواك، حيث يكثر عليها الطلب من طرف الجزائريين بمختلف انتماءاتهم ومناطقهم، زيادة على الإقبال الكثيف على شراء نسخ من القرآن الكريم، فرمضان هو الوقت المناسب للتصالح مع كتاب الله والإكثار من قراءته وتلاوته مقارنة بغيره من الأوقات والأشهر، لذلك تعتبر نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية الأكثر رواجاً في معارض الكتب التي تقام في الجزائر، والتي يحرص أصحابها على تنظيمها قبل وخلال أيام الشهر الفضيل لتلبية الطلب المتزايد عليها.

وتأصلت لدى المجتمع الجزائري منذ عقود سُنة حسنة تسمى بـ «مطاعم الرحمة»، حيث يسارع أهل الخير والمال إلى تجهيز مطاعم إفطار جماعي للصائمين من الفقراء والمحتاجين، سواء بتكليف المطاعم الخاصة التي يتوقف عملها في شهر رمضان، بالإشراف على هذه المهمة وتزويدها بمختلف الأطعمة والمشروبات ودفع جميع مصاريفها، أو من خلال افتتاح مطاعم خاصة بالشهر الفضيل لإطعام عابري السبيل واللاجئين الموجودين في الجزائر من الدول الأفريقية وغيرها.

روحانيات وأطباق شهية

ألفَ الجزائريون منذ أن عرفوا التلفزيون لأول مرة متابعة لجنة الأهلة التي تجتمع ليلة الشك للإعلان عن أول يوم من رمضان، فهذه الطريقة تبقى المفضلة لديهم لمعرفة أول أيام الصيام، رغم زحف مواقع التواصل الاجتماعي التي باتت تنافس التلفزيون، والتي لم تزحزح شهرة برنامج لجنة الأهلة الذي يحظى بشعبية كبيرة ومتابعة كثيفة.

وتشهد مساجد الجزائر منذ اليوم الأول للشهر الفضيل، توافداً كبيراً للمصلين من مختلف الأعمار، وتعمر في جميع أوقات الصلاة، حتى إن القائمين على بعضها يلجؤون إلى فرش الساحات المجاورة للمسجد لاستقبال المصلين، خصوصاً في

صلاة التراويح.

وإن كانت ليالي رمضان تعج بالحركة والنشاط، فإن نهاراته تقل فيها الحركة صباحاً حتى منتصف النهار، وتبدأ الأسواق تستقبل الآلاف من الناس لاقتناء مختلف الأطعمة والحلويات، وهذه المهمة توكل للرجل الجزائري المطالب بحمل قفة مليئة بمختلف المواد الغذائية والتوابل التي تحتاجها الزوجة لإعداد سُفرة متنوعة وغنية بالحريرات، وعادة ما تبدأ المرأة الجزائرية في إعداد الإفطار بعد صلاة العصر، وإن كانت الأطباق تختلف من منطقة لأخرى، إلا أن الجزائريين يتفقون على ضرورة ألا تخلو مائدة أي أسرة فقيرة أو غنية من طبق الشربة أو الحريرة المليئة بمرق اللحم والدجاج والمميزة بتوابل خاصة وقوية كالفلفل والبقدونس ورأس الحانوت والزعفران، وأيضاً الحلويات الرمضانية المشهورة مثل الزلابية والقطايف وقلب اللوز وحلوى الشامية، إضافة إلى أفضل المشهيات عند الجزائريين، صغيرهم وكبيرهم، وهو «البوراك» أو كما يسمى أيضا «الديول»، الذي يحظى بشعبية كبيرة، وهو عبارة عن لفائف محشوة بالجبنة أو اللحم أو السمك، بحسب قدرة الأسرة وأذواق أفرادها.

كما يميل الجزائريون خلال إفطارهم إلى الإقبال على المشروبات الغازية بمختلف أنواعها، أكثر من إقبالهم على اللبن، وهنا يمكن أن تتميز المناطق الجنوبية عن الشمالية، حيث يعتبر اللبن والتمر أول ما يفطر عليه الصائمون في الجنوب، ولا غنى عنه طيلة أيام الصيام.

ومباشرة بعد الإفطار، يخرج الرجال بصحبة أطفالهم لأداء صلاة التراويح، حيث يتم اختيار المساجد التي يؤمها قراء يمتازون بعذوبة الصوت وجمال التلاوة، ويتم عادة انتدابهم من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وتوزيعهم على مختلف المساجد، حتى تلك المتواجدة في مناطق معزولة من الجزائر، لذلك فحفظة القرآن خلال شهر رمضان يحظون باحترام وتقدير شديدين، ويتم تكريمهم عند ختم القرآن الكريم في أواخر الشهر الفضيل وتوديعهم قبل العودة إلى مناطق سكناهم، خصوصاً القراء من أبناء الجنوب الجزائري الذين يمثلون الأغلبية من حفظة القرآن في المساجد الجزائرية خلال رمضان.

يزيد بذل الجزائريون وعطاؤهم في رمضان من خلال إعداد موائد للفقراء وتوزيع العطايا عليهم، خصوصاً أولئك الذي يقصدون المساجد ليحظوا بالصدقات والتبرعات، في حين انتشرت خلال السنوات الأخيرة مجموعات شبابية تقوم بالوقوف على أرصفة الطرقات لتقديم وجبات الفطور والسحور للمسافرين الذين تعذر عليهم ذلك، خصوصاً في الطرقات التي تعبر مناطق معزولة يتعذر فيها العثور على مطعم.

ويمتاز ليل رمضان بخروج العائلات الجزائرية للتزاور فيما بينها أو الترفيه والتمتع بأوقات مليئة بالفرجة والتسلية في المراكز المعدة خصيصاً لذلك، أو على الكورنيش بالنسبة للمدن الكبرى والساحلية، دون أن يتم تفويت البرامج الفكاهية التي تبثها مختلف القنوات المحلية وتحظى بشعبية كبيرة.

طقوس مميزة

تشتهر الأسر الجزائرية بطقوس مميزة تختص بشهر رمضان وحده، فالمرأة تحرص على تعليم بناتها الطبخ من خلال استغلال تعدد الأطباق التي يتم إعدادها خلال الشهر الفضيل، كما أن رمضان فرصة لغرس المبادئ الإسلامية في نفوس الأطفال، فتجد الأسر تحرص على تعليم أولادها الصوم، ويتم الاحتفال بأول يوم يصومه الأولاد بطريقة شرعية، ذكرانهم وإناثهم، حيث يتم إلباس الطفل الذكر أجمل الألبسة التي يشتريها الوالدان خصيصاً لهذه المناسبة، ويوضع على كتفيه البرنوس الأبيض، وعلى رأسه طاقية أو لحاف ويتوسط المائدة، أما البنت فتقوم بارتداء فستان تقليدي جديد حسب تقاليد وطبيعة كل منطقة، وتجلس وسط أفراد العائلة كأنها ملكة، للتلذذ بمختلف الأطباق المعدة على شرفهم مثل طاجين الحلو والغرايف، ويستمر الاحتفال حتى أوقات متأخرة من الليل، تزينه الحلويات المختلفة خصوصاً قلب اللوز وأكواب الشاي المعطر بالنعناع.

وتحظى ليلة القدر بمكانة خاصة عند الجزائريين، ففي ليلة السابع والعشرين من رمضان، يتم تكريم حفظة القرآن؛ صغيرهم وكبيرهم، في أجواء خاصة بالمساجد، ويتم أيضاً توديع القراء الذين أَمُّوا المصلين في صلاة التراويح، وإكرامهم بالهدايا والعطايا في أجواء بهيجة، كما أن ليلة القدر بالنسبة للجزائريين مناسبة مهمة لتنظيم حفلات ختان الأطفال، حيث تقام الأعراس في البيوت الجزائرية بهذه المناسبة، ويتم دعوة الأقارب والجيران في لَمَّة يندر أن توجد في سواها من الأيام، كما تقام حفلات الختام الجماعي لأطفال الأسر الفقيرة وبنفس طقوس الفرح والابتهاج، كما تعتبر هذه الليلة أيضاً وقتاً مناسباً للأم الباحثة عن زوجة لأحد أبنائها، فبعد صلاة التراويح وختم القرآن تلتقي النسوة اللواتي دأبن على هذه الصلاة في المسجد ويتقدمن للفتاة التي جذبت انتباه إحداهن خلال صلوات التراويح، من أجل طرح الفكرة عليها، وبهذه الطريقة تتم زيجات كثيرة تيمناً ببركات ليلة القدر.

كما يحرص الجزائريون على تحضير إفطار خاص بهذه الليلة دون سواها، يتمثل في طبق الشخشوخة أو الترويدة، المشبعة بمرق اللحم والدجاج والخضروات، وإشعال الشموع في البيوت وأعواد المسك التي تَعُمُّ روائحها كل الغرف، وفي الأيام الأخيرة، يقبل الجزائريون على اقتناء ملابس العيد للأطفال وتحضير الحلويات، ويودعون رمضان بأدعية تطلب من الله أن يطيل جميع أعمار أفرادها لصيام رمضان في العام المقبل.■

«البوراك» من الأطباق التي تحظى بشعبية كبيرة عند الجزائريين

افتتاح مطاعم خاصة لإطعام عابري السبيل واللاجئين الموجودين

«البرنوس الأبيض» و«الفستان التقليدي» ألبسة يتزين بها الأطفال في أول يوم من رمضان

«الشخشوخة» طبق خاص يحرص الجزائريون على تحضيره في ليلة القدر

سورية تكتب ذكرياتها الرمضانية بالدموع

كتب: عمار حمو
* كاتب سوري

يستقبل الشعب السوري شهر رمضان المبارك للمرة السادسة في ظل الثورة السورية، ولم يكن بحسبان السوريين؛ موالين لنظام «الأسد» أو معارضين له، أن تتحول سورية إلى ساحة حرب طويلة، وواحدة من أخطر بقاع الأرض، تختفي فيها أبسط مقومات الحياة والأمان.

شهر الخير عادة ما يحلّ على بلاد المسلمين ويحمل معه البهجة والسرور، ويستقبله المسلمون كلٌ حسب عاداته وتقاليده، فيصبغون هلال رمضان بطيفٍ من الألوان بما يعكس تنوع بلادهم ثقافياً واجتماعياً، وهكذا كانت سورية.. ولكن اللون الأحمر؛ لون الدم، هو الحاضر في سنيّ الثورة، ولعلّه أشد قتامة هذا العام من أعوام الثورة التي سبقته.

تميزت دمشق في تقاليدها وعاداتها الرمضانية على الحواضر العربية والإسلامية، لا سيما عادات أهل الشام العريقة، التي توارثوها عن أجدادهم، لتعكس روح التراث والأصالة والحب، من بينها عادات تكاد تندثر إلا في الشام!

طقوس وعادات.. مختفية!

مع دخول رمضان إلى سورية تعود مصطلحات لطالما يحنّ الناس إليها «المسحراتي، مدفع رمضان، العرقسوس، قمر الدين (عصير المشمش)، التمر الهندي»، ويعود المسحراتي بلباسه العربي التقليدي ليجوب أزقة وحارات الشام، بعباراته الساحرة وصوت طبلته «يا نايم وحد الدايم.. يا نايم وحد الله»، «قوموا على سحوركم.. جاء رمضان يزوركم».

اليوم يعود «الفولكلور الرمضاني» إلى عواصم إسلامية عدّة تحاكي التراث الدمشقي، إلا دمشق صاحبة التراث غائبة عن فلكلورها وتراثها نظراً للدماء التي تراق على أرضها، المسحراتي يجوب عواصم عربية وإسلامية، يخاطب الناس بلسانه الشامي، ولكنه لا يجرؤ الدخول إلى أرضه التي ولد فيها، وأخذ تراثه منها.

حصار وتجويع

رمضان السوريين اليوم مختلف، واستعدادهم لاستقبال الشهر الكريم غير الذي عهدناهم عليه، عددٌ من المدن والبلدات السورية تقبع تحت حصار فرضه النظام السوري عليهم، لا يجدون ما يسد رمقهم، كالغوطة الشرقية، ومعضمية الشام، وجنوب دمشق، ومخيم فلسطين، والزبداني، ومضايا، علاوة عن مئات الآلاف من السوريين النازحين إلى المخيمات العشوائية على الشريط الحدودي للبلدان المجاورة.

ومن نجا من الحصار والتجويع وقع تحت وطأة قصفٍ ومعارك يومية، تسلب منه أبسط مقومات الحياة، هذا إن لم تسلب منه روحه، أو تفجعه بعزيز، فليس نهارهم معاشاً، ولا ليلهم سباتاً، ومن نجا من نظام

الأسد وقع ضحية تحت حكم تنظيم الدولة «داعش»، أو اقتتال داخلي بين فصائل المعارضة.

وما يزيد من ضنك السوريين في شهرهم هذا، أنهم باتوا أمام مفترق طرق، فإما مناطق سيطرة النظام حيث القبضة الأمنية والاعتقالات التعسفية وغلاء المعيشة، أو مناطق سيطرة المعارضة عرضة للبراميل المتفجرة أو نيران صديقة ناتجة عن اقتتال داخلي، أو مناطق سيطرة «تنظيم الدولة الإسلامية» (داعش) حيث «السكين» المصلتة على رقاب الشعب، أو الهجرة إلى الشتات وكما يقال: «الغربة كربة».

استقبلت سورية وأهلها رمضان، ولكن على غير عاداتهم السابقة، مع حلول منتصف شهر شعبان بدأت المطابخ الخيرية، والهيئات الإغاثية تطلق حملاتها لإفطار صائم، وإطعام جائع، وجهزّت المؤسسات «طرود الخير» لتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، واللافت أن غالبية أبناء المناطق المحررة في سورية هم من هذه الطبقة.

ليس الجوع وحده يشغل أبناء المناطق المحررة في سورية، فانعدام الكهرباء عن معظم مناطق سيطرة المعارضة منذ ما يزيد على ثلاث سنوات يضاعف معاناتهم، لا سيما ارتفاع درجات الحرارة في هذه الأيام، وطول ساعات الصيام.

فالغوطة الشرقية في ريف دمشق تعيش في حصار بلا كهرباء ولا وقود منذ ما يزيد على ثلاث سنوات؛ ما دفع أهلها إلى اللجوء إلى بدائل تخفف معاناتهم، ومع كل مساعيهم والبدائل التي أوجدوها خلال الأعوام التي خلت، لا تزال إحدى أهم أمنياتهم في رمضان تحديداً الحصول على الماء والشراب البارد، ولكن هذه الأمنية تتحقق لقلة قليلة في الغوطة، وتبقى حلماً عند الكثير من أبنائها.

رصدت «المجتمع» مزيجاً من آراء الشارع السوري في عدد من المحافظات السورية، حول استقبالهم لشهر رمضان المبارك، كيف كانوا؟ وأين صاروا في ظل الصراع الذي تعيشه بلادهم؟

في الحسكة.. صيام مضاعف

محافظة الحسكة شمالي سورية، من أخصب الأراضي الزراعية في سورية، يقول أحد أبنائها لـ «المجتمع»: كان رمضان أروع أيام السنة، نعيش أيام رمضان قبل قدومه، نأخذ سجّاد المساجد، ونوزعه على البيوت لتنظيفه، ومن عادات أهالي الحسكة إقامة إفطار جماعي في بيت أحد عائلات القرية، ويتبادل الأهالي أطباق الطعام، ويتسابقون إلى ضيافة الغريب في منازلهم.

صيام أبناء الحسكة أصبح مضاعفاً لا سيما في السنوات الأخيرة، حيث يوافق شهر رمضان أيام الصيف، فأهل الحسكة يعملون في الزراعة، يحصدون ويسقون في حرّ النهار، وهو ما يميز سحورهم عن باقي المحافظات السورية كدمشق، فمائدة السحور تحتوي على السمن العربي، والتمر، واللبن.

والحسكة اليوم تشهد وجود ثلاث قوى متصارعة؛ «تنظيم الدولة الإسلامية»، «حدات حماية الشعب الكردية»، قوات النظام السوري، ويعاني أهلها من ارتفاع أسعار المواد الغذائية، والأراضي الزراعية تحولت إلى أرض للمعارك.

> الحصار والتجويع والغلاء والخوف.. طقوس رمضانية تحت وطأة قصف ومعارك يومية

> «الفولكلور» الرمضاني الدمشقي حاضر في العواصم العربية والإسلامية وغائب في بلده دمشق

في الرقة.. «داعش» أفسد النسيج الاجتماعي

وعلى ضفاف الفرات محافظة الرقة، أو «رقة الرشيد»، حيث جعلها الخليفة العباسي هارون الرشيد عاصمة له، لتصبح في عهده مركزاً علمياً وثقافياً مهماً، واليوم تعيش الرقة تحت حكم الخليفة، خليفة تنظيم «داعش»، لتعيش أسوأ حالاتها، سكين مصلتة على رقاب أهلها، والفقر والجوع يقتحم بيوتها، وطيران التحالف الدولي لا يغادر سماءها بغية قصف تنظيم «داعش»، ولكن أهلها هم الضحية، تعدد القاتل والضحية وحدهم.

«لا تسأل أي رقاوي لأن دموعه ستجيبك» بهذه العبارة بدأ شاب «رقاوي» كلامه لـ «المجتمع»، فشهر رمضان في الرقة هو شهر اجتماع الأهل والأحبة، المسافر يعود للرقة ليقضي شهره الكريم بين أهله وأحبابه.

«والآن يستحيل أن تجد أسرة رقاوية كاملة مجتمعة»، قالها ابن الرقة بتحدٍّ، ففي كل عائلة شهيد أو معتقل، أو مشرد أو ملاحق، أو مجند إجبارياً في صفوف «تنظيم الدولة»، لذلك أن تجد أسرة رقاوية مجتمعة على مائدة واحدة هذا ضرب من الخيال، ويضيف ابن الرقة: لا أبالغ إن قلت: إن تنظيم «داعش» أفسد النسيج الاجتماعي لأبناء الرقة.

درعا.. الثورة

أما في محافظة درعا جنوبي سورية، أو ما يطلق عليها سهول حوران، يحلّ رمضان عليها، ويصّور النسيج الاجتماعي بأبهى صوره، قبل الإفطار بدقائق يتبادل الجيران أطباق الطعام، وتكثر الولائم بين الناس، كما أن مساجد درعا تعمر في صلاتي الفجر والتراويح وكأنهم حضروا لأداء صلاة الجمعة لكثرتهم.

ولكن رمضان حوران لهذا العام مغاير لما مضى، تعيش سهول حوران اقتتالاً دامياً بين فصائل المعارضة فيها، بعد أن كانت نموذجاً لقوى المعارضة على الأرض السورية، لا سيما أنها أولى المحافظات التي خرجت ضد النظام السوري، وبسط الثوار سيطرتهم على معظم أرضها خلال سنوات الثورة، ولكنهم اليوم يخسرون ما كسبوه لصالح النظام أو فصائل يقال: إنها تتبع لتنظيم «داعش».

في أيام رمضان الأخيرة، يستعد السوريون لطقوس تحضير حلوى العيد، إذ إن سورية اشتهرت بصناعة الحلويات، وتنوعت أصنافها، واشتهرت كل محافظة بصنف يميزها عن غيرها، كحلاوة الجبن الحمصية، و الشعيبيات الإدلبية، والبقلاوة الدمشقية، ولكن هذا الطقس يكاد يندثر في ظروف الحرب التي يعيشونها.

حلّ شهر الخير على أهل الشام حاملاً معه نسائمه ولطائفه، ليرسم معالم الرضا على الوجوه البائسة، علّه يحمل معه ما يخفف معاناتهم، ويوقف نزيف دمائهم، آملين انتهاء مرحلة دامية، وعودة الأمن والأمن للسوريين. وإنهاء القتل والدماء في سورية يحتّم على المجتمع الدولي، ممثلاً في الدول الكبرى، والهيئات والمنظمات الحقوقية، أن تمارس مهامها بفاعلية، بعيداً عن سياسات الشجب والاستنكار، فإفلات المجرم من العقاب في مجتمع يسوق لحقوق الإنسان وحرية التعبير وصمة عار على جبين الإنسانية.■

رمضان والأزمة الليبية.. فرج قريب أم أمل بعيد؟

انقطاع الكهرباء وغياب السيولة وارتفاع الأسعار.. أبرز المشكلات في رمضان

طرابلس: مركز دراسات الجنوب الليبي للبحوث والتنمية

تمر ليبيا بمرحلة صعبة جداً في تاريخها، فالأزمة السياسية والانقسام الحاد بين الفرقاء السياسيين على أشده، والاشتباكات المسلحة بين مختلف الأطراف الليبية وتنظيم الدولة من جهة وبين الأطراف المتنازعة فيما بينها من جهة أخرى على أشده أيضاً، والمختنق السياسي على ما هو عليه، فحكومة الوفاق لم تعمل بكامل طاقتها بعد، والوزراء لم يستلموا مهامهم رسمياً بسبب عدم إعطاء الثقة لحكومتهم من قبل مجلس النواب الذي لا يبدو أنه سيجتمع قريباً لإنهاء هذه المعضلة، والمجتمع الغربي في تسارع كبير وتسابق لمحاولة إنهاء الأزمة والتفرغ لحشد وتنظيم القوى المحلية التي يمكن التعاون معها في قتال «تنظيم الدولة».

وتحت وقع تسارع الأحداث، يقبع المواطن الليبي الذي يعاني عديد المشكلات التي تبدأ من انعدام الأمن وانتشار الخطف والسرقة بالإكراه وعمليات القتل والتهريب.. ولا تنتهي أزمة المواطن بانعدام الأمن من سد الجوع الذي يمكن أن يعانيه، فأزمة السيولة وانخفاض قيمة الدينار الليبي بشكل غير مسبوق أمام الدولار في السوق السوداء يسبب أرقاً كبيراً للمواطن الذي يعاني الأمرين في هذه الأحداث، فلا يعرف إلى أين يتجه، ولا حقوق يأخذها.

هذه الورقة عبارة عن تقرير للإجابة عن سؤال مهم وهو: كيف سيمر شهر رمضان على الليبيين في ظل الظروف الراهنة؟ نحاول فيه تقييم وتقدير الموقف من خلال المعطيات الحالية.

تفاقم الأزمات

يربط العديد من عامة الشعب الليبي شهر رمضان الكريم بزيادة تفاقم الأزمات التي تمر بها البلاد، وهو أمر غير مقصود بذاته، على قدر ما هو إقرار يقوم به العقل الباطن لشعب عاش معاناة كبيرة سنة ٢٠١١م التي انطلقت فيها الثورة الليبية، وعاشت فيها أغلب المدن ظروفاً صعبة كان أشدها في شهر رمضان الكريم، حيث انقطع التيار الكهربائي لفترات طويلة، وعانى الناس من غياب السيولة في البنوك الليبية، ومن ارتفاع أسعار السلع التموينية والخضراوات، قبل أن يدخل الثوار مدينة طرابلس ويطردوا كتائب القذافي منها.

لكن الحال لم تتبدل كثيراً، فخوف الناس في طرابلس مما يجري خارج منازلهم تسبب في إغلاق بعض المحلات، إضافة إلى استمرار بعض العمليات النوعية والاشتباكات المتقطعة في بعض مناطق البلاد، وبعد استقرار الثوار في طرابلس انتهت الأزمة، لكن ذاكرة الحدث لم تنته ولم تُمحَ من أعين وفكر الليبيين الذين عادوا ليعيشوا ظروفاً سيئة جداً، بدءاً من عام ٢٠١٤م؛ حيث انطلقت الاشتباكات في طول البلاد وعرضها، بانطلاق «معركة الكرامة» في المنطقة الشرقية، وانطلاق عملية «فجر ليبيا» في المنطقة الغربية، إضافة إلى اشتباكات اندلعت في بعض مناطق جنوب البلاد.

وفي ذلك العام كان تأثير الأزمة مباشراً بنزوح العائلات من مناطق الاشتباك، تاركين وراءهم أموالهم ومنازلهم إلى مناطق أكثر أمناً، فيما دُمرت الكثير من المحال التجارية، وتوقفت البلاد عن العمل في الكثير من

المناطق والمدن الرئيسة في البلاد، وهو ما كان له الأثر الأكبر على عامة الشعب، خاصة في المنطقة الغربية، والتركيز على السؤال: لماذا لم تنطلق العمليات العسكرية لـ «فجر ليبيا» إلا في رمضان؟ وهو ما زاد من ارتباط خوف الناس من تأزم الأوضاع في هذا الشهر من كل عام، وهو ما تحقق فعلاً في عام ٢٠١٥م في أغلب مناطق البلاد، حيث أصبح تأثير الحروب والاشتباكات غير مباشر، وذلك بظهور الأزمة الاقتصادية المتمثلة في استمرار توقف الحقول النفطية عن العمل مقابل زيادة وارتفاع وتيرة الأزمة السياسية الليبية، وتكاملاً مع سيطرة بعض الأطراف على سوق العملة في الأسواق السوداء وحركة تدفق البضائع، وهو ما تسبب في ارتفاع أسعار السلع التموينية بشكل غير مسبوق لم تشهده البلاد حتى في عام ٢٠١١م.

لكن وحتى ذلك الوقت يمكن اعتبار أن هناك بعض الأمور التي كانت تهوّن من الأزمة، ومنها أن السيولة كانت متوافرة إلى حد ما في المصارف الليبية؛ ما مكن الكثير من العائلات الليبية من مواجهة الأزمة الاقتصادية والمالية ولو بخسائر مالية أكبر بسبب ارتفاع الأسعار التي ربطها التجار بارتفاع سعر الدولار وإغلاق مطار طرابلس الدولي.

ورغم أن الكثير من الليبيين تابعوا وانتظروا موعد توقيع اتفاق الصخيرات الذي كان من المفترض أن ينهي الأزمة السياسية الليبية، وينتج حكومة موحدة، وينهي الانقسام السياسي ولو بشكل ظاهري، فإن مخرجات الحوار لم تكن كذلك، فحكومة الوفاق الوطني تواجه الكثير من المشكلات، على رأسها عدم إعطاء الثقة لحكومة السراج بعد، أو بالأحرى عدم تداول الموضوع من الأساس؛ وهو ما فاقم من الأزمة السياسية، إلى جانب انطلاق العمليات العسكرية في محيط مدينة سرت من قبل قوات من المنطقة الغربية شكلت تحت غرفة أنشأها المجلس الرئاسي بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة تحت اسم عملية «البنيان المرصوص».

بالإضافة إلى أن الأمور لم تستقر بعد لصالح حفتر في مدينة بنغازي، حيث ما زالت القوارشة وسوق الحوت ومساحة شاسعة من منطقة الصابري تحت يد مجلس شورى ثوار بنغازي، والقوات المساندة له، بالإضافة إلى سيطرة «داعش» على بعض هذه المناطق، كما أن الأمور ليست مستقرة بعد في مدينة درنة التي يخيم عليها شبح تجدد الاشتباكات في المدينة، لكن هذه المرة بين مجلس شورى ثوار درنة وقوات حفتر.

وبالموازاة مع ذلك، تفاقمت الأوضاع المالية أكثر فأكثر في البلاد، فتفاقمت أزمة السيولة، بحيث أصبحت المصارف تكاد لا تستقبل سيولة في خزائنها سوى مرة واحدة في الأسبوع أو أسبوعين، كما أن السلع التموينية زادت في قيمتها إلى الحدود اللامعقولة التي لم يعد يستطيع المواطن العادي التعامل معها.

مؤشرات إيجابية

تلوح بعض المؤشرات الإيجابية في الأفق رغم سوء المعاناة، فإذا ما استمرت الأوضاع العسكرية في هدوئها وهدنتها الحالية في مناطق التوترات المتكررة مثل الجنوب الليبي وخاصة أوباري وسبها، وكذلك درنة شرقاً، وطرابلس وورشفانة غرباً، فإن المشكلة المالية قد تحل، إثر توحيد جهود المصرف المركزي وإنهاء الانقسام الذي كان يعاني منه من خلال انتقال علي الحبري، النائب السابق لمحافظ مصرف ليبيا المركزي إلى البيضاء، للعمل من هناك تحت مجلس النواب الليبي، فيما ظل الصديق الكبير في طرابلس، وتقاسم الطرفان تسيير العملية المالية لقرابة العامين، مع وجود بعض السلبيات التي نتجت عن ذلك الانقسام.

كما أن الإجراءات التي تحدث عنها مصرف ليبيا المركزي والتي تشمل وصول طبعة جديدة من الأوراق النقدية الليبية، وعودة السماح بإعطاء مستندات اعتمادية لبعض التجار ورجال الأعمال لبعض العمليات التجارية، وهي إجراءات من شأنها أن تخفف من الأزمة الليبية في البلاد، إذا ما تم تنفيذها، حيث إن إعادة إعطاء المستندات الاعتمادية يعني انخفاض أسعار المواد الغذائية ولو بشكل بسيط، كما أن توافر السيولة في المصارف من شأنه أن يحل الأزمة المالية بالنسبة لعامة الناس الذين يعانون بشكل كبير من نقص السيولة أو عدم توافرها.

وبالعودة إلى الأحوال السياسية والعسكرية، فإنه لا يمكن تقدير نظرة مستقبلية بخصوص الاستقرار العسكري في شهر رمضان بشكل دقيق؛ لأن المعطيات العسكرية وتوزيع خريطة الأطراف، وإمكانات وأدوات كل طرف، من الممكن أن تتغير وبشكل سريع؛ ما يعني إمكانية انطلاق اشتباكات في مناطق مختلفة من البلاد، إلا أننا نأمل ألا يستمر ارتباط شهر رمضان المبارك بأزمة أو حرب أخرى تشتعل في أي منطقة من مناطق البلاد.■

العديد من عامة الشعب يربطون رمضان بزيادة تفاقم الأزمات

لا يمكن تقدير نظرة مستقبلية بخصوص الاستقرار العسكري في رمضان بشكل دقيق

طبائع وعادات الشعوب والأقليات المسلمة في رمضان

إعداد: حاتم إبراهيم سلامة

يهل علينا شهر رمضان المبارك وعلى المسلمين في بقاع الدنيا، مصحوباً بنسماته الإيمانية وأجوائه الروحانية، حيث يُقبل المسلمون على ربهم سبحانه بشتى صور الإيمان والتقرب من العبادة وتلاوة القرآن والصيام والتصدق والبر والإحسان.. ومع اختلاف الأجناس والشعوب نرى لكل أمة من الأمم طبائعها وعاداتها الخاصة التي يستقبلون بها شهر رمضان الكريم، تختلف وتتميز بها عن غيرها من الشعوب المسلمة الأخرى، حتى في البلدان التي تتواجد بها الأقليات المسلمة في أوروبا والأمريكتين، فلكل من هذه الأقليات طبائع وطرق تستقبل بها شهر الخير والجود تختلف عن غيرها من الأقليات المسلمة الأخرى.. وفي هذا التحقيق، نطوف شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، في العديد من دول العالم؛ لننقل لقرائنا الكرام صورة من طبائع المسلمين الرمضانية المتنوعة سواء في البلدان المسلمة أو البلدان التي تقطنها الأقليات المسلمة في الغرب.

النيجر:

يقول أسامة السباعي، مدير مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في النيجر: إن نسبة المسلمين في النيجر أكثر من ٩٨٪، وهم يستبشرون بقدوم رمضان، ويحتفون به في المساجد والمراكز والمدارس وحتى في الأسواق، وترتب له وسائل الإعلام برامج كثيفة عن كيفية استقباله، وما الواجب وغير الواجب فيه، وكيف يستفيد الناس منه في غفران الذنوب ومحو الخطايا وارتفاع الدرجات، وينضبط الناس فيه بأوامر الدين، ويلزمون الذكر والصلاة وتلاوة القرآن والدعاء والأخلاق الفاضلة.

وهذه الحالة نجدها حتى في غير الملتزمين دينياً، حيث يقيمون الصلاة في أوقاتها، ويقللون من التدخين وشرب المسكرات بمختلف أنواعها، والنساء المتبرجات قبل رمضان يمتنعن عن عاداتهن في التبرج، ويقوم الناس بضرب الدفوف كل ليلة جمعة يجتمعون فيها عند أحد الوجهاء أو عمدة القرية استعداداً لهذا الشهر العظيم، والناس مع قدوم شهر رجب يتكلمون على رمضان حتى في الإعلام، والدعاة منتشرون في ولايات النيجر ومعظمهم له دروس ومحاضرات.

أما في التلفاز أو الإذاعة فتجدهم يلقون الدروس والمحاضرات التي توضح للناس ما يجب فعله في رمضان، ويحثون الناس على فعل الخير، والناس يؤدون الصلاة في كل مكان، لا يمكن أن تجد مكاناً لا تؤدى فيه الصلاة، وعندما يعلن العمدة في كل قرية أن غداً بداية رمضان؛ يخرج الأطفال والنساء إلى الشوارع احتفالاً ببداية هذا الشهر العظيم، ويقولون: ضيفنا جاء ضيفنا رمضان، وتمتلئ المساجد بالمصلين في صلاة التراويح حيث يصحبون معهم أولادهم، وفي بعض عادات القرى تجد الناس بعد صلاة التراويح يذهبون لزيارة عمدة القرية أو الوجهاء.

ويجتمع في المسجد أعداد غفيرة قبل المغرب بقليل ثم يفطرون على شيء مصنوع من الدخن يسمى «المديد»، وفي بعض المناطق يسمى «هرا»، فيفطرون عليه في وقت المغرب، ثم يؤدون الصلاة ويذهبون إلى بيوتهم حيث تجدها مليئة بالناس، ومن أهم الوجبات في النيجر أكلة تسمى «قربة»، وهي من الدخن واللبن مع الإدام واللحم، إذا قدمتها لشخص فهذا دليل علي تقديرك له.

فرنسا:

في فرنسا، يذكر لنا محمد موسى، رئيس المبادرة الاجتماعية الثقافية للأعمال الخيرية بنانسي بفرنسا: أن الأقلية المسلمة في فرنسا والتي تتجاوز ٨ ملايين نسمة يستقبلون رمضان بفرح وسرور، فالمحلات الكبيرة والمولات الضخمة تجلب البضائع والمنتجات الإسلامية كالتمور والشربات والأكلات العربية والرمضانية التي يأكلها المسلمون في الإفطار، كما يسارع المسلمون في تنظيف المساجد وإعدادها والبحث عن أئمة يؤمونهم في صلاة التراويح.

وقد بدأ جيل جديد والحمد لله يحفظ القرآن، ومعظم المساجد تُنظم إفطارات جماعية ويشارك فيها الطلاب المسلمون وسكان الأحياء التي تحيط بالمسجد، وهناك إقبال على قراءة القرآن يستوي فيها الشباب والشيوخ، وتوجد في رمضان أكلات مشهورة كالحريرة المغربية والغريرة والشباكية، والحقيقة أن المظهر العام للبلاد ليس له أي علاقة برمضان، والعمل الدعوي ينشط بقوة، فهناك دروس ومحاضرات في المساجد وهو ليس عملاً دعوياً بقدر ما هو تعليمي توجيهي، والمشكلة الأكبر أن النهار طويل خاصة في الصيف، ويصوم المسلمون ١٨ ساعة، والمهتدون الجدد يكتفون بالأكلات الفرنسية، ويُقبلون على تعلم الدين في شهر رمضان، وهناك إذاعة «شمس»، وهي محلية ومقرها في باريس، ولها في كل ولاية فرع تستضيف بعض المشايخ لقراءة القرآن، وتجيب عن بعض الأسئلة الإسلامية ولكن لفترات قصيرة.

قرغيزيا:

أما قرغيزيا التي عانت قديماً من ويلات الشيوعية والتي كادت تندثر فيها معالم الإسلام، فيقول د. سعيد بيومي، رئيس مجلس إدارة مركز آسيا الوسطى للبحث العلمي، وجمعية شباب المستقبل بقرغيزيا: إن الشيوخ وأئمة الدين يتحدثون عن فضل رمضان قبل مجيئه بفترات طويلة، يهيّئون الناس لاستقباله، وأصبح الكثير من الناس هنا يصومون ويُظهرون ذلك ولا يُخفونه، وانتشر الصيام بين فئات الشباب بصورة لافتة، ولم يعد مقصوراً على الكبار والعجزة، وهذا بخلاف الحقبة التي وقعوا فيها تحت الاحتلال السوفييتي، وهناك كثير من المسؤولين وكبار رجالات الدولة أصبحوا

محمد موسي:

الجيل الجديد من مسلمي فرنسا حريص على حفظ القرآن.. والمساجد تُنظم إفطارات جماعية يشارك فيها سكان الأحياء التي تحيط بالمسجد

سعيد بيومي:

أبناء الشعب القرغيزي يحافظون على الصيام وينتظرون رمضان ويستعدون له كأنهم يستقبلون ضيفاً عزيزاً

يصومون، ويُصلُّون والحمد لله، وتبلغ ساعات الصوم أكثر من ١٧ ساعة، وعلى الرغم من ذلك نجد الكثير من أبناء الشعب القرغيزي محافظاً على ذلك.

وللقرغيز مائدة خاصة وأطعمة مشهورة، ومن اللافت أنّ الصائمين يلتزمون بالإفطار على الماء والتمر اتباعاً لسُنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، والإفطار غالباً ما يتكون من اللحم، فاللحم شيء رئيس في أغلب الوجبات، والوجبة الشهيرة في آسيا الوسطى عموماً وفي قرغيزيا خصوصاً تُسمى «المانتي» (عبارة عن عجينة محشوة باللحم المفروم والبصل)، كذلك شوربة اللحم مع البطاطس والجزر، السلطة الرئيسة هنا تتكون من الطماطم والخيار والبصل، والشيشليك أوصال لحم غنم مشوية على الفحم، والأرز المطهو بالبخار والجزر ومعه اللحم المسلوق، واللبن الرائب (الزبادي) الطازج، البطيخ (الحبحب)، وهناك أنواع مختلفة ولذيذة من الشوربات المتنوعة، أما عن الشاي فهو سيد السفرة حيث يُشرب خلال الطعام وليس بعده.

وأستطيع أن أُجمل بعض المظاهر العامة لهذا الشعب تلك التي تتجلى في شهر رمضان بخاصة، ومن ذلك:

١- أعضاء الأسرة يجتمعون قبل رمضان بيوم لتذكر من يفقدونه، ولتشجيع بعضهم بعضاً على صوم رمضان.

٢- تزاور الأقارب والجيران أيام رمضان والحرص على تناول وجبة الإفطار معاً، وهذه العادة منتشرة في القرى كذلك.

٣- تعليق بعض اللوحات في المساجد عن قدوم شهر رمضان وفضل صومه، وفضل أعمال الخير والبر فيه خاصة.

٤- الإفطار في المساجد أصبح عادة ظاهرة ومألوفة لدى أبناء هذا الشعب.

٥- كثر ما يُعرف بإفطار الصائم؛ حيث يتبرع به كثير من الموسرين للفقراء والمعوزين الصائمين.

٦- إفطار الأصدقاء مجتمعين أصبحت ظاهرة ملحوظة كذلك؛ حيث يجهز الإفطار أحد الأصدقاء من الشباب، ويبلغ عدد المفطرين ٣٠٠ شخص، كلهم يجتمعون للإفطار.

٧- موائد الموسرين والأغنياء التي يُعدونها للفقراء والمساكين وغير القادرين التي قد تبلغ عددها ١٠٠٠ شخص أحياناً.

٨- إفطارات المؤسسات العربية الخيرية وبخاصة في مساجد القرى والمحافظات النائية.

٩- كثرة ختمات القرآن في صلاة التراويح في المساجد، وتنظيم حلقات قراءة القرآن بين الشباب الحافظ للقرآن وبعض الشيوخ كبار السن، ممن يجيدون إلى حدٍّ ما قراءة القرآن.

١٠- ترتيب الشباب لبعض المسابقات الدينية في المساجد، وإقبال المصلين على المشاركة فيها.

١١- إتمام الاعتكافات في المساجد، وبخاصة المساجد المركزية الجامعة.

١٢- وضْع صناديق لجمع الصدقات

والتبرعات في المساجد، وإنفاقها في أبوابها المرجوة، فمثلاً تُرتب زيارات لدور المسنين والأيتام، وتوزع هدايا رمضانية وجوائز المسابقات الثقافية أيام رمضان.

كندا:

وفي كندا، يلفت د. محمد عشماوي زيدان، أمين عام مجلس الأئمة بكندا، إلى اختلاف الاحتفال برمضان من مقاطعة لأخرى، ففي مقاطعة كيبك مثلاً يغلب عليها عادات الجالية القادمة من شمال أفريقيا، وهم في الغالب من يقودون المساجد وتأسيسها، وإنشاء المراكز والعمل الدعوي، والجميع يستعد لتحري الهلال عبر مجلس الأئمة، الذي يضم علماء متنوعين، فمنهم الأزهريون، ومنهم خريجو جامعات أخرى وهم مؤهلون تأهيلاً علمياً عالياً، وتقوم لجنة تحري الهلال بتحديد أول يوم في رمضان، وقد منع المجلس كثيراً من المشكلات التي كانت تحدث قديماً حيث كانت بعض المساجد تتبع لبعض التيارات الفكرية، ويحدث انقسام بين المسلمين في تحديد الهلال؛ فنجد البعض صائماً والبعض الآخر غير صائم! وهذه كانت كارثة كبيرة لدرجة أنه كانت توجد للمسلمين ثلاثة أعياد في ثلاثة أيام متواصلة!

واحتفالات المساجد في كندا داخلية أكثر منها خارجية، فالمسلمون يحرصون دوماً على عدم استفزاز الآخرين، رغم أن كندا ترعى الحريات العامة وعلى رأسها الحرية الدينية وتقف في وجه العصبيات والعنصرية، ويصوم المسلمون في كندا من ١٨ إلى ١٩ ساعة تحديداً، وكل جالية تغلب على أكلاتها ما جلبته من ثقافة بلدانها، ويكون هناك إفطار يومي في كل المساجد، ويكثر التزاور بين المسلمين، وتحرص الأقلية المسلمة كل عام على جلب قارئ حسن الصوت من أي دولة إسلامية مع الإمام الثابت؛ وهو ما يضفي مناخاً روحانياً مؤثراً، ويتسابقون في إكرام هذا القارئ والاحتفاء به.

كما يحرص بعض المسلمين على جلب أسرهم من آبائهم وأمهاتهم إلى كندا ليقيموا معهم في رمضان، كما تحرص الحكومة الكندية على استخراج تأشيرات للقراء والأئمة لإحياء شهر رمضان لمساجدها، فالدولة بنفسها ترعى هذا الجانب وتُعطيه اهتماماً بالغاً.

إندونيسيا:

يقول د. قدس السامرائي، رئيس المركز الدولي للدعوة والعلوم الإسلامية في إندونيسيا: إن هناك عادات وتقاليد يشترك فيها المسلمون في كافة أنحاء العالم في استقبال شهر رمضان الكريم مع الإندونيسيين، وهناك تقاليد وطرق خاصة بالإندونيسيين قد لا نجدها في أي دولة من الدول، ومنها أنهم يعتبرون عيد الفطر المبارك أهم الأعياد، ويسمونه «العيد الكبير»، وهذا بخلاف العرب يسمونه «العيد الصغير»، وهناك تقاليد خاصة بهم وربما تكون في بعضها شبهة مخالفتها للشريعة الإسلامية، ومنها أنهم في يوم الشك يبدؤون بقرع الطبول في المساجد والمحافل الإسلامية حتى الصباح لإعلام الناس بدخول رمضان، كما لديهم في نفس اليوم كحكة تسمى «آبم» – أي سامحني – الكل يصنعها وهي مشهورة جداً بينهم.

وقبل عيد الفطر بيوم واحد تخرج النساء والأطفال يحملون الشموع بأيديهم ويتجولون في القرى والأزقة والشوارع، ويقومون بالتكبير، ولديهم طعام خاص يصنع من الأرز والحليب وجوز الهند يسمى «التوتو باد»، ويتهادونه فيما بينهم، والسبب في انتشار هذه الأشياء أن الهولنديين حينما احتلوا هذه البلاد حاربوا الدين ومنعوا الناس من الصلاة، ومن كان يفعل أي شيء ينتسب للدين يُقتل، فاحتاج المسلمون في ذلك الوقت حينما يأتي رمضان أو يأتي العيد اللجوء إلى ما يُشبه اللغة السرية التي لا يفهمها الاحتلال الهولندي، يعرفون منها دخول رمضان وحلول العيد، فحينما يرى الناس الكعكة يدركون أن غداً بداية رمضان، وعندما ذهب الاحتلال استمرت هذه العادة إلى يومنا هذا.

وأما قرع الطبول؛ فقد منع الاحتلال الأذان، ومن يؤذن يُقتل، فلجؤوا إلى قرع الطبول في وقت الصلاة بصفة وطريقة مخصوصة، وأما شهر رمضان فله نبرة مخصوصة من الطبول تختلف عن نبرة الصلاة، وكذلك صلاة الجمعة لها نبرة مخصوصة ومختلفة وهي العادات التي استمرت ليومنا هذا كلغة سرية للعبادة، فهم يحافظون على هذه العادات ويمزجونها بالشعائر الإسلامية.

والذي ابتكر للإندونيسيين هذه العادات ليحافظ عليهم من عدوان وبطش الهولنديين هو شخص يسمى سعيد واسمه بلغتهم «سونان كالي جاكا»، ويعتبرونه من الأولياء

د. قدس السامرائي:

في إندونيسيا يبدؤون بقرع الطبول في يوم الشك بالمساجد والمحافل الإسلامية حتى الصباح الباكر لإعلام الناس بدخول رمضان

محمد زيدان:

الحكومة الكندية تحرص على استخراج تأشيرات للقراء والأئمة لإحياء شهر رمضان بالمساجد

التسعة الذين نشروا الإسلام في بلادهم من التجار العرب، وغالبية الإندونيسيين يحترمون الرقم تسعة من أجل هذا السبب.

وغالباً ما نرى هذه الأمور في جزيرة جاوة وسومطرة، وهما الجزيرتان اللتان كانتا ينتشر فيهما المسلمون وقت الاحتلال.

ويغتنم الإندونيسيون رمضان في العبادة، فتقل الجرائم، وهو أمر ملحوظ، وتكثر المسابقات القرآنية، وتكثر الصدقات والتبرعات ومجالس الوعظ والذكر، ويسعون لإيجاد أئمة من العرب يصلون خلفهم ويسمعون منهم باللسان العربي؛ فيتأثرون؛ لأنهم يتخيلون أنفسهم يصلون خلف ورثة الرسالة وأحفاد النبي صلى الله عليه وسلم.

وترتفع الأسعار في شهر رمضان خاصة في التمور، وهي وجبة لا يمكن الاستغناء عنها، ويزينون الشوارع بالمصابيح والشعارات الإسلامية لإيجاد المعايشة مع روحانية رمضان، ويصلحون ذات البين، ويتزاورون، واليوم الأول من رمضان عطلة رسمية، وعطلتهم في عيد الفطر ٥ – ٧ أيام.

نيجيريا:

يذكر لنا الشيخ الشامي نصحي، إمام المسجد السوري في العاصمة النيجيرية لاجوس، ورئيس الجالية المصرية في نيجيريا؛ أن الشعب النيجيري خاصة والشعوب الأفريقية عامة تهتم اهتماماً كبيراً بهذا الشهر الكريم، ويتم الاستعداد له قبل دخوله؛ حيث تنتشر اللافتات باللغتين العربية والإنجليزية مرحبة بشهر القرآن الكريم، وتولي المساجد بصفة خاصة في رمضان اهتماماً بأمر الدين، من حلقات حفظ وتفسير القرآن التي تنتشر في كل مساجد نيجيريا، على أن أبرز ما تراه في رمضان قيام الأغنياء من المسلمين بالتبرع بالمواد الغذائية الجافة كالأرز والمعكرونة والسكر والزبيب والحليب الجاف لرواد المساجد، هذا بالإضافة لموائد إفطار الصائم وكثرة التصدق على الفقراء والمحتاجين.

والنيجيريون يعشقون العبادة ويمارسونها طوال العام، غير أن رمضان له اهتمام آخر، فالمساجد في جميع الصلوات تمتلئ بالمصلين كباراً وصغاراً ورجالاً ونساءً، ووجود الشباب في الصلوات والتراويح والاعتكاف والدعوة في هذا الشهر، وهناك البرامج الدعوية عبر التلفزيون والراديو والإذاعة والمسابقات القرآنية التي يحرص الجميع على المشاركة

معظم المراكز الإسلامية في بريطانيا تنظم إفطارات بشكل يومي وتستضيف غير المسلمين من المسؤولين المحليين وأعضاء البرلمان فيحدثونهم عن مغزى هذا الشهر المبارك

صلاة التراويح في اليابان تقام بجزء كامل من القرآن ودرس علم يومي كما يستضاف الدعاة والعلماء من الخارج أسبوعياً

قائد إسماعيل:

في فنلندا تكثر الدروس الدينية في المساجد في شهر رمضان وتتنافس الأقلية المسلمة في إفطار الصائمين

فيها، وفي رمضان ترى مظاهر الزينة والأنوار في شوارع وبيوت ومساجد المسلمين، بصورة جذابة ومشرفة، وحتى يبدأ المسلمون صيامه، فإن لجان رؤية الهلال تنتشر في جميع الولايات ثم يتم الاتصال بسلطان المسلمين في نيجيريا لإعلامه برؤية الهلال، ثم تعلن بعد ذلك في الراديو والتلفزيون وإن كانت تتأخر أحياناً إلى ما بعد الحادية عشرة ليلاً، وغير المسلمين في نيجيريا يجاملون المسلمين في رمضان، وذلك بتهنئتهم به ومشاركتهم في تناول الإفطار.

ألمانيا:

يقول عدنان قباني، إمام وخطيب مسجد الرحمة في مدينة أرنسبرج الألمانية: إن الأقلية المسلمة يبلغ تعدادها حالياً حوالي ٥ ملايين بمن فيهم اللاجئون الجدد، والجالية الأكبر منها هم الأتراك ثم المغاربة والآن الجالية السورية، ومظاهر رمضان في أوروبا واحدة في كل بلدانها، وحينما يجوب المرء شوارع المدينة لا يشعر بأننا في شهر رمضان الفضيل، فإذا ما وصلنا إلى محيط المسجد أو إلى المسجد نفسه، فهناك بعض المظاهر البسيطة التي تدل عليه، خصوصاً في المساجد التي أُسست كجامع مبني بقبة ومنارة، حيث لها ساحاتها الفسيحة، ويتم بها تزيين ما بين القبة والمنارة بسلسلة من الإنارة مكتوب فيها «مرحباً بشهر رمضان».

وكل الساحات والمساجد والجوامع تبدأ

بصلاة التراويح في أول أيام رمضان، ويتم الاستعداد للشهر بتجهيز كميات من الماء والعصائر لكي يشربها المصلون بعد إفطارهم، والمسلمون على اختلاف جنسياتهم يتبعون عادات وتقاليد مألوفة في بلادهم، ولكنها تصب كلها في وعاء واحد؛ لأنها متشابهة كثيراً والفروقات بسيطة، ويجتهد البعض في الاهتمام أكثر بقراءة القرآن وصلاة النوافل والصلاة في المسجد خلال الشهر الفضيل، كما يشترك في هذا الشباب والشيوخ كل حسب طاقته ومقدرته.

والأكلات المشهورة التي تظهر في رمضان هي الحريرة المغربية وشوربة العدس التي يعرفها الناس في المشرق العربي، ويقام في المسجد إفطار جماعي على الأقل في نهاية الأسبوع أو كل يوم، وهي للعذاب واللاجئين، والمظهر العام للبلاد في الشهر الكريم ربما يكون عادياً، فلا تشعر فيه بوجود رمضان، إلا بعض الحارات التي يسكن بها أغلبية من المسلمين تكون أكثر إشعاراً بمظاهر رمضان، والعمل الدعوي فيه كبقية السنة مثل اللقاءات الدينية الأسبوعية وحلقات القرآن واللقاءات الشهرية، كما تظهر صور البر والإحسان والتصدق جلية وخصوصاً زكاة الفطر.

فنلندا:

وفي فنلندا، يصف لنا الداعية زيد قائد إسماعيل، إمام وخطيب مسجد الرابطة الإسلامية في مدينة توركو بفنلندا؛ أن فصل الصيف لا تكون هناك مظاهر احتفاء واضحة برمضان في فنلندا، بل شعور بالقلق من طول مدة الصيام، كما أن الكثيرين يسافرون للخارج، لكن المسؤولين عن المساجد يوحدون وقت الإمساك والإفطار والصلوات، ويحددون بداية الشهر ونهايته، وإن كانوا يعتمدون على توقيت المملكة العربية السعودية غالباً، إلا أن هذا الأمر بدأ يتغير، حيث يلتزمون الآن بما يصدر عن مجلس الإفتاء الأوروبي.

وكل مسجد يبحث عن متبرعين لعمل الإفطار الجماعي فيه، كما يحددون أئمة التراويح أيضاً، ولا توجد عادة معروفة في فنلندا، بل كل مجموعة قومية أو عرقية لها عاداتها التقليدية التي تستقيها من بيئتها وتحافظ عليها، ويطول مكوث الناس في المساجد والمصليات، ولكن مع طول وقت النهار يذهب الكثير منهم إلى البيوت للنوم والراحة، والشباب المسلم في فنلندا مثل الشيوخ، والأكلات تتبع كل قومية، والبلد يعيش حالة طبيعية جداً، فكل فرد في عمله وكأنك لا تعيش شهراً مميزاً أو أياماً مختلفة، لكن تكثر الدروس الدينية في المساجد، ويكون هناك تنافس بين الأقلية المسلمة في إفطار الصائمين.

بريطانيا:

ويقول بلقاسم كحللش، نائب المدير العام لدار الرعاية الإسلامية في بريطانيا: إن استقبال المسلمين لرمضان في بريطانيا يكون من خلال المراكز والمساجد، فالمجتمعات التي يعيشون فيها ليست مسلمة، ولا ترى فيها آثار ذلك في الشوارع مثلاً، أما المحلات والمطاعم الإسلامية فيبدو فيها استقبال رمضان بشكل واضح؛ من خلال الإعلانات والملصقات الرمضانية، وتظهر كذلك من خلال بعض الأطباق والأكلات الشعبية وأنواع من الحلويات، كما أن الكثير من الشباب يُقبل على الاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر، حتى إن بعضهم لا يجد مكاناً بسبب قلة العدد المسموح به، كما أن الكثير من الأسر تتزاور فيما بينها أكثر من أي شهر آخر.

وما يميز هذا الشهر الكريم أن معظم المراكز والمساجد تنظم إفطارات بشكل يومي، فيعطي هذا نوعاً من الأنس والتكافل الاجتماعي بين المسلمين، بل إن بعضها تستضيف غير المسلمين من الجيران ومسؤولين محليين وأعضاء في البرلمان لبعض الإفطارات المخصصة لهذا الشأن، فيحدثونهم عن مغزى هذا الشهر المبارك، وإن كان الذي يعكر صفو جو رمضان في الغرب عموماً وبريطانيا خصوصاً هو الاختلاف في الإعلان عن رؤية هلال رمضان والعيد، ليصل الفارق أحياناً إلى ثلاثة أيام! مما يسيء إلى وحدة المسلمين، وهذا طبعاً يؤثر مستقبلاً إذا أراد المسلمون التقدم بطلب أن يكون العيد عطلة رسمية!

اليابان:

وينقل أيمن زيدان، مهندس مصري مقيم في طوكيو؛ أن الاحتفاء برمضان نجده في المساجد والمراكز الإسلامية باليابان، ومظاهره تتعدى أمر الزينات والأنوار كما هي الحال في بلادنا العربية، إلى أنشطة دعوية واستقبال قراء وعلماء من الدول الإسلامية، بالنسبة للأفراد فإنهم يتبادلون التهاني، ويصبغون البيوت بمظاهر البهجة لمحاولة إيجاد جو ومناخ معبر عن رمضان،

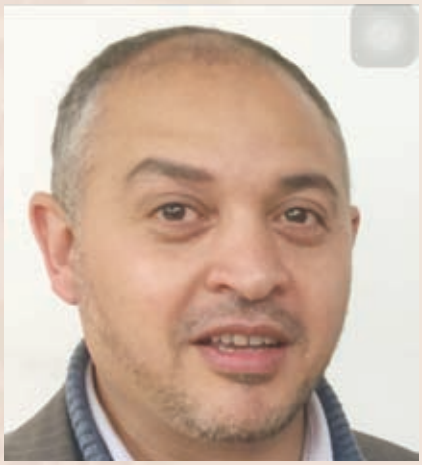

بلقاسم كللحش:

الكثير من الشباب في بريطانيا يُقبل على الاعتكاف في العشر الأواخر حتى إن بعضهم لا يجد مكاناً بسبب قلة العدد المسموح به

عدنان قباني:

في ألمانيا يقام في كل مسجد إفطار جماعي على الأقل نهاية الأسبوع للعزاب واللاجئين خلال شهر رمضان

الشامي نصحي:

في نيجيريا يقوم المسلمون الأغنياء بالتبرع بالمواد الغذائية الجافة كالأرز والسكر والزبيب والحليب لرواد المساجد في رمضان

المؤسسات الإسلامية في البرازيل تقوم بأنشطة اجتماعية لخدمة الفقراء والمحتاجين حيث تقدم الرعاية الصحية والتي تشمل الفحوصات المجانية

وبالنسبة للمراكز والمساجد تقدم التهاني وتحتفل باستطلاع الهلال، وهذا حدث مهم لصعوبة الأمر في اليابان.

وكل المساجد تقريباً تعد إفطاراً وسحوراً يومياً لكل المصلين، وهذا في حد ذاته من أعظم مظاهر رمضان في اليابان؛ لما يشهده من تجمع إسلامي رائع في جو إيماني بديع، يجب هنا أن نذكر المسجد التركي في طوكيو، وكذلك مسجد أوتسكا؛ لما يقدمان من نشاط رائع في رمضان، وأذكر أيضاً مطعم صديق في طوكيو وهو مطعم باكستاني، حيث يستأجره بعض المسلمين الموسرين ممن يبتغون الثواب لمدة شهر ويقدمون فيه إفطاراً يومياً لمن يحضر من المسلمين.

كما أن المتاجر التي تبيع السلع الحلال يكون لها استعدادها الخاص، وطبيعة العمل في اليابان لا تسمح بتوافر كثير من الوقت لممارسة عادات أو تقاليد رمضان المتعارف عليها، وأكثر العادات المتاحة هو خروج الأسر يومياً للإفطار في المساجد وأداء صلاة التراويح، والمساجد مفتوحة طوال العام، ولكن الجديد في رمضان هو صلاة التراويح ودروس العلم ودعوة علماء ودعاة من الدول الإسلامية، وأذكر هنا مسجد «المعهد العربي» الذي تقوم عليه المملكة العربية السعودية، وكذلك مسجد «أوتسكا» نشيط جداً في هذا الجانب، فالتراويح فيه تقام بجزء كامل من القرآن، ودرس علم يومي، كما يستضيف الدعاة والعلماء من خارج اليابان أسبوعياً.

والأقلية المسلمة هناك تكاد تكون بالكامل من الشباب، وقليل جداً من الشيوخ الذين يتميزون بطول المكث في المسجد وخدمة المساجد، ولا يوجد طعام مميز بشهر رمضان هناك، ولكن مازال الشهر الكريم مرتبطاً بتقديم الطعام بوفرة وتنوع مع بعض الحلويات والمشروبات.

واليابان كثيفة السكان وذات طابع عملي جداً، والجالية المسلمة صغيرة، فلا يوجد أي مظاهر مميزة في رمضان في عموم البلاد عدا المساجد كما ذكرت.

السنغال:

ويروي لنا فتحي عيد، مدير مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في السنغال؛ أن الحياة تزهو في السنغال باستقبال أول يوم من رمضان، ويتجمع الأطفال والفتيات والصبية عند الخياطين فرحاً بالملابس الجديدة التي يجهزونها، ومن كثرة الإقبال عليهم يزدحم المكان ويصبح أشبه بالمهرجان، وينشد الأولاد الأناشيد، معبرين عن فرحتهم بمجيء شهر رمضان.

وعلى الجانب الآخر، تستعد المساجد لاستقبال الأعداد الغفيرة من المصلين بعمل مظلات خارجية في الخلاء، ويسعى الشعب لنشر الثقافة الإسلامية على امتداد البلاد، إذ تنشط الجماعات الإسلامية في رمضان عن غيره من الشهور في ضم آلاف الشباب والفتيات إلى صفوفها، ويساعدهم في ذلك تدين الشعب وارتفاع إيمانياته، ويتحول المسجد إلى خلية أشبه بخلية النحل؛ حيث تعلو فيه أصوات تلاوة كتاب الله ليلاً ونهاراً، كما تكثر الدروس الدينية؛ ما بين تفسير وسيرة وحديث، إذ إن الشعب السنغالي متدين بطبيعته، ويُقبل على المساجد ودروس العلم والدين، ويحترم العلماء المحليين والوافدين خاصة علماء الأزهر، ويستجيب لتوجيهاتهم في رمضان وغير رمضان، وينظم المسجد مسابقات دينية كثيرة طوال شهر رمضان، ويرصد لها الأغنياء التبرعات والجوائز

القيمة؛ الأمر الذي يشجع على متابعة الندوات الدينية وتلاوة القرآن وحفظه في رمضان.

أما عادات الإفطار، فالشعب السنغالي يحرص عند الإفطار على تناول التمر والماء، ثم يتناولون وجباتهم المفضلة وهي «اللاخ» بعد صلاة المغرب، وهي عبارة عن نوع من الحلوى من الدقيق المطبوخ، ويضاف إليه اللبن والسمن والسكر، ثم يتناولون بعد صلاة العشاء وجبة الإفطار الرئيسة من المعكرونة أو السمك أو الأرز، وبعد الإفطار كل فرد يحتفل على طريقته؛ فمنهم من يحب السهر والسمر، ومنهم من يهتم بالطعام والشراب.

والشعب السنغالي أجود ما يكون في رمضان؛ حيث تعد الموائد في البيوت لتسع الجميع أقرباء وغرباء وعابري سبيل، لدرجة أنه من الممكن أن يجلس على المائدة إنسان لا يعرفه أحد ويتناول الطعام ثم يرحل دون أدنى امتعاض أو ضيق من صاحب المائدة؛ لأن هذه عادة كل أفراد الشعب السنغالي، أما بالنسبة للصلاة فنجد الشوارع خالية من المارة حيث يسارع جميع المسلمين إلى أداء الصلاة، فيترك التاجر تجارته والبائع سلعته ويغلق كل واحد دكانه وتتوقف حركة البيع والشراء حتى تنتهي الصلاة، ومن كثرة المصلين تكتظ المساجد وتمتلئ الساحات والميادين، ويفرش كل مصلٍ سجادته الخاصة، كما تسارع النساء لأداء الصلاة في المساجد.

البرازيل:

وفي البرازيل، يحدثنا خالد رزق تقي الدين، أمين عام مجلس مشايخ البرازيل فيقول: تتنوع مظاهر الفرح بهذا الشهر الكريم داخل دولة البرازيل، حيث تحرص المساجد على استضافة قراء القرآن الكريم، لتزيين ليالي هذا الشهر الكريم بأصواتهم الندية المرتلة لكتاب الله عز وجل، وتكتظ المساجد بأبناء الجالية المسلمة.

ويتم استقبال شهر رمضان من خلال الإعلان عن بدايته من المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل الجهة الشرعية المكلفة بإعلان بداية الشهور الهجرية، وينتظر المسلمون أيام هذا الشهر المبارك، فهو فرصة للتوبة وطلب المغفرة من الله عز وجل والإقبال على الطاعة والتواصل والتراحم بين أبناء الجالية المسلمة، ويقومون بشراء ما يلزم لهذا الشهر من مواد غذائية مستوردة من العالم الإسلامي، وعمل برامج دينية وزيارات للمساجد المختلفة وتنتشر في كثير من المؤسسات والمساجد موائد الرحمن للإفطار المجاني تجمع أبناء الجالية غنيهم وفقيرهم، وهي فرصة لتبرع الميسورين من مالهم الخاص لإدخال الفرحة على نفوس المسلمين.

وينظم لقاء اجتماعي يضم كافة طبقات الجالية المسلمة وفرصة للتعارف وأداء الصلوات داخل المسجد، وترسل بعض المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي الدعم لهذه الإفطارات، وليلة القدر لها عناية خاصة وترقب من أبناء الجالية المسلمة، فتحرص بعض المساجد على قيام العشر الأواخر من رمضان وختم القرآن الكريم، وبعضها يقيم الليالي الفردية، وأما ليلة ٢٧ رمضان فتمتلئ المساجد بالأسر المسلمة، حيث تبدأ الليلة بعد صلاة المغرب وتمتد إلى صلاة الفجر، ويكون فيها برامج مميزة تشمل الذكر والدروس العلمية وتلاوة القرآن والمسابقات والأدعية وقيام الليل، ويتناول الجميع طعام السحور في مظهر اجتماعي رائع.

وتحرص المساجد على زيادة دروس قراءة وتفسير وحفظ القرآن الكريم، وكثير منها يقوم بعقد مسابقات لحفظ سور من القرآن الكريم، ويرصدون لها هدايا مالية لتشجيع أبناء المسلمين للاهتمام بكتاب الله تبارك وتعالى.

ويحرص المسلمون على الإفطار على التمر تحقيقاً لسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتلون الموائد بالأطباق المختلفة والتي تجمع بين الأكلات العربية والبرازيلية، في مظهر يبرز تمازج الثقافات فترى الأكلات الشامية بتنوعها إلى جوار الأكلات البرازيلية والتي يفضلها أبناء المسلمين في هذه البلاد، ويحظى طبق الفول المصري بمكانة في الإفطار والسحور، وتنتشر الحلوى الشامية بكافة أشكالها وألوانها، والحرص على هذه التقاليد والعادات من الأمور الأساسية التي تربط المسلم بذكرياته وحنينه لبلاد المسلمين.

والمظهر العام للبلاد في البرازيل عادي؛ حيث إن عدد المسلمين قليل جدا، وهذا لا يمنع أن تهتم بعض مؤسسات الدولة بتهنئة المسلمين، وزيارتهم في عيد الفطر، وتتنوع مظاهر العمل الدعوي بين المسلمين خلال هذا الشهر الكريم، فمن الصلوات في المساجد،

خالد تقي الدين:

في البرازيل تحرص المساجد على قيام العشر الأواخر من رمضان وختم القرآن الكريم

فتحي عيد:

في السنغال يتحول المسجد إلى خلية نحل حيث تعلو فيه أصوات تلاوة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً كما تكثر الدروس الدينية

إلى الزيارات داخل البيوت والاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، ودروس العلم والمسابقات الدينية التي تقيمها المؤسسات الإسلامية، كما تقوم بعض المؤسسات الإسلامية بإقامة أنشطة اجتماعية لخدمة الفقراء والمحتاجين في الأحياء الفقيرة ولمدة يوم كامل حيث تقدم الرعاية الصحية والتي تشمل الفحوصات المجانية للنظر والدم والضغط والأسنان وكذلك أنشطة ترفيهية للأطفال.

قبرص

وفي قبرص، يقول بسام الجاهوش، رئيس المركز الثقافي الإسلامي: إن بعض مظاهر الاحتفاء برمضان أو أي أجواء رمضانية تكاد تكون شبه معدومة؛ لأسباب كثيرة، لعل أهمها هو عدم وجود كوادر دعوية ترتب البرامج الدعوية والنشاطات المتعلقة في رمضان، إلا بعض الجهود اليسيرة من البعض في ترتيب الإفطار في المساجد بالتعاون مع بعض أهل الخير ومن الجالية المسلمة غير العربية والتي تساهم بنسبة ٩٥٪ من ترتيبه، الأمر الثاني: عدم وجود بنى تحتية في المساجد تساعد على القيام بنشاطات.

وقبل أيام من رمضان المبارك يبدأ المسلمون بإعداد المعدات اللازمة والاحتياجات المهمة لكي يتم الطبخ في زاوية المسجد لإعداد الإفطار في بعض أيام رمضان، وإن كان ظاهر الأمر جيداً وعملاً رائعاً إلا أن مظاهر التحضير وعدم وجود مكان مخصص تجعل من بوابة المسجد ومدخله كمطبخ في أيام رمضان، هذا أقصى ما يتم إعداده للشهر الكريم.

والجانب الإيجابي هو استجلاب المركز لإمام يؤم المصلين، ويكون له بعض الأنشطة التي تجعل الإقبال عليها كثيفاً، إلى جانب دروس بعد صلاة العصر، كما تقدم دورات للأطفال، باختصار شديد الأجواء الرمضانية تحتاج إلى كثير من الجهود والترتيبات، وخاصة ممن لديهم الخبرة في بلدان أخرى لنقل التجربة إلينا.

وفي ظل غياب العمل الجماعي والنشاط الدعوي نجد أن الإقبال على قراءة القرآن لم يأخذ حقه بما يتناسب مع الشهر الكريم، ولا يوجد أي فرق في السلوكيات الرمضانية بين الشباب والشيوخ، والمظهر بشكل عام في قبرص لا يختلف عن أي يوم من أيام السنة، فنحن لسنا في دولة مسلمة، ولا يوجد أي شيء يوحي بمظاهر إسلامية غير مساجد البلد ومآذنه القديمة، ولا يوجد أبداً أي نشاط دعوي، ولا نبالغ إذا قلنا: إن النشاط الدعوي شبه منعدم، والجالية تحتاج من يحيي فيها المظاهر الإيمانية والأجواء الرمضانية والدعوية، ففي ظل غياب العمل الدعوي تكون كل أيام السنة متشابهة.

أستراليا:

أما أستراليا، فينقل لنا فؤاد عابدين، مدير مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أستراليا؛ أن لرمضان بهجته الخاصة وحضوره في القلوب والنفوس مهما بعدت البلاد وطال الزمان، وحيث إن أستراليا بلد عرف بأمنه وهدوئه وتعدد أعراقه وسكانه من شتى بقاع الأرض، فإن مظاهر الاستقبال والاستعداد لشهر رمضان الفضيل متعددة ومتلونة، أولاً من حيث تحديد الهلال، فإن مجلس الأئمة الفيدرالي الأسترالي والذي يضم أكثر من ٢٥٠ إماماً من جميع ولايات أستراليا يسعى دوماً بطريقة علمية تتوافق مع الشريعة الإسلامية لإمكانية الرؤية؛ وعليه يتم محاولة جمع كلمة المسلمين على وقت محدد، وإبلاغ الجهات الحكومية من

أجل تغيير نمط الوجبات المقدمة للعسكريين أو المساجين من المسلمين على شكل إفطار وسحور بدل النظام الغذائي المعتاد.

وتستعد جميع المساجد بتجهيزها لتتسع لعدد أكبر من المصلين ومصاف السيارات، ومن حيث البرامج والدروس والخطب الخاصة لرمضان، وكذلك استقبال الدعاة والمقرئين من الخارج، إضافة للاعتكاف خاصة العشر الأواخر، والافطارات الرمضانية سواء في المساجد أو في القاعات العامة أو بيوت الوجهاء من الناس، فيما يخص جمعيات أو مؤسسات أو أفراد، وظاهرة أخرى معروفة وهي الإفطارات الخيرية والتي يتم فيها جمع الأموال من زكوات وصدقات للفقراء والمساكين والأيتام والمنكوبين في شتى بقاع الأرض، من قبل جمعيات خاصة أو عامة كهيئة الأعمال الخيرية، وفيها خير كثير وعطاء عظيم من مشاريع إفطار الصائم وكسوة العيد وزكاة الفطر، كما تتنافس المساجد في ليلة القدر على إدارة برنامج متميز لتلك الليلة، يبدأ في معظم المساجد من صلاة العشاء والتراويح أو حتى وقت الإفطار وحتى صلاة الفجر، ويشمل البرامج الدينية والإرشادية والنشيد وسحور وغيرها الكثير.

وتأتي حفلات العيد، لتتنافس العديد من الجمعيات فيها على إقامة مهرجان متميز في عيد الفطر، حيث فيه ألعاب ترفيهية وتشكيلة واسعة من الخيم وبها مختلف أنواع الطعام والشراب والحلويات الحلال والألبسة الشرعية، يستمر لمدة يومين كاملين، ويختتم بالألعاب النارية، علماً بأن المهرجان يحضره نسبة جيدة من غير المسلمين.

بالنسبة للإفطارات، هناك إفطارات كثيرة ومتنوعة، منها ما تقيمها الحكومة الأسترالية رسمياً، وتدعو إليها الجالية المسلمة والأئمة والجمعيات من خلال الشرطة أو البلدية أو بعض الوزارات، كما تتهيأ المحلات التجارية خاصة الأغذية منها بعروض خاصة لرمضان، وما يخص الأكلات الشعبية لكل جالية كالتمر والقطايف والتمر الهندي والعرق سوس والخروب، حتى في كثير من المؤسسات التجارية الكبرى غير الإسلامية نجد استعداداً لرمضان، ولكل جالية أكلاتها الخاصة، ويتزاور الناس فيما بينهم سواء في الإفطارات العائلية أو العيد، وسفر البعض لبلاده الأصلية.

والقرآن الكريم من ضمن نشاطات المساجد عموماً، ويقوم «معهد الفجر القرآني»، وهو أكبر مؤسسة قرآنية، وله عدة فروع في ولايات أستراليا، ويضم أكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة، يقوم بتنظيم مسابقة دولية للقرآن الكريم، يتنافس فيها أهل القرآن في ٥ مستويات، ويتم تكريمهم في حفل خاص نهاية العام وبحضور دعاة من الخارج.

وبالنسبة للتقويم الرمضاني، فإن كثيراً من الجمعيات أو المحلات التجارية أو الحكومية كالشرطة والبلدية تحرص على طباعته لشهر رمضان المبارك، أو بطاقة مباركة برمضان أو بالعيد، وتقوم بعض المؤسسات وبعض البيوت أو المحال التجارية بوضع زينة خاصة لرمضان كالهلال أو الزينة أو الأضواء.

إسبانيا:

أما أحوال الأقلية المسلمة في إسبانيا، فيحدثنا عنها د. علي بو سعيد، رئيس فيدرالية التجمعات الإسلامية من أجل التعايش في إسبانيا، فيقول: إن الأقلية المسلمة في إسبانيا كغيرها من الأقليات المسلمة في أوروبا في استقبالها لشهر رمضان، بحكم تنوع الأقلية المسلمة من جنسيات مختلفة (المغرب الأقصى، الجزائر، السنغال، باكستان، سورية، فلسطين، مصر، وغيرها من الجنسيات الأخرى)، وكما يعلم الجميع أن الجو العام الأوروبي لا يلاحظ فيه أي مظهر من مظاهر الاحتفال برمضان، والأجواء الرمضانية يعيشها المسلمون في المساجد وفي بيوتهم فقط، نذكر منها:

١- دعوة جيران المسجد لحضور الإفطار للتعريف بشهر الصيام، وتحقيق التعايش الإيجابي بين المسلمين والمجتمع الإسباني.

٢- صلاة التراويح في كل ليالي رمضان.

٣- الإفطارات على مدار شهر رمضان للفقراء والمحتاجين وعابري السبيل في كل المساجد في إسبانيا.

٤- الإفطارات الخاصة بلجان المساجد (النسوية، الشبابية، الدعوية)، لتقوية روابط الأخوة، وتشجيع العمل التطوعي في المساجد.

٥- تتخلل هذا الشهر عدة أنشطة؛ كالمحاضرات والندوات والمسابقات القرآنية.

أما العادات والتقاليد فتختلف من جنسية لأخرى، والشيء الملاحظ أن المساجد تعيش جواً من النشاط والحيوية

بسام الجاهوش:

مظاهر الاحتفاء برمضان في قبرص تكاد تكون معدومة بسبب عدم وجود كوادر دعوية ترتب البرامج الدعوية والنشاطات الرمضانية

فؤاد عابدين:

جميع المساجد في أستراليا تتجهز لتتسع لعدد أكبر من المصلين خلال الشهر الفضيل

رمضان في أستراليا يتميز بالإفطارات الخيرية التي يتم فيها جمع الزكوات والصدقات للفقراء والمساكين والأيتام والمنكوبين في شتى بقاع الأرض

د. علي بوسعيد:

من مظاهر الاحتفاء برمضان في إسبانيا دعوة جيران المسجد للإفطارات للتعريف بشهر الصيام وتحقيق التعايش بين المسلمين والإسبان

د. أحمد شاهين:

في أمريكا أغلب المساجد تصلي التراويح ١١ ركعة ٨ ركعات كل واحدة منها بجزء و٣ ركعات وتراً على مدار ٢٠ يوماً في رمضان

خلال الشهر المبارك، حيث تمتلئ بالمصلين وطلاب العلم، وهناك اجتهاد كبير من أبناء المسلمين في حفظ ومدارسة القرآن الكريم، وتنظم إفطارات للمؤسسات الشبابية في كل المقاطعات الإسبانية؛ والهدف منها توحيد الجهود لخدمة الإسلام والمسلمين والمجتمع الإسباني، وتقام دورات حول فقه الصيام، ومحاضرات في الجامعات لغير المسلمين للتعريف بالصيام والتضامن بين أفراد الأقلية المسلمة خلال شهر رمضان، والدعوة للإسلام وسماحته.

كما تستقبل الأقلية المسلمة ثلة من العلماء والمشايخ والقراء من دول عربية وإسلامية متنوعة، لأن جل المساجد والمصليات تفتقر إلى إمام قارئ؛ لنقص الموارد المالية للتعاقد مع إمام، وإهمال السلطات المحلية وممثلي السلك الدبلوماسي للدول الإسلامية والعربية في إيجاد معاهد متخصصة لتخريج أئمة ودعاة لتغطية العجز في هذا المجال.

أما عن الأكلات المشهورة في رمضان بحكم أن أغلب أبناء الأقليات المسلمة من المغرب العربي فهي: الحريرة، الطاجين، وشباكية (نوع من الحلويات).

أما عن المظهر العام للبلاد في هذا الشهر الكريم فليس هناك أي تغيير في مظاهر الاحتفال برمضان في إسبانيا، وربما الشيء الوحيد الملاحظ أن السلطات تسعى جاهدة لتهيئة الجو العام ليستطيع المسلمون أن يقضوا الشهر الكريم في جو من الهدوء والطمأنينة، وتتمثل في:

١- دورات خاصة لأعوان الشرطة والأمن والإداريين عن رمضان ومتطلباته.

٢- ورشات تحسيسية مع جيران المسجد لشرح وتوضيح ما معنى شهر رمضان.

أما العمل الدعوي؛ فتقام عدة فعاليات في كل المساجد والمصليات والتي تزيد عددها على ١٥٦٥، منها المحاضرات، والندوات، والمسابقات، وهدايا لغير المسلمين وخاصة جيران المساجد، كما يكثر تحفيظ القرآن الكريم ومدارسته، وصور من ألوان البر والإحسان، نذكر منها مشروع «إدخال السرور على جارك»، والمستهدف منه الجار سواء كان جار المسجد أو جيران أبناء المسلمين.

أمريكا:

ويعرض لنا د. أحمد شاهين، مدير المركز الإسلامي في ولاية ألنستن ألاباما بأمريكا

سابقاً، صورة استقبال الأقلية المسلمة في أمريكا لشهر رمضان الكريم، وتتمثل في المساجد، وفي البيوت؛ أما المساجد فتستقبل الأئمة والقراء من العالم الإسلامي ليؤموا المسلمين في صلاة التراويح والتهجد، وكل المساجد تفعل ذلك مع من يجيدون الصوت الحسن في القرآن الكريم، ويقومون بتزيين المنازل بالزينة العربية، وكل جالية تفعل ذلك وفق عادات وتقاليد ورثتها من بلادها، ويصنعون بعض المأكولات الخاصة بهم في شهر رمضان الكريم.

والمسلمون جزء من المجتمع الأمريكي غير المسلم، ومن ثم لا تظهر آثار الشهر المبارك، وإنما تظهر آثارها في المساجد وبيوت المسلمين فقط، ففي المساجد نرى العادات الطيبة من كرم الضيافة وإطعام الصائمين، وذلك في أغلب أيام العطلة الأسبوعية، ويحضر كل فرد معه أسرته ويأكلون بعد صلاة المغرب وينتظرون إلى صلاة التراويح،

وبعض المساجد يستمر الإفطار فيها طوال الشهر، بينما بعضها يكتفي بأيام العطلات فقط، وتقوم المساجد بجمع التبرعات من المصلين ليحصلوا على ميزانية المسجد طوال العام كاملة ولمختلف الأنشطة الأخرى، وتنظم بعض المساجد مسابقات للقرآن الكريم على مستوى أمريكا؛ مثل مسجد التوحيد، أو المول كارمل في مينيسوتا، حيث تستضيف مشاهير القراء أمثال الشيوخ محمد جبريل، وحسن صالح، ووليد المنيسي، وتنظم مسابقة لحفظ القرآن وتقدم فيها جوائز ضخمة.

ويتجمع الأئمة في كل مدينة في بداية رمضان ويضعون قواعد لحسم مسألة الرؤية، ويعلنون للجالية عن أول أيام رمضان، ويوم العيد؛ حتى يجتمع المسلمون في تحديد هذه الأيام، وأغلب المساجد في أمريكا تصلي التراويح ١١ ركعة تختم فيها القرآن، أما العشر الأواخر فيقوم المسلمون بالتهجد واستكمال قراءة القرآن الكريم، وهناك مساجد تابعة للجالية الباكستانية يصلون فيها ٢١ ركعة أو ٢٣ وهي تابعة للمذاهب الإسلامية التي تتبع كل دولة من الدول، كما تقوم جماعة التبليغ والدعوة بإعداد طعام كثير ويوزعونه على مجاوري المسجد من الأمريكيين غير المسلمين على سبيل الهدية، وهو عمل خيري إنساني يتذكرهم به هؤلاء إذا ما عادوا للعام القادم.■

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري

قال رسول الله ﷺ :

﴿مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنه لايَنْقُصُ مِنْ أجرِالصائم شَيء﴾

مشـــروع إفـطـــار الصائـــم

1437هـ – 2016 م

قرابة 2,000,000 مستفيد من مشروع الرحمة العالمية لإفطار الصائم، في 42 دولة، خلال رمضان الماضي

تكلفة الوجبة ابتداءً من	250 فلس
السلة الرمضانية تكفي أسرة لمدة شهر	30 د.ك

خدمة المتبرعين
1888808

@khaironline

يمكنكم التبرع من خلال
khaironline.net

ملخص لأحكام فقه الصيام

إعداد: الشيخ حامد العطار

هذا ملخص لأحكام فقه الصيام، راعيت فيه أن يكون سـهل العبارة، وقد أودعته المسائل العملية التي يحتاج إليها الناس في حياتهم، بعيداً عن التنظير والتأصيل الذي يعنى به الباحثون، وهو على اختصاره يسعف عن كثير من كتب الفقه.

حكم صوم رمضان:

واجب على المسلم البالغ العاقل المقيم الصحيح، وحرام على الحائض والنفساء، ومكروه في حق المسافر إذا كان الصوم يضعفه، ومستحب في حق الصبيان.

صيام الحائض والنفساء:

لا يجب عليهما الصيام اتفاقاً، وإذا صامتا أثمتا، وعليهما بعد الطهر قضاء ما فاتهما من رمضان، أما الصلاة فلا تكلفان قضاءها، وإذا طهرتا أثناء نهار رمضان فيستحب لهما الإمساك ساعة الطهر مراعاة لحرمة الشهر، وقيل: يجب، وليس بسديد، وعلى كلا الرأيين عليهما قضاء هذا اليوم.

حبوب تأخير الحيض:

استسلام المرأة لطبيعتها أفضل كما استسلمت الفضليات من قبل، ومن استخدمت ما يرفع حيضها لتنعم بالصيام فلا بأس بشرط ألا يكون في ذلك ضرر عليها.

والنفساء متى انقطع عنها الدم انقطاعاً لا رجعة بعده فقد أصبحت طاهراً ولو بعد الولادة بساعة، وإذا لم ينقطع فأقصى ما تعده نفاساً أربعون يوماً، وما بعد الأربعين فليس من النفاس في شيء.

الصيام والسفر:

أجمعت الأمة على أن من حق المسافر أن يفطر، حتى ذكر شيخ الإسلام أن من أنكر ذلك يستتاب وإلا حكم عليه بالردة؛ لأنه حكم معلوم من الدين بالضرورة، وذهب بعض الصحابة إلى وجوب الإفطار في السفر، إلا أن الجمهور على أنه جائز لا واجب، واشترط كثير من المذاهب الفقهية المتبوعة أن المسافر ليس له أن يفطر إلا بعد مغادرته للبلد التي يسافر منها، والصحيح أن ذلك ليس شرطاً، فقد أفطر أنس بن مالك قبل أن يركب راحلته بمجرد أن لبس ثياب السفر، وإلى هذا ذهب ابن القيم.

وإذا عاد المسافر إلى بلده نهاراً وهو مفطر ففي وجوب إمساكه ساعة رجوعه خلاف، إلا أن عليه القضاء أمسك أم لم يمسك.

الصيام والمرض:

المرض الذي يكون الصيام سبباً لزيادته، أو سبباً في تأخر شفائه، أو سبباً في جلب المشقة لصاحبه يرخص في الفطر على أن يقضي المريض ما فاته في أيام أخر، ويكفي أن يغلب على ظن المريض حدوث هذا، على أن غلبة الظن هذه تعرف من طريقين لا ثالث لهما:

الأول: تجربة الشخص نفسه، أو تجربة من كان مريضاً بنفس مرضه.

الثاني: إخبار الطبيب المسلم الثقة الكفء، وأجاز الشيخ ابن العثيمين الترخص بقول الطبيب غير المسلم إذا كان كفؤاً مشهوراً بالصدق، وفي هذا سعة كبيرة للمسلمين في الغرب.

وإذا تحامل المريض فصام أجزأه، وقد يكره ذلك إذا كان المرض

شديداً، ويحرم إذا كان الصيام مع المرض مهلكاً.

ومن كان مريضاً فله أن ينوي الفطر من الليل، ولا يضره احتمال تعافيه نهاراً؛ لأن الأصل أنه مريض.

وإذا عرف من نفسه أو من الطبيب أن الصيام يسبب له الإغماء؛ فله أن يفطر، وعليه القضاء كما قرر شيخ الإسلام.

ومن أغمي عليه أثناء النهار ثم أفاق قبل الغروب أو بعده فصيامه صحيح ما دام قد أصبح صائماً، وإذا طرأ عليه الإغماء من الفجر إلى المغرب فالجمهور على عدم صحة صومه.

الكبر والأمراض المزمنة:

إذا بلغ الكبر بإنسان مبلغه، فيرخص له في الفطر – رجلاً كان أو امرأة – إذا كان الصيام يجهدهما ويلحق بهما مشقة كبيرة، ومثلهما من ابتلي بمرض مزمن – يضره الصوم – والمقصود بالمرض المزمن: هو من أخبر الأطباء أنه لا يشفى من مرضه وفق قوانين الطب، وقد اختلف العلماء في هذه الفئة؛ هل يجب عليهم الإطعام أم أن الصوم سقط عنهم دون بدل كالأطفال الصغار؟ والصحيح الذي عليه أكثر العلماء أن عليهم عن كل يوم يفطرون إطعام مسكين وجبتين مشبعتين من أوسط ما يأكلون، وأجاز بعض الفقهاء وجبة واحدة، وأجاز الإمام أبو حنيفة إخراج قيمة الطعام نقوداً، ومنع ذلك جمهور الفقهاء، فلا يعدل عن مذهب الجمهور إلا عند الضرورة والحاجة، وتوكيل المريض جمعية أن تقوم بشراء طعام بالمال يخرج من الخلاف.

وله أن يهيئ الطعام ثم يعطيه للمسكين، وله أن يعطيه له دون طبخ، ومقدار ما يعطيه له (كيلو ونصف كيلو تقريباً) من الأرز أو التمر أو الزبيب أو المكرونة أو القمح من جنس ما يأكل، وقال الشيخ ابن العثيمين: لكن ينبغي في هذه الحال أن يجعل معه ما يؤدمه من لحم أو نحوه، حتى يتم قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) (البقرة:١٨٤).

وإذا أعسر المريض الذي لا يرجى برؤه أو الكبير، فإن الإطعام يسقط

عنهما؛ لأنه لا واجب مع العجز، والإطعام هنا ليس له بدل.

ويلتحق بهذه الفئة أصحاب الأعمال الشاقة التي لا يحتمل الصيام معها، مثل: عمال المناجم، أو الأفران ونحوهم ممن لا يجدون فرصة للقضاء، فهؤلاء يفطرون، وإذا سنحت لهم فرصة في القضاء – كفصل الشتاء – فعليهم ذلك وإلا أطعموا مسكيناً عن كل يوم.

وأصحاب الأعمال الشاقة ليس لهم أن ينووا الإفطار من الليل، بل عليهم أن ينووا الصيام، فإذا أرهقهم الصيام وعاقهم عن العمل فلهم حينئذ أن يفطروا، ومن واجب الحكومات الإسلامية أن تقوم بسياسة هذه الأمور بأن تجعلها في الليل مثلا أثناء شهر رمضان.

مرض السكري والصيام:

درس مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أثر مرض السكري على الصيام وقسم المرضى بالسكري إلى أربع فئات:

الأولى: المرضى ذوو الاحتمالات الكبيرة جداً للمضاعفات الخطيرة بصورة مؤكدة طبياً.

الثانية: المرضى ذوو الاحتمالات الكبيرة نسبياً للمضاعفات نتيجة الصيام والتي يغلب على ظن الأطباء وقوعها. وأصحاب هاتين الفئتين يجب عليهم الفطر ويحرم عليهم الصيام.

الثالثة: المرضى ذوو الاحتمالات المتوسطة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام.

الرابعة: المرضى ذوو الاحتمالات المنخفضة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام.

وأصحاب هاتين الفئتين يجب عليهم الصيام، ولا يجوز للطبيب أن ينصحهم بالفطر.

عمال الطبخ والخبز:

الطباخون والخبازون والعمال الذين يباشرون هذه الأعمال ونحوها في نهار رمضان يجوز لهم تذوق الأطعمة والمشروبات، بمعنى وضعها في الفم (أما ابتلاعها في الحلق فلا) للتعرف على الطعم والتأكد من مقادير المواد المضافة إليه كالملح أو السكر، أو لمعرفة إذا كان قد تم إنضاجه أم لا، ثم عليهم لفظها وإذا سقط شيء من هذه الأطعمة أو المشروبات إلى الحلق رغماً عن صاحبه بعد توقيه الحذر فلا يؤثر على الصيام.

الحامل والمرضع:

الحمل والإرضاع ليسا مرخصين للفطر في ذاتهما، ولكن يكونان من أسباب الترخيص إذا خافتا على أنفسهما أو الجنين، ويكفي غلبة الظن، وذلك يعرف بالتجربة، أو بإخبار طبيب ثقة.

وقد اختلف العلماء في كيفية الاستدراك أيكون بالصيام أو الإطعام أو بهما معاً؟ أم ليس عليهما شيء كالأطفال الصغار؟ وبكل وجه من هذه الوجوه قال بعض الفقهاء، والذي رجحه الشيخ القرضاوي أن المرأة التي لا تستطيع القضاء، حيث لا يأتيها رمضان إلا وهي بين الحمل والرضاعة فلا تكلف بالقضاء، ويكفيها الإطعام، أما المرأة التي تسنح لها الفرصة بالقضاء فعليها القضاء، ولا يكفيها الإطعام.

المفطرات في مجال التداوي:

قرر مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن الأمور الآتية ليست من المفطرات:

١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق (يعني عليه إذا نفذ شيء من ذلك إلى الحلق أن يلفظه).

٣- ما يدخل المهبل؛ فرج المرأة من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل – أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى – من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨- الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصاً من الجلد كالدهونات والمراهم واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قثطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

وأوصى المجمع أنه على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.

وقد زادت الندوة الفقهية الطبية التاسعة أموراً على أنها ليست من المفطرات بإجماع أعضائها منها التبرع بالدم سواء للمنقول منه، أو المنقول إليه.

وزادت بالأغلبية الأمور التالية:

١- قطرة الأنف، وبخاخ الأنف، وبخاخ الربو (وممن أفتى بأن بخاخ الربو لا يفطر العلامتان ابن باز، وابن العثيمين رحمهما الله).

٢- ما يدخل الشرج من حقنة شرجية، أو تحاميل (لبوس) أو منظار، أو إصبع طبيب فاحص.

٣- العمليات الجراحية بالتخدير العام، إذا كان المريض نوى الصيام من الليل.

٤- الحقن المستعملة في علاج الفشل الكلوي حقناً في الصفاق (الباريتون)، أو بالكلية الاصطناعية.

٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل أو مواد أخرى.

والحقن المغذية مثل الجلوكوز اختلف فيها الفقهاء المعاصرون، على أنه لا يحتاج إليها إلا مريض مرضاً شديداً يباح معه الفطر.■

المصدر: موقع «أون إسلام» (بتصرف).

إعداد: أحمد الشلقامي

فوائد الصوم:

يقول المثل الروماني: «إن المعدة العامرة لا تحب التفكير»؛ لذلك فالصوم يوقد الفطنة، ويحسِّن نشاط العقل والجسد.

رمضان الخير:

عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين».

فضل القرآن في رمضان:

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان والأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان.

دعوة ذوي القربى:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾) (طه).

صفة الوفاء:

من قصص الوفاء في عصرنا تلك التي حكاها الملياردير السعودي سليمان الراجحي حيث ذكر أن أحد أساتذته أعطاه ريالاً مكافأة، وقد توفي أستاذه عام ١٩٣٦م، ومنذ ذاك إلى اليوم وهو يذبح عنه أضحية كل عيد، وحج واعتمر عنه وفاء لأستاذه.

رمضان ٦٦٦هـ انتصر الظاهر بيبرس على الفرنج في أنطاكية، وتمكَّن من فرض سيطرته على الدولة المملوكية في مصر بعد مقتل قطز، ثم زحف بجيش كبير نحو إمارة أنطاكية الواقعة تحت سيطرة الفرنجة مدة ٧٥ عاماً، ففرض عليها الحصار إلى أن استسلم الفرنجة.

القرب من الله:

قال الإمام ابن قيم رحمه الله: فمن أعرض عن الله بالكلية أعرض الله عنه بالكلية، ومن أعرض الله عنه لزمه الشقاءُ والبؤس والبخس في أحواله وأعماله، وقارنه سوءُ الحال وفساده في دينه ومآله، فإن الرب تعالى إذا أعرض عن جهة دارت بها النحوس وأظلمت أرجاؤها وانكسفت أنوارها وظهرت عليها وحشة الإعراض وصارت مأوى للشياطين وهدفاً للشرور ومصباً للبلاء، فالمحروم كل المحروم من عرف طريقاً إليه ثم أعرض عنه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» (رواه البخاري ومسلم).

إطعام الطعام:

قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

الجد والاجتهاد:

يا رجال الليل جدوا
رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا
من له عزم وجد
ليس شيء كصلاة
الليل للقبر يعد

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كونوا لقبول العمل أشد حرصاً منكم على العمل، أما علمتم أن الله تعالى يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾) (المائدة).

قال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله تعالى عنه: «يا حذيفة، من ختم له بصيام يوم دخل الجنة».

توفي الإمام ابن الجوزي، إمام الوعظ والواعظين، والذي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق، بعد أن صنف أكثر من ٣٠٠ مصنف في شتى فروع العلوم.

قيام الليل:

كان بعض الصالحين يقوم الليل، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: يا أيها الركب المعرسون، أكُلّ هذا الليل ترقدون؟! ألا تقومون فترحلون؟ فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم، فيُسمع من هنا باكٍ، ومن هنا داعٍ، ومن هنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى.

قال الإمام المناوي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة» في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض.

الاجتهاد في العبادة:

عن ابن أبي عدي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازاً يحمل معه غذاءه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشياً فيفطر معهم.

حال السلف:

قتادة بن دعامة السدوسي يُكنّى أبا الخطاب، بصري تابعي ثقة، ولد سنة ستين من الهجرة، وكان ضرير البصر، عَدّهُ أصحاب الطبقات من «الطبقة الرابعة»، وكان يختم القرآن في كل سبعٍ دائماً، وفي رمضان في كل ثلاثٍ، وفي العشر الأواخر في كل ليلة.

عن أبي عطية قال: قلت لعائشة: فينا رجلان؛ أحدهما يعجل الإفطار ويؤخر السحور، والآخر يؤخر الإفطار ويعجل السحور، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويؤخر السحور؟ قلت: عبدالله بن مسعود، قالت: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع. (رواه النسائي).

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مئزره. (رواه البخاري ومسلم).

التابعي الجليل أيوب السختياني يحدث عنه حماد بن زيد فيقول: كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام؟ يظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء.

فضل ليلة القدر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه» (أخرجه البخاري ومسلم).

الذكر في ليلة القدر:

عن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» (رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني).

أول مسجد لمسلمي مصر:

في ٢٤ رمضان ٢٠هـ، شرع المسلمون تحت قيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه في بناء أول مسجد للمسلمين في مصر.

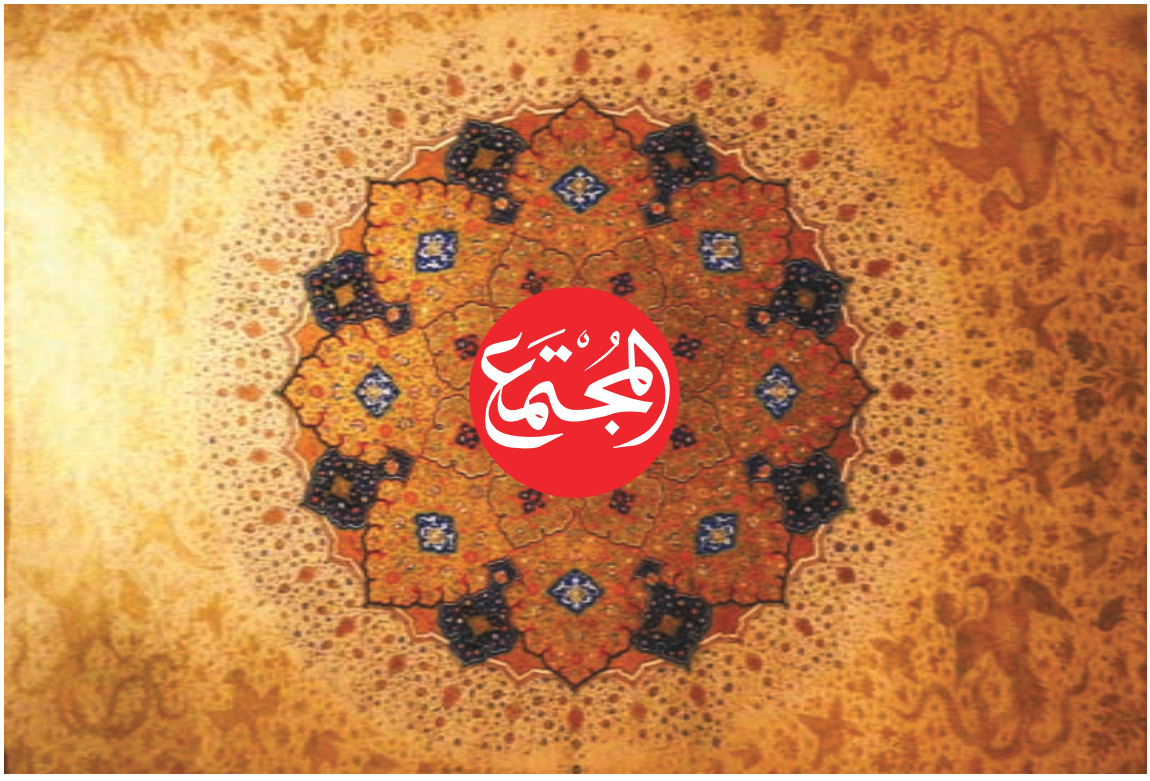

حركة مجلة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله تعالى، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، لذا فمن يدعو لفصل الدين عن الدولة وعن السياسة وعن الحياة وحصره في الشعائر وبين جدران المساجد فهو واهم ومخالف لصريح القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق مجلة «المجتمع» في فضاء الإعلام.■

الثورة السورية تواجه سلسلة من المنعطفات في عامها السادس

عمار ياسر حمو

تواجه الثورة السـورية في عامها السادس سلسـلة من منعطفات، تتمثل في الاقتتال الداخلي بين فصائل الثورة السورية، وقتال الفصائل لـ «تنظيم الدولة الإسلامية» (داعش)، وملف الحل السياسي الذي يسعى المجتمع الدولي إلى فرضه على أرض الواقع.

وقد تصدّعت عدة جبهات داخلية في مناطق نفوذ الثوار؛ ما أدى إلى توتر العلاقات بين الفصائل، وتطور الأمر إلى اقتتال داخلي، كما حدث في محافظة إدلب الواقعة في الشمال السوري بين جبهة النصرة، والفرقة ١٣ التابعة للجيش السوري الحر، وكذلك في ريف حلب بين النصرة وحركة نور الدين زنكي.

ولكن اقتتال فصائل الغوطة الشرقية تصدر المشهد السوري خلال الأيام القليلة الماضية، لا سيما أن الاقتتال حصل بين مكونات القيادة العسكرية الموحدة للغوطة الشرقية، التي تأسست عام ٢٠١٤م، فانطلقت شرارة الاقتتال بين فيلق الرحمن وجيش الفسطاط من جهة، وجيش الإسلام من جهة أخرى في أواخر أبريل الماضي؛ ما أدى إلى وقوع عشرات القتلى في صفوف الطرفين، علاوة عن وقوع ضحايا في صفوف المدنيين.

بدأ الاقتتال بين فصائل الغوطة الشرقية نتيجة مداهمة فيلق الرحمن لمقرات تابعة لجيش الإسلام، وجاءت المداهمة على خلفية اتهام فيلق الرحمن لجيش الإسلام بضلوعه في عمليات الاغتيال ضد شخصيات بارزة في الغوطة الشرقية، لا سيما رئيس المجلس القضائي السابق في الغوطة الشرقية، علاوة عن مداهمته لمقرات فيلق الرحمن على أطراف مدينة دوما.

من جهته، كان النظام السوري يراقب أحداث الغوطة الشرقية، ويحضر لعمل عسكري على جنوبها، وهو ما حصل بالفعل، في ٢١ مايو، حيث سيطرت قوات النظام السوري على معظم القطاع الجنوبي إثر هجوم شنته ضد قوات المعارضة المرابطة فيها.

سقوط القطاع الجنوبي بيد النظام كان ضربة قاسمة لأهالي الغوطة، لا سيما أنه يعتبر السلة الغذائية التي ساهمت في كسر حدة الحصار المفروض على الغوطة الشرقية منذ أواخر عام ٢٠١٢م، علاوة عن أن محاولات النظام السوري في السيطرة على القطاع ما كانت لتنجح لولا سحب فصائل المعارضة قواتها من جبهات القتال مع النظام، لتعزيز الجبهات الداخلية بين الفصائل المتنازعة.

وعلى صعيد آخر، يشهد شمال سورية وجنوبها معارك عنيفة بين فصائل المعارضة السورية وتنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش)، حيث تواجه المعارضة في ريف حلب تحدياً واضحاً، يتمثل في فتح ثلاث جبهات؛ ضد النظام السوري، وتنظيم «الدولة الإسلامية»، ووحدات حماية الشعب الكردية، علاوة عن الغارات الجوية للنظام السوري على الأحياء المدنية الواقعة تحت سيطرة المعارضة.

«حلب تحترق».. وسمٌ تصدر وسائل الإعلام العربية والعالمية، بعد استهداف النظام السوري لمدينة حلب في الفترة الممتدة بين ١٩ – ٢٩ أبريل الماضي، شهدت المدينة وقتها أكثر من ٧ مجازر؛ ٤ منها على يد النظام السوري، و٣ على يد الطيران الروسي، وفق ما ذكرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان.

قتل في هذه الحملة أكثر من ١٤٧ مدنياً، بينهم ٢٧ طفلاً، و٣٥ امرأة، كما استهدف نظام الأسد في الحملة ذاتها أكثر من ١٣ مركزاً حيوياً من بينها مستشفيات ومدارس ومساجد.

وتشهد محافظة درعا جنوب سورية اقتتالاً بين فصائل الجبهة الجنوبية التابعة للجيش السوري الحر وجبهة النصرة من جهة، ولواء شهداء اليرموك وحركة المثنى المتهمتين بمبايعة تنظيم «داعش» من جهة أخرى، وأدى الاقتتال الحاصل فيها إلى التضييق على المدنيين، وحصارهم في مناطق النزاع.

وعلى صعيد ثالث، يترقب الشارع السوري ما يدور في دهاليز السياسة حول المفاوضات السياسية، للخروج بحل سياسي للأزمة السورية، مع تبادل للاتهامات بين النظام والمعارضة، في محاولات إفشال «الحل السياسي»، فنظام الأسد ينفذ ضربات عسكرية بذريعة خرق فصائل المعارضة لما عرف بـ «وقف الأعمال العدائية»، أو بذريعة قصفه لمواقع جبهة النصرة المستثناة من الهدنة.

وفي المقابل؛ تتهم المعارضة السورية نظام «الأسد» بسلسلة من الانتهاكات والخروقات، التي من شأنها إفشال المفاوضات، لا سيما قصف المدنيين المتواصل في حلب وإدلب وحمص وريف دمشق، وكذلك استمراره في سياسة «التجويع» التي مارسها سابقاً على بلدة مضايا، وتسبب في كارثة إنسانية أودت بحياة العشرات نتيجة الجوع، ويمارسها حالياً على مدينة معضمية الشام، التي تسير على خطى مضايا إذا لم تتدارك المنظمات والمؤسسات الدولية الأمر.

مجريات الأحداث الأخيرة في سورية حرفت بوصلة فصائل الثورة السورية – نوعاً ما – عن مسارها، بعد أن كان الهدف الأساسي هو إسقاط النظام السوري متمثلاً في رأسه «بشار الأسد»، أصبحت الفصائل مجبرة على عدة سيناريوهات؛ الأول مواصلة التصدي للنظام السوري، الذي يسعى من العملية السياسية توسيع رقعة سيطرته على الأرض، وقتال تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش)، لتثبت المعارضة السورية أنها ضد الإرهاب وتواجهه، والسعي إلى رفع الحصار عن المدنيين الواقعين تحت سيطرة المعارضة، إرضاءً لتطلعات المدنيين بوصفهم الحاضنة الشعبية للفصائل.■

«تخفيض العتبة» في الانتخابات المقبلة ومحاولة فرملة الإصلاحات في المغرب

الرباط: عبدالغني بلوط

تُظهر جميع المؤشرات السياسية أن حزب العدالة والتنمية المغربي سائر في طريق احتلال المرتبة الأولى خلال الانتخابات التشريعية المقبلة في المغرب، والتي ستجري في أكتوبر القادم، فعدد من استطلاعات الرأي ومنها تلك التي أجرتها وسائل إعلام مناوئة بوَّأته المرتبة الأولى.

وأظهرت تقدم شعبية رئيس الحكومة الحالي عبدالإله بن كيران الذي يستند إلى خصال لم يعهدها المغاربة في رؤساء حكوماتهم السابقة مثل الجرأة والشفافية والخطاب القوي والقريب من فهم العامة، إضافة إلى ما حققه الحزب من نتائج مبهرة في الانتخابات المحلية في سبتمبر ٢٠١٥م كانت مفاجئة للكثيرين، بالنظر إلى الحملة الكبيرة التي تعرض لها من قبل خصومه، ومفاجئة أيضاً لعدد من مناضليه والمتعاطفين معه بعدما ساد خطاب بينهم يقول: إن هذا الحزب مستعد لأن يخسر شعبيته مقابل أن يربح الوطن، استناداً إلى ما قامت به الحكومة من إجراءات «مؤلمة» كانت ضرورية لإنقاذ اقتصاد البلد من الهاوية، ولإنصاف فئات خاصة الفقيرة من المجتمع لم يكن لها من يدافع عنها.

إن الشعور لدى الجميع أن حزب العدالة والتنمية ذا المرجعية الإسلامية يمكن أن يهيمن على الساحة السياسية، في ظل معارضة ضعيفة جعل البعض يفكر في ألف وسيلة من أجل فرملة تقدم العدالة والتنمية، سواء بتسخير الإعلام، أو مواقع التواصل الاجتماعي، أو بعض المؤسسات الرسمية من أجل تشويه صورته، وإظهار أخطائه بـ «مكبرات ومساحيق»، أو عرقلة مشاريع جد مهمة مثل الهيئة الوطنية للمساواة، أو عرقلة إصلاح قانون التقاعد، أو القانون الجنائي أو قانون الصحافة، بل سعي البعض إلى ربط عمله بأجندات خارجية، أو تدخلات أجنبية لضمان فوزه مرة ثانية في تحليلات قريبة من الهلوسة منها إلى الموضوعية.

وفي ظل هذه الأجواء، ظهرت «حيلة» أخرى هذه المرة انتخابية محضة، وهي تخفيض «العتبة» أو «الحاجز» من ٦٪ إلى ٣٪ في اللوائح المحلية (كل حزب لم يحصل على هذه النسبة من عدد الأصوات المعبر عنها يتم إقصاؤه مباشرة)، وهي كلما كان الحاجز مرتفعاً؛ كانت حظوظ الأحزاب الكبيرة قوية في الفوز بأكبر عدد من المقاعد، بل إن حزب الاتحاد الاشتراكي نفسه رأى أن الإبقاء على الحاجز هذا تهديد مباشر لوجوده، وبالتالي طالب بإلغائه كلياً.

وحسب المراقبين والمحللين السياسيين، فإن بقاء عتبة ٦٪ كما كان في انتخابات عام ٢٠١١م، سيمكن هذا حزب العدالة والتنمية من الحصول على ١٣٠ – ١٥٠ مقعداً، مقابل ١٠٦ في عام ٢٠١١م؛ وبالتالي سيرأس الحكومة ويحصل على نصف المناصب الوزارية، فيما تخفيضها إلى ٣٪ يمكن أن يفقده حوالي ٣٠ مقعداً؛ وبالتالي يكون قريباً جداً من الحزب الثاني في المرتبة، وبالتالي يشكل حكومة ضعيفة، أو ربما تنقلب الآية ويصبح العدالة والتنمية ثانياً.

ويقول أستاذ العلوم السياسية محمد الغالي: إن خفض الحاجز لا يساعد على تشكيل أقطاب سياسية قوية قادرة على مواجهة التحديات، بقدر ما يخدم مصالح فئوية وأجندة اللوبيات، ويسهم فقط في شرذمة المشهد السياسي.

عدد من مناضلي وقيادات الحزب الحاكم يقللون من أهمية هذا الأمر، ويعتبرونه ثانوياً؛ لأن المعركة في نظرهم حسب محمد يتيم، عضو الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية، هو تحجيم «التحكم» وتجريده من كل أسلحته التي يسعى بها إلى توقيف مسلسل الإصلاح الديمقراطي وإعادة المغرب إلى الوراء.

البرلمانية القوية خديجة أبلاضي ترى أن تخفيض الحاجز في المرحلة الراهنة لا يشكل تهديداً مباشراً للديمقراطية، ولكنه قد يساهم بنسبة قليلة في «بلقنة» المشهد السياسي.

في المقابل؛ يرى د. خالد شيات، أستاذ العلوم السياسية، أن تخفيض العتبة ونمط الاقتراع والتقطيع الانتخابي وغيرها الهدف منها الحد من هيمنة العدالة والتنمية، وإمكانية تسهيل التحكم في حكومة فسيفسائية من أحزاب كثيرة ما بين أربعة وستة تصعب مهمتها في تحقيق ما يصبو إليه المغاربة.

المحلل السياسي أستاذ العلوم السياسية عبدالعالي الحور يسير في الاتجاه ذاته، ويرى أن هذا التخفيض أو السعي إليه يناقض التوجهات التي كانت ترغب فيها الدولة من خلال «عقلنة» المشهد الحزبي، والسعي لخلق أقطاب سياسية وتكتلات، ولم شتات الأحزاب.■

انتقادات من الأمم المتحدة ومخاوف من تفكك المجتمع..

موريتانيا: خطاب رئاسي يعيد أزمة الرق لواجهة السجال السياسي

نواكشوط – محمد ولد شينا

أثار خطاب للرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز في مدينة النعمة شرقي البلاد، أخيراً، جدلاً واسعاً في الساحة السياسية الموريتانية، بعد أن اعتبر أن مشكلة العبودية في موريتانيا ترجع إلى تصرفات فردية، قال: إنها غير مسؤولة تتعلق بمعدل الإنجاب المرتفع عند بعض الأفراد، خصوصاً من شريحة الأرقاء السابقين، واصفاً التصرف بأنه يزيد من مستوى الفقر في البلد، وأن أصحابه يعرضون الأطفال لقدر كبير من التهميش والفقر.

وقد تسببت تلك التصريحات في موجة غاضب عارمة في الشارع الموريتاني، ووجهت انتقادات لاذعة من المنظمات الحقوقية والأحزاب السياسية.

فقد اعتبر «ميثاق الحقوق السياسية والاجتماعية للأرقاء السابقين»، وهو هيئة مستقلة تدافع عن قضايا الأرقاء والأرقاء السابقين بموريتانيا، أن الرئيس محمد ولد عبدالعزيز ضاق ذرعاً بالزيادة الحاصلة في نسب المواليد في صفوف شريحة الأرقاء السابقين، معتبراً أن تصريح ولد عبدالعزيز تفوح منه رائحة عنصرية مقيتة، مستغرباً أن يصدر مثل هذا التصريح من شخص يفترض فيه أنه أب للجميع، ويسمو على كافة التناقضات والصراعات في المجتمع باعتباره رئيساً للجمهورية.

واستغرب بيان للميثاق أرسلت نسخة منه لـ «المجتمع» ما سماه نكران الرئيس ولد عبدالعزيز لوجود العبودية بموريتانيا، رغم ما قالوا: إنها شواهد حية ونماذج تكتشف كل يوم في أكثر من مدينة موريتانية، خصوصاً في المناطق الريفية.

واعتبر البيان أن هذه التصريحات تعبر عن احتقار واضح واستهزاء بمشاعر كافة الشعب الموريتاني، وبالأخص مكون «لحراطين»، وتكرس جهلاً مركباً بالعمق الثقافي للمجتمع.

من جهتها، دعت مبادرة «انبعاث الحركة الانعتاقية» الرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز إلى الاعتذار، والتراجع عن تصريحاته، مطالبة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بتسجيل موريتانيا ضمن البلدان المؤهلة لـ «مسؤولية الحماية»، طبقاً للاحتياطات الاحترازية التي اعتمدت في مؤتمر القمة العالمي في سبتمبر ٢٠٠٥م، متهمة الرئيس الموريتاني بمحاولة المس باللحمة الوطنية، من خلال توجيه خطابه إلى شريحة معينة.

العبودية ونظام القبائل

بدوره، اعتبر المقرر الخاص للأمم المتحدة المكلف بالفقر المدقع وحقوق الإنسان «فيليب آلشتون»؛ أن ما سماها الآثار الوخيمة للعبودية والنظام القائم ما تزال قائمة وتشكل خطراً حقيقياً على موريتانيا، مضيفاً أن جهود وكالة التضامن التابعة للحكومة الموريتانية ليست ناجعة وضعيفة للغاية.

وقد شنت أحزاب الأغلبية الداعمة للرئيس ولد عبدالعزيز انتقادات حادة ضد من سمتهم بمخربي الوطن، معتبرة أن خطاب الرئيس بشأن العبودية تم تحريفه عمداً من بعض قادة المعارضة والهيئات الحقوقية.

وقال رئيس حزب الاتحاد من أجل الجمهورية الحاكم في موريتانيا سيدي محمد ولد محم: إن كلام الرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز عن تحديد النسل يعني الموريتانيين جميعاً ولا يخص شريحة «لحراطين» بعينها، معتبراً أن مطالبة الرئيس لهم بتنظيم النسل ليس عملاً سيئاً.

واتهم رئيس الحزب الحاكم خلال مؤتمر صحفي في نواكشوط حزب التجمع الوطني للإصلاح والتنمية بركوب الموجة.■

تركيا: ملامح القيادة الجديدة للعدالة والتنمية

أنقرة: د. سعيد الحاج

بعد أقل من عشرين شهراً في قيادة حزب العدالة والتنمية الحاكم والحكومة التركية، أعلن البروفيسور أحمد داود أوغلو عن تنحيه عن رئاستهما عبر مؤتمر استثنائي دعا إليه ولم يترشح له، فاتحاً المجال أمام انتخاب وزير المواصلات والملاحة البحرية والاتصالات السابق بن علي يلدرم رئيساً للحزب، ومكلفاً بتشكيل الحكومة الجديدة التي لم تكن قد عرضت برنامجها وأعضاءها على البرلمان لنيل الثقة بعدُ أثناء كتابة هذه السطور.

أوغلو مصافحاً يلدرم

لم يكن منتظراً – على الأقل من الناحية النظرية – أن تحصل خلافات كبيرة بين أردوغان، وأوغلو تؤدي إلى ابتعاد أحدهما عن مشهد السلطة في تركيا، باعتبار اتفاقهما في الرؤى والإستراتيجيات العامة للسياسة التركية داخلياً وخارجياً، وعملهما على مدى سنوات طويلة جنباً إلى جنب دون مشكلات تُذكر، والانطباع «التكاملي» الذي أعطياه للقيادة التركية بين قائد وسياسي قوي ومفكر ومنظر عميق.

ورغم صحة كل ما سبق، فإن مسيرة التعاون بين الطرفين قد وصلت إلى طريق مسدود؛ دفع مهندس السياسة الخارجية التركية على مدى سنوات حكم العدالة والتنمية للتنحي جانباً، وذلك لأسباب رئيسة ثلاثة:

الأول: المعضلة البنيوية – الدستورية في النظام السياسي التركي الذي ما زال يسيّره دستور ما بعد انقلاب عام ١٩٨٠م، والذي يتضمن تعارضات وتقاطعات واضحة – ومقصودة – بين صلاحيات كل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، أدت تاريخياً إلى مشكلات واضطرابات بين كل رئيس ورئيس وزراء تقريباً منذ عام ١٩٨٢م، ولئن أخر التوافق في السياق العام بين أردوغان، وأوغلو ظهور الاختلافات إلى العلن، لكنه لم يستطع منعها تماماً، سيما وأن العدد الكبير من التعديلات الدستورية منذ عام ٢٠٠٢م، إضافة لانتخاب أردوغان كرئيس جمهورية بأصوات الشعب لأول مرة في تاريخ الجمهورية التركية قد ضاعفا من تعارض الصلاحيات، وجعلا من النظام السياسي في البلاد «هجيناً» بين البرلماني والرئاسي من الناحية الفعلية.

الثاني: المميزات الشخصية لكلا الرجلين والتي أعطت انطباعاً غير سوي بوجود رأسين للسلطة التنفيذية، فأردوغان قائد سياسي قوي وذو كاريزما وإنجازات وحضور طاغ، وأوغلو منظر سياسي ومفكر من طراز رفيعٍ، أثبت علو كعبه في السياسة أيضاً، فاختلف الطرفان حول آلية اتخاذ القرار ومرجعيته بين رئيس يريد أن يُستشار في الملفات المهمة، ورئيس وزراء يبحث عن استقلالية القرار وسلاسة التنفيذ في المساحات المتفق عليها.

الثالث: بُعد يبدو شخصياً، وظهر في طيات تصريحات أردوغان وبين سطور خطاباته الأخيرة قبل تنحي داود أوغلو وبعده، في إيحاء واضح نحو إشاعات ترددت في كواليس أنقرة تتهم الثاني بمحاولة تخطي الأول والانقلاب عليه، يبدو أنها وجدت صدى لدى أردوغان، فكان تذكيره اللاذع صباح

المؤتمر الصحفي الذي عقده داود أوغلو: «من المهم بالنسبة للوزير أن يعرف كيف وصل لمنصبه، وما الذي يجب عليه فعله هناك».

ملامح المرحلة المقبلة

لم يخسر العدالة والتنمية ولا الحكومة وقتاً طويلاً، ولم يتركا مساحة للتفاعلات السلبية بسبب القرار، فكان تاريخ المؤتمر الاستثنائي القريب، ودخول الحزب بمرشح توافقي واحد، ثم استقالة حكومة داود أوغلو، وتكليف الرئيس المنتخب بن علي يلدرم بتشكيل الحكومة الجديدة خلال أقل من ساعتين في تسلسل واضح وسرعة ملحوظة إشارات لا تخفى مراميها المتعلقة بإرادة الحفاظ على وحدة الحزب داخلياً وصورته خارجياً.

ولقد كان لأحمد داود أوغلو نفسه الدور الأكبر في تحقيق هذا الهدف، أولاً بتفضيله التنحي على خوض معركة بقائه والتمسك بمنصبه وصلاحياته، وثانياً في المؤتمر الصحفي الذي عقده ليعلن تنحيه، ثم ثالثاً في كلمته الوداعية في المؤتمر والتي أودعها الكثير من عبارات التأكيد على أن وحدة الحزب وتماسكه الداخلي أهم بكثير من الأشخاص والمناصب، في موقف نبيل يحسب له وسيبقى في سجله لسنوات طويلة قادمة، لكنه أيضاً لم يخل من التلميح والتعريض بأن «قرار الرحيل لم يكن قراري».

لم يكن رئيس الحزب – والحكومة – فقط هو الذي تغير في المؤتمر، بل تشكيلة الهيئة العليا للحزب المكونة من ٥٠ عضواً، كمؤشر أيضاً على تغييرات مهمة متوقعة في تشكيلة الحكومة وأسماء وزرائها، وهي تغييرات تصب في مسار تشكيل مرحلة جديدة في تركيا، من أهم معالمها:

أولاً: إثبات العلاقة المتينة بين حزب العدالة والتنمية ومؤسسه رئيس الجمهورية الحالي رجب طيب أردوغان، رغم انفصاله عنه تنظيمياً، وقد كان ذلك واضحاً من خلال حضوره المعنوي في المؤتمر باستماع الحضور لخطابه المرسل للمؤتمر وقوفاً والتصفيق الحاد لدى ذكر اسمه، وتصريحات أغلب مسؤولي الحزب وفي مقدمتهم رئيسه الجديد، وهي علاقة كانت قيادات الحزب تتجنبها في السابق لمحاذيرها الدستورية.

ثانياً: سيكون عنوان العلاقة بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الحزب والحكومة في المرحلة القادمة التناغم التام، بحصر الحكومة ورئيسها قدر الإمكان في المربع التنفيذي الإجرائي، وترك رسم السياسات والرؤى للرئيس أردوغان، لتجنب حصول أي تعارض أو خلافات شبيهة بالتي حدثت مع داود أوغلو.

ثالثاً: ولتحقيق كل ذلك بدون اضطرابات دستورية أو مشكلات مع المعارضة ينبغي المسارعة في خطوات إقرار دستور جديد للبلاد يعيد صياغة النظام السياسي في البلاد، ويخلصه من التعارضات القائمة، إما بنظام برلماني خالص أو بنظام رئاسي ناجز، وهذا الخيار الثاني هو الذي يسعى له العدالة والتنمية إما مباشرة وإما على مراحل بسبب افتقاده للأغلبية البرلمانية التي تؤهله

تاريخ المؤتمر الاستثنائي للحزب وطرح مرشح توافقي ثم استقالة حكومة أوغلو وتكليف يلدرم خلال أقل من ساعتين إشارات على الإرادة في الحفاظ على وحدة الحزب داخلياً وصورته خارجياً

أوغلو لم يخرج نهائياً من المعادلة السياسية من خلال تأكيده على بقائه داخل أطر الحزب وممارسة مهامه كنائب برلماني عن محافظة قونيا

لحسم الأمر عبر البرلمان أو عبر استفتاء شعبي بدرجة أدنى.

رابعاً: ستكون الفترة المقبلة عنواناً للتركيز على عدد من الملفات ومحاولة حسمها رغم صعوبة ذلك، وفي مقدمتها مواجهة حزب العمال الكردستاني، وملف التنظيم الموازي، والتطورات في الشمال السوري («تنظيم الدولة»، والفصائل الكردية المسلحة) وغيرها.

ما بعد أوغلو

الطريقة التي خرج بها «الأستاذ» من المطبخ السياسي التركي جنباً إلى جنب مع المتغيرات المتسارعة في البيئة الإقليمية والعلاقات التركية المتوترة مع مختلف الأطراف تطرح أسئلة مهمة حول اتجاه السياسة الخارجية التركية بعد تنحي مهندسها على مدى أكثر من ١٤ عاماً، وأيضاً حول مستقبله السياسي.

بيد أن التوقعات بتغييرات جذرية في سياسة أنقرة الخارجية تبدو متسرعة تحت ضغط الأحداث وتسارعها، لعدة سياقات؛ فالعدالة والتنمية لا يملك نظريات بديلة لما طرحه الرجل لتسير على هداها السياسة الخارجية في المستقبل القريب، كما أن نظريات الرجل ليست بعيدة عن أدبيات وقناعات الحزب وقياداته لا سابقاً ولا لاحقاً، فضلاً عن أن تقييم أردوغان والحزب والحكومة بل وأوغلو نفسه لا يرى مشكلة في النظريات نفسها بقدر ما يتحدث عن متغيرات جذرية وجوهرية في الجوار القريب لتركيا يفرض عليها تعديل بوصلتها بما يتناغم مع حالة السيولة في المنطقة.

من ناحية أخرى، فلا يبدو أن أوغلو قد خرج تماماً ونهائياً من المعادلة السياسية في تركيا، من خلال تأكيده على بقائه داخل أطر الحزب وممارسة مهامه كنائب برلماني عن محافظة قونيا مسقط رأسه، فضلاً عن أن الكلمة التي ألقاها في المؤتمر حملت الكثير من الإشارات التي طافت حول هذا المعنى أحياناً بوضوح وأحياناً أخرى برسائل مشفرة.

تلخيصاً، ستشهد السياسة الخارجية التركية في المستقبل القريب بعض التغييرات التكتيكية غير المرتبطة بشكل مباشر برحيل داود أوغلو، بل هي تغييرات كانت قد بدأت فعلاً خلال فترة رئاسته للحكومة، بينما ستبقى تركيا في حاجة لإعادة صياغة «الباراديم» أو الإطار الناظم لمسار سياستها الخارجية والموجه لها على المدى الإستراتيجي بما يتوافق مع رؤيتها الحضارية وأهداف مئوية تأسيسها عام ٢٠٢٣م، وحينها لن تجد أفضل من المنظر الإستراتيجي أحمد داود أوغلو الذي أضاف لإبداعه الأكاديمي خبرة عملية لا تقدر بثمن ليقود دفتها تنظيرياً وعملياً.■

الفترة المقبلة ستكون عنواناً للتركيز على عدد من الملفات أهمها مواجهة حزب العمال الكردستاني والتنظيم الموازي والتطورات في الشمال السوري

السياسة الخارجية التركية ستشهد في المستقبل القريب بعض التغييرات التكتيكية التي كانت قد بدأت فعلاً خلال فترة رئاسة أوغلو للحكومة

الجزائر: مخاوف من عودة الاستدانة الخارجية.. والحكومة تطمْئن

الجزائر: عبدالعالي زواغي

أثارت الوضعية المالية الحساسة للجزائر، بسبب الانهيار التاريخي لأسعار النفط في الأسواق الدولية، مخاوف جدية من عودة البلاد إلى طوق المديونية التي تخلصت منها بشق الأنفس، عندما كانت في بحبوحة مالية خلال السنوات القليلة الماضية، في ظل تسجيل عجز في الموازنة واستمرار تدني أسعار النفط التي تمثل المدخول الأساسي للبلاد، حيث خسرت الحكومة الجزائرية ما نسبته ٦٠٪ من موارد موازنتها العامة في أقل من عام ونصف عام، كما خسرت أيضاً ٣٥ مليار دولار من احتياطات النقد الأجنبي في نفس الفترة.

وقد أدت هذه الوضعية إلى تجميد عملية إطلاق مشروعات جديدة في العديد من المجالات، خصوصاً تلك المتعلقة بالبنى التحتية، كما قادت الحكومة إلى تطبيق إجراءات متشددة في تمويل المشاريع، حيث أصدرت وزارة المالية أواخر شهر مارس الماضي، تعليمة لجميع الآمرين بالصرف تحض على ضرورة وقف تمويل المشاريع الجديدة، باستثناء تلك التي تعتبر إستراتجية ومستعجلة.

يبدو أن الحكومة الجزائرية تواجه فعلاً صعوبات كثيرة في التعامل مع هذه الوضعية، مثلها في ذلك مثل الكثير من البلدان التي تعول على الريع فقط في تسيير موازناتها المالية، مما قد يجرها إلى الاستدانة الخارجية لإنقاذ النفقات العمومية، وهو اختيار عبر عنه صراحة وزير المالية عبدالرحمان بن خالفة، واعتبره أمراً عادياً إذا لجأت إليه الحكومة، حيث قال في تصريحات إعلامية: إن لجوء الجزائر إلى الاستدانة الخارجية يعتبر أمراً عادياً، لافتاً إلى أن نسبة مديونية البلاد حالياً لا تتعدى ٨٠٪، في وقت تجاوزت نسبة الديون الخارجية لبعض الدول ٦٠٪، في محاولة لطمأنة الرأي العام الجزائري الذي ما صدق أنه تخلص من قبضة صندوق النقد الدولي وإجراءاته المجحفة في حق الدول الراغبة في الحصول على القروض الدولية، في حين يرى خبراء الاقتصاد بأن الاستدانة في هذا التوقيت تعدد السيادة الوطنية ويعرض الاقتصاد الجزائري إلى مواجهة حتمية مع تبعات تطبيق توصيات الهيئات المالية الدولية وعدم التمتع بالاستقلالية في تبني الأنظمة والقوانين الهادفة إلى حماية السوق الجزائرية.

ولمواجهة الوضع الاقتصادي الذي تعرفه الجزائر في الوقت الراهن، وضعت حزمة من الإجراءات، كان أهمها إطلاق ما عرف بـ «النموذج الاقتصادي الجديد»، وتقرر تسميته وإطلاقه بداية من شهر أبريل الماضي تحت مسمى «القرض السندي للتطور الاقتصادي»، وهذا لأول مرة منذ سنوات عديدة من توقيفه، وبهدف إقناع أكبر عدد ممكن من المكتتبين بشراء سندات من الخزينة العمومية، سواء الشركات والمؤسسات، أو حتى المواطنين وأصحاب الثروات في القطاع الخاص دون استثناء، وعلى مدى ستة أشهر بضمان سيادي من الدولة التي رصدت أموالاً معتبرة للحملة الإعلامية التي واكبت إطلاقه، في محاولة لجذب المكتتبين لقروض الحكومة.

ويواجه الجزائريون مسألة القرض السندي بكثير من التردد، نظراً لمانع شرعي فيه يتمثل في الفوائد الربوية التي تجرها السندات، والتي تبلغ ما بين ٥ و٥,٧٥٪.

وبالنسبة لبعض خبراء الاقتصاد الجزائريين، فإن الحكومة كان بإمكانها التعامل بالصيغ الإسلامية على غرار السندات التشاركية لتفادي المعاملات الربوية.

برغم كل هذه المخاوف، طمأن الوزير الأول عبد المالك سلال الرأي العام، من خلال تصريحات إعلامية، وأكد أن الجزائر متحكمة في الوضع الاقتصادي رغم تراجع أسعار البترول في السوق الدولية.■

رغم مرور ٦٨ عاماً عليها..

«النكبة» الفلسطينية

ما زالت مستمرة

القدس المحتلة: مراد عقل

أحيا الشعب الفلسطيني يوم الأحد الخامس عشر من مايو الماضي الذكرى الـ٦٨ لـ «النكبة»؛ بالخروج بمسيرات حاشدة، وتنظيم اعتصامات ومهرجانات في مخيمات اللجوء، وذلك تأكيداً على حق عودة اللاجئين إلى أرض الآباء والأجداد، وتوارثه من جيل إلى جيل، حتى نيل هذا الحق التاريخي الذي لا يسقط بالتقادم.

حاتم عبد القادر

عباس زكي

أمجد شهاب

فمنذ عام ١٩٤٨م والاحتلال يسعى بلا هوادة إلى طمس معالم وتاريخ وجغرافية وتراث فلسطين، وهي مستمرة، وما زال يصادر الأرض ويقيم المستوطنات ويستولي على المياه ويحاصر القدس ويعمل على تهويدها ويقتحم المقدسات خصوصاً المسجد الأقصى المبارك ويرفض عودة اللاجئين والنازحين.

وما زالت النكبة مستمرة للاجئين سواء كانوا من عام ١٩٤٨ أو عام ١٩٦٧م، يعيشون ظروفاً قاسية وغير إنسانية، وقسم كبير منهم عاش ويعيش للمرة الثانية والثالثة اللجوء والتشرد بسبب الحروب الأهلية في العديد من البلدان العربية وخاصة في سورية.

ولا شك أنه في كل مناسبة تمر على ذكرى النكبة يشعر الفلسطيني بإحباط أكثر بأن فلسطين ما زالت محتلة؛ لأن الاستيطان مستشر بصورة كبيرة، والأرض تصادر، وعروبة الشعب الفلسطيني تسلب في صبيحة كل يوم، لكن الأمل الكبير عند الجيل الفلسطيني الجديد بأنه يشعر بأن النكبة هي منصة للتحدي ومدعاة للإصرار بضرورة تحرير الأرض والإنسان.

نكبات متتالية

وقال وزير شؤون القدس السابق حاتم عبدالقادر لـ «المجتمع»: نحن أمام سلسلة نكبات ارتدادية للنكبة الكبرى لعام ١٩٤٨م، وما زالت هذه النكبات تتوالى على الشعب الفلسطيني، بحيث كدنا ننسى نكبتنا الأولى، والآن نتلهى في سلسلة من النكبات؛ أهمها الاحتلال، والاستيطان، وتهويد القدس، والاعتداء على المقدسات وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، وإنكار حقوق الشعب الفلسطيني، وحتى إنكار الهوية الفلسطينية، ومحاولة إحلال الرواية الصهيونية مكان الرواية الفلسطينية، لذلك نحن نحي هذه الذكرى في الوقت الذي يمر فيه الشعب الفلسطيني بأوضاع صعبة.

وأكد عبد القادر أن ذكرى النكبة سوف تبقى بالنسبة لنا ناقوساً يدق في الذاكرة الفلسطينية والضمير الفلسطيني، وهي تبقى لنا مصدر وحي وإلهام بألا ننكسر أمام الاحتلال الصهيوني، وألا نتراجع أو نستسلم، ولكن هذا لا يكفي، فلا بد للنكبة أن تكون بالنسبة لنا وقفة للمراجعة لكي نراجع ونحاسب أنفسنا على كل هذه المسيرة التي مضت منذ العام ١٩٤٨م وحتى الآن، من خلال إعادة تصحيح شامل لكل المواقف والأخطاء التي وقع فيها القياديون الفلسطينيون، في مقدمتها «اتفاق أوسلو» الذي كان عبارة عن مصيدة للشعب الفلسطيني الذي لم يكن اتفاقاً سياسياً بقدر ما كان اتفاقاً أمنياً واقتصادياً، ونحن الآن نحصد نتائج الاتفاق الوخيم على الشعب الفلسطيني.

انقسام فلسطيني

وأردف عبدالقادر قائلاً: تأتي هذه الذكرى وما زال الانقسام الفلسطيني مستمراً بين مكونين أساسيين للشعب الفلسطيني؛ هما حركتا «فتح» و «حماس»؛ وبالتالي الانقسام جر الكثير من الأضرار الإستراتيجية على الشعب الفلسطيني، ولذلك هذا همٌّ آخر يجب أن نوليه مزيداً من الجهود للخروج من الدائرة المغلقة التي أصبحت تهدد القضية الفلسطينية بصورة عامة.

ولكنه أشار إلى أنه في كل الأحوال أياً كان سلوك القيادة السياسية، إلا أن لدينا ثقة في الشعب الفلسطيني الذي قدم على مدى الأعوام الـ٧٠ الماضية التضحيات وآلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين، ورغم كل المحن والصعوبات سوف يستمر هذا الشعب في نضاله من أجل إحقاق حقوقه الوطنية المشروعة أياً كانت شراسة الاحتلال الصهيوني، وأياً كانت ضعف القيادة الفلسطينية، ولا يمكن لهذا الشعب على مدى الأعوام أن تذهب تضحياته سدى دون أن يحقق آماله وطموحاته في تقرير المصير والعودة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف؛ وبالتالي هي مسيرة مستمرة، بالطبع نحن نتألم، ولكن بالتأكيد لن نفزع ولن نهاب ولن نتراجع أمام هذا العدو الصهيوني.

النكبة الحقيقية

من جانبه، قال د. أمجد شهاب، أستاذ العلوم السياسية، لـ «المجتمع» في تقييمه للوضع الفلسطيني بعد مرور ٦٨ عاماً على النكبة: من الصعب جداً تقييم ووصف النكبة وصفاً دقيقاً، وباعتقادي أن النكبة حدثت قبل ذلك بكثير، ولو رجعنا لأسباب النكبة الحقيقية المستمرة ليومنا هذا لوجدنا أن النكبة الأكبر من احتلال وسرقة الأرض في القرن العشرين، موضحاً أن النكبة الحقيقية التي أدت إلى نكبة عام ١٩٤٨م هي نكبة العقول والوعي والمرجعيات وأزمة القيادة المستمرة قبل وبعد النكبة، وهي الأصعب على معالجتها وتحريرها من تحرير فلسطين، وإذا استمرت فاستمرار النكبة سيمر وبوتيرة أخطر مما نعيشه اليوم، مضيفاً أنه بعد ٦٨ عاماً نحن اليوم مقسمون ومشتتون إدارياً وقانونياً وجغرافياً؛ القدس والضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطينو الداخل والمنفي من الدول العربية المحيطة إلى بقية بقاع الأرض، وسياسياً بين السلطة في الضفة الغربية، وحركة «حماس» في قطاع غزة، مع تهميش كامل لدور الفلسطينيين في الخارج، بالإضافة إلى فلسطيني الداخل،

مؤكداً أن المجتمع الدولي ما زال يستخف بمعاناة الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره، في ظل استمرار سياسة القمع والتهويد للقدس والاستيطان والقتل والحواجز والمصادرة ومعاناة الفلسطينيين اللاجئين في الداخل والخارج.

ورأى د. شهاب أن الأخطر في النكبة بعد ٦٨ عاماً أنها بدأت بعملية اغتصاب وسرقة الأرض بالسلاح والمال تحت أعين أصحاب الأرض الأصليين والعرب والمسلمين والمجتمع الدولي، وتحويل هذه السرقة إلى نزاع خرج به صاحب الحق إلى جزء من الصراع لتصبح قضية حدود وأراض بدل أن تكون حقاً تاريخياً، وتطورت إلى نحو أخطر حين اعترف المعتدى عليه وصاحب الحق المغتصب السارق بحقه بالعيش وإقامة دولته على أغلبية أرضه وبشرعيته ووجوده بدون مقابل ملموس، والآن يتطور هذا الاعتراف بمطالبة رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو والرئيس الأمريكي أوباما بالاعتراف بشرعية المعتدي وبيهودية الدولة المغتصبة الذي سيلغي ليس فقط حق الفلسطينيين بالمطالبة بحقوقهم وحق اللاجئين بالعودة، بل سيلغي حقهم في تقرير مصيرهم كدولة قابلة للحياة في محاولة لتفكيك الهوية الفلسطينية والعربية والإسلامية أيضاً.

وتابع شهاب بقوله: المؤلم هنا أنه بعد ٦٨ عاماً اغتصاب فلسطين وإنشاء دولة الكيان الصهيوني نجد أن هناك شريحة تكونت من المستفيدين بدأت تتكون على أنقاض هذه النكبة، منها الفلسطيني ومنها العربي، وعلى سبيل المثال لم يشهد التاريخ وجود حكومتين بدون أي نوع من السيادة أو الدولة تتنازعان على سلطة وهمية بعد ضياع الأغلبية الساحقة من أرضهم، مشيراً إلى أن الوضع أصبح لا يطاق مع وجود شريحة زبائنية تعيق على الأقل حل مشكلة الانقسام أو العودة إلى منظمة التحرير، أو إعادة شرعية بعض المؤسسات مثل الرئاسة والمجلس التشريعي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدرة الدولة العبرية على التفرد على الشعب الفلسطيني كل على حدة، تارة مجموعة تطالب بالمساواة والحقوق وجزء يطالب بصلاحيات أكثر وبالعودة، وجزء يطالب بالتعويض، وجزء محاصر، وجزء يتعرض للتهويد ويطالب بحقه بالصلاة والمحافظة على أماكنهم المقدسة.

وأكد شهاب أن الفلسطينيين يعانون أيضاً في الدول العربية، وأكثرهم معاناة هم فلسطينيو لبنان وسورية، وأن القضية الفلسطينية استخدمت وما زالت تستخدم كأيديولوجيا وأداة وشعار لتبرير وجود بعض الأنظمة الاستبدادية ومحافظة كورقة لتحسين علاقاتها مع الدول الغربية، وفي حال اعترفت الدول العربية بشرعية الدولة العبرية بالوجود مثل الأردن ومصر وتبعتهما بعض الدول الخليجية وبعض دول المغرب العربي ستحول النكبة والقضية الفلسطينية إلى عبء ثقيل على هذه الدول، وسيحاولون التخلص منها بأزهد الأثمان مع ضياع كل الجهود والتضحيات الجسيمة التي قدمت من أجل إنهاء هذه النكبة.

ويرى شهاب أن الأخطر اليوم هو مشروع تقسيم المسجد الأقصى تقسيماً زمانياً ومكانياً، وللأسف استطاع الاحتلال تقسيمه زمانياً، ويحاول تقسيمه مكانياً في ظل وضع عربي صعب ومنقسم وضعيف وغير مبالٍ، فالمسجد الأقصى لا يرمز فقط لمكان ديني (أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين)، فالمسجد الأقصى يمثل الهوية والتاريخ والوجود والقضية الفلسطينية لم تعد قضية العرب الأولى، بل أصبحت القضية الفلسطينية تجسد الوضع العربي.

أما عباس زكي، عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح»، فقال في تعقيبه على ذكرى النكبة: جاءت اللحظة لرفع الظلم التاريخي الذي وقع على شعبنا جراء النكبة التي غيرت وجه المنطقة في أبشع صور التطهير العرقي والتهجير الذي مورس ضد الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨م وإقامة دولة الاحتلال «الإسرائيلي» على أنقاض مدن وقرى فلسطين، وعلى ذكريات وأحلام شعب تحول بين ليلة وضحاها من صاحب أرض إلى لاجئ في مخيمات ظلت شاهدة على هول الجريمة.

وأضاف: حان الوقت أكثر من أي وقت مضى من أجل تفعيل المواجهة الميدانية الشعبية الواسعة مع الاحتلال، والتي ينبغي أن تشمل كافة القرى والمدن والمخيمات، وفي الوقت نفسه ملاحقة مجرمي الحرب الصهاينة على ما اقترفوه من جرائم ضد الشعب الفلسطيني، وعلى كل المستويات من محكمة لاهاي وحتى المحاكم الوطنية في دول أوروبا والدول الأخرى.

وشدد زكي على أن حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجروا منها قسراً وتعويضهم عن أملاكهم وما لحق بهم طيلة ٦٨ عاماً مضت هو حق لا تنازل عنه أبداً، وقد ضمنه القرار الأممي رقم (١٩٤) الذي ظل حبيس أدراج الأمم المتحدة ولم يخرج إلى الحياة؛ مما يستدعي تحركاً عربياً فاعلاً لإلزام العالم المدافع عن الحريات بتنفيذ القرار، وقد آن الأوان لإنهاء معاناة الشعب الفلسطيني بعد تلك السنوات العجاف التي لم تنته عند حدود النكبة، بل ظلت قوات الاحتلال مستمرة في مخططات التهجير ونهب الأرض ومصادرتها وتهويد القدس، فتآكلت أرضنا أمام غول الاستيطان، مشيراً إلى أن عمق القضية الفلسطينية ينبع من بُعدها العربي؛ مما يحتم على الأشقاء العرب؛ حكومات وأحزاباً، أن يعيدوا الاعتبار لقضية العرب الأولى رغم إدراكنا حجم هموم الأشقاء الداخلية، التي تستغلها قوات الاحتلال لتمرير مخطط خطير يستهدف النيل من مشروعنا الوطني لتقويض مبدأ إقامة دولة فلسطين.■

لبنان: الانتخابات البلدية بطرابلس.. رسائل ودلائل

خاص: «المجتمع»

انقشع غبار استحقاق الانتخابات البلدية في طرابلس عن مشهد جديد يؤشر إلى تنامي الحالة الاعتراضية الشعبية في وجه الطبقة السياسية في لبنان. ففي المناطق ذات الأغلبية الشيعية برزت للمرة الأولى ظاهرة اللوائح المواجهة للثنائي «حزب الله – أمل»، حيث استطاعت المنافسة في كثير من الأحيان.

أما في المناطق المسيحية، فلم يتمكن الثنائي «القواتي – العوني» من تحقيق «التسونامي» الذي وعد به، ولم يصمد أمام المسيحيين المستقلين والعائلات الذين شعروا بخط وجودي والرغبة في إلغائهم، أما في الساحة السُّنية فشكلت بيروت وطرابلس النموذج الأوضح لهذا المشهد.

ولقد حملت نتيجة المدينة اللبنانية الثانية طرابلس جملة من الرسائل؛ فاللائحة المدعومة من وزير العدل المستقيل أشرف ريفي حصلت على ٢٢ مقعداً من أصل ٢٤ في مواجهة لائحة رئيسي حكومة (ميقاتي، والحريري)، والوزير محمد الصفدي، وجميع نواب المدينة والتي حازت على مقعدين فقط.

لم يأتِ انتصار ريفي من فراغ، إذ أعلن الرجل أن مشروعه هو مواجهة هيمنة «حزب الله» على الحكومة والدولة، ورفض مهادنته على عكس الرئيس سعد الحريري الذي قرر ترشيح أحد أصدقاء «بشار الأسد» (الوزير سليمان فرنجية) لرئاسة لبنان، كما أعلن الوزير ريفي الحرب على المحكمة العسكرية بعد حكمها المخفف على المجرم ميشال سماحة المتورط بإدخال عشرات العبوات إلى لبنان لتنفيذ اغتيالات وتفجير تجمعات مدنية معارضة للنظام السوري، ثم استقال من الحكومة يوم أخلت المحكمة سبيل سماحة، وأخيراً لم يتخلَّ ريفي عن قيادات المحاور في طرابلس كما فعل مختلف القيادات السياسية.

من هنا، تحمل نتائج البلدية العديد من الدلالات المهمّة:

أولاً: عبر الطرابلسيون عن ارتباطهم بمن يحافظ على موقف سياسي واضح، ويرفض المساومة على ثوابت المدينة، بالإضافة إلى من يحافظ على علاقة وثيقة بالأحياء الشعبية، والتعبير عن همومها، وأن اسم رئيس الحكومة رفيق الحريري، وقضية اغتياله، لم تعد قادرة كما في السابق على تجيير القوة الناخبة لتيار المستقبل، وأن الرئيس ميقاتي ليس القوة الأكبر في طرابلس، وهو الذي عمل على تسويق هذه الفكرة تياره السياسي عبر خطابه.

ثانياً: أثبتت انتخابات طرابلس أن المال السياسي لم يعد عاملاً أساسياً للفوز بمعركة انتخابيّة في مدينة بحجم طرابلس، ولا يُمكن أن يؤمّن الفوز في حال غابت القضية، بل كرّست نتائج طرابلس وجود حالة اعتراضيّة على الأحزاب السياسيّة التقليديّة في لبنان.

ثالثاً: الرسالة الأهم أن مفهوم استتباع الناس للحزب أو الزعيم قد تراجع جذرياً، وأن تياراً واسعاً بات مقتنعاً بمفهوم المحاسبة وتحديد أولوياته بنفسه، وأن سياسات التفرد أو الإلغاء التي مارستها مختلف القوى السياسية لم تعد مستساغة من المواطن، بل تنتج نوعاً من الشعور بالتعاطف مع مظلومية المستهدف، والمواطن بات يضغط وبشدة على العمل المشترك الحقيقي حول قضايا تمس حاجاته واهتماماته هو وليس اهتمامات القوى والزعامات السياسية، ولم يعد يستسيغ مفهوم التسويات البعيدة عن الحلول العميقة في ظل الانقسام الحاصل في المنطقة وانعكاساته على المكونات اللبنانية، كما أدت النتائج لاستبعاد المرشحين المسيحيين والعلويين، وهذا يُشير إلى وجود مناخ عند جزء من الناخبين بتشطيب المرشحين غير السُّنة.

رابعاً: جميع الأحزاب والقوى السياسية في مختلف المكونات، لم تتجرأ على الخضوع لامتحان تقييم جماهيرها لأدائها؛ فلجأت لفكرة التوافقات إما لخلفية إلغاء آخرين داخل المكون الواحد كما في الساحتين المسيحية والشيعية، وإما هروباً من تجربة تحديد الأوزان كما في الساحة السُّنية، ونتج عن ذلك تحالفات هجينة صدمت الرأي العام كوجود من يرفض النظام السوري المجرم ومن يؤيده في لائحة واحدة، أو أعداء الأمس اللدودين حلفاء اليوم، وانتهاء اصطفافي ٨ و١٤ آذار بعد صراع محموم تم تصويره بصراع المبادئ وأقحم كلٌ فريق جمهوره فيه.

خامساً: تمرّد تيار المستقبل بكوادره وأفراده في الشارع الطرابلسيّ على قرار زعيمه سعد الحريري بالتصويت لهذه اللائحة، فتعاطفوا مع أشرف ريفي متأثرين بظهوره بمظهر الضحيّة، مستنهضاً عندهم تلك الحساسية تجاه «حزب الله» وسياسته وسلاحه وقتاله في سورية.

لقد خلطت الانتخابات البلدية كل الأوراق والتحالفات وجمعت المتناقضات، فنشأت تحالفات جديدة مؤقتة وغالباً غير منسجمة مع المواقف المعلنة لأصحابها، وألغت الأحادية حتى داخل المجتمع الشيعي الذي ظل ممسوكاً منذ ما بعد الحرب، فنشأت ثنائيات تنذر بمتغيرات وتكاد تقضي على مشروع اعتماد النسبية في قانون الانتخاب الجديد، فـ «المصيبة» البلدية ستعيد توحيد مساعي الأحزاب والطبقة الحاكمة قبيل الانتخابات النيابية في مايو ٢٠١٧م، وربما عجلت في الاتفاق على إبقاء قانون الانتخاب الأكثري المعتمد؛ أي قانون الستين.■

حسب رواية أحد أبنائه..

اللقاء التوديعي لأفراد عائلة زعيم الجماعة الإسلامية ببنجلاديش قبل إعدامه

في الحادي عشر من مايو الماضي، قامت الحكومة البنجالية بتنفيذ حكم الإعدام في الشيخ مطيع الرحمن نظامي، زعيم الجماعة الإسلامية البنجالية، وأحد الدعاة والعلماء البنجال، وهو ما أثار ردود فعل غاضبة في أنحاء العالم الإسلامي.

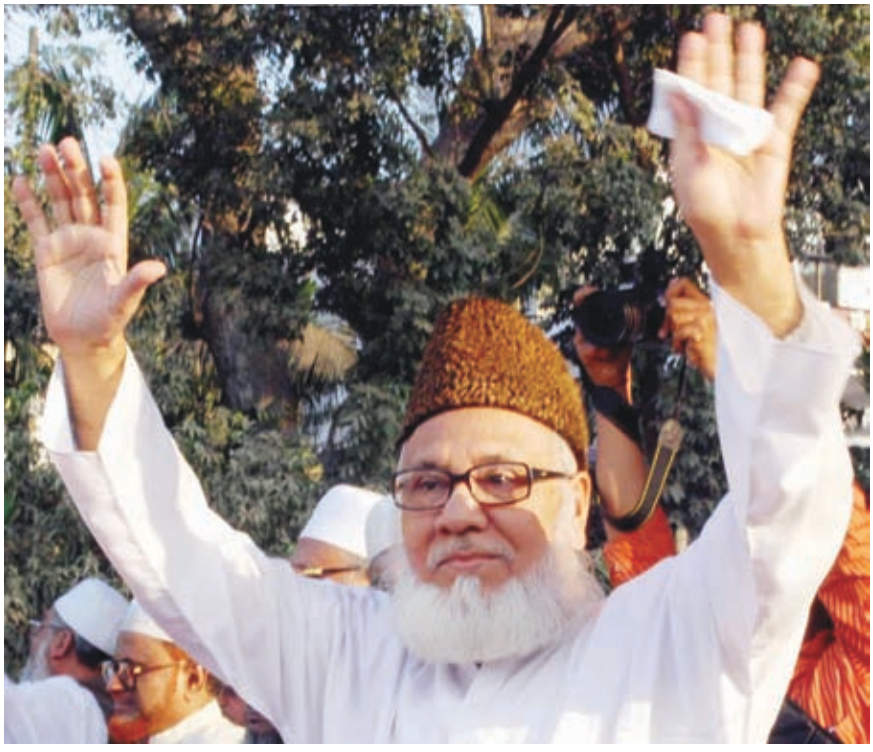

في السطور التالية يروي أحد أبناء الشهيد (نحسبه كذلك) تفاصيل اللقاء التوديعي لعائلة الشيخ له والذي تم قبيل ساعات من تنفيذ حكم الإعدام فيه:

قبل دقائق معدودة من دخول وقت صلاة المغرب تلقى الأخ ميتو، مساعد الوالد الشخصي، مكالمة على هاتفه المتحرك، هذه المكالمة لم تكن مكالمة عادية كسائر المكالمات الأخرى التي ترد على هاتفه، ليتبين له بعد استلامها أنها كانت من مسؤول في السجن المركزي يطلب منه إبلاغ عائلة الشيخ مطيع الرحمن نظامي وأقاربه باللقاء معه في السجن في غضون الساعة السابعة مساء دون أن يوضح هل هذا اللقاء هو اللقاء التوديعي الأخير من عدمه، وعلى وجه السرعة، أبلغ مساعد الوالد الشخصي النبأ للعائلة؛ حيث أخذت استعداداتها على وجه السرعة وغادروا المنزل مستقلين ثلاث سيارات متوجهين إلى السجن المركزي دون أن يعلموا أن هذا اللقاء هو لقاء توديعي أخير لهم.

بعد تجاوز نقاط التفتيش الأمنية والسياج الأمني المشدد وحشود الصحفيين دخل ٢٦ فرداً من عائلة الشيخ مطيع الرحمن نظامي السجن المركزي، وفور دخولنا استلمنا خطاباً خطياً صادراً من مصلحة السجون وهو ما كان كافياً لمعرفة سبب طلب إدارة السجن للقاء مع الوالد، حيث أدركنا وقتها أن هذا اللقاء هو اللقاء التوديعي الأخير لنا مع والدنا في السجن، وبعد انتهاء إجراءات التفتيش توجه بنا مسؤولو السجن إلى الزنزانة الانفرادية الخاصة بوالدي في عنبر الإعدام؛ حيث كان والدي يقيم في العنبر الأخير من الزنزانة الانفرادية المعتمة التي كانت تحمل الرقم (٨)، والتي كانت تشبه القبر تماماً، إذ إن غرفته كانت عديمة التهوية، لا نوافذ، ولا مصابيح إضاءة، ولا مروحة، وتبلغ مساحة الزنزانة الانفرادية ٨ أمتار، ومحاطة بسياج حديدي وأمام ذلك بلكونة صغيرة جداً مظلمة.

إذاً هو اللقاء التوديعي

كان الوالد جالساً على سجادته الخضراء في زنزانته متوجهاً نحو القبلة رافعاً يديه يدعو الله سبحانه وتعالى، وقد سمعنا الأدعية التي كان يدعو بها الوالد بصوت واضح كما كنا تعودنا على سماعها منه بصوته المعتدل المنخفض، فلم يكن الدعاء بصوت عالٍ ولا بصوت منخفض، وكان بين الأدعية استراحة قصيرة كما كنا نراه منذ نعومة أظفارنا، وقد

> **ابن الشهيد: من الصعب أن تتمسك بعواطفك وتترفع عن جميع أنواع المحبة وتتكلم بهدوء وأريحية تامة وأنت واقف أمام الإنسان الذي يرى الموت المحقق بعينيه**

لاحظنا وجود قط بني فاتح اللون جالساً بجانب الوالد وكأنه يشارك الوالد في الدعاء، معاذ (حفيده البالغ من العمر ثلاث سنوات) صعد السلم وأمسك بالمقبض الحديدي للزنزانة الانفرادية منادياً جده قائلاً: «جدي جدي نحن وصلنا افتح الباب»! ليلتفت الوالد بعد الانتهاء من الدعاء ويقف بهدوء ويترجل نحو السياج الحديدي قائلاً: أنتم أتيتم؟ إذاً هذا هو اللقاء التوديعي الأخير!

أختي الكبيرة لم تستطع أن تتحكم بعاطفتها وقالت: لا يا والدي العزيز بإذن الله سبحانه وتعالى لن يكون هذا هو اللقاء الأخير، ليتحول المشهد إلى مشهد عاطفي حزين ومؤثر يدمع القلب والعين معاً، وبعد ذلك طلب الوالد من الجميع التزام الهدوء والتحلي بالصبر، ومن خلف القضبان صافح جميع أفراد العائلة الوالد الذي كان يرتدي إزاراً قطنياً أبيض اللون وثوباً قطنياً أبيض، كان الوالد يتعرق بغزارة بسبب انعدام التهوية في الزنزانة التي كانت بلا نوافذ ولا مصابيح إضاءة ولا مروحة في هذا الموسم الصيفي الساخن الحار، ورغم ذلك لم تفارق الابتسامة الخفيفة التي تعودنا عليها محياه؛ فلا شيء كان يكدر صفوه، وكان من الصعب التصديق بأن هذا الشخص سينفذ فيه حكم الإعدام في غضون ساعات.

لم نكن نستطيع مشاهدة الوالد وهو داخل زنزانته المعتمة، ولم يكن هو أيضاً يستطيع أن يشاهدنا جميعاً بوضوح، ولهذا طلبنا من مسؤولي السجن الذين كانوا في الموقع فتح باب العنبر ليتسنى لنا رؤيته، وقد قاموا مشكورين بفتح باب العنبر ليخرج الوالد من زنزانته ويجلس على كرسي بلاستيكي أبيض اللون في ساحة العنبر.

لن أطلب العفو من أحد

بدأ الوالد وبلهجته المعتادة الاستفسار عن أحوال الجميع ثم وضح موقفه قائلاً: بعد أن تلا عليَّ السجان حكم المحكمة العليا برفض الالتماس الأخير الذي قدمته، طلب مني السجان توضيح موقفي من الاعتذار، وطلب العفو الرئاسي من عدمه، فقلت له بالحرف الواحد: إنني لم أرتكب أي جريمة، وطلب العفو الرئاسي يعني اعترافي بذنبي بارتكابي لجريمة لم أرتكبها، ولهذا فإنني لم أعتذر ولن أعتذر، ولن أطلب العفو الرئاسي؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الحياة والموت، وإذا طلبت العفو الرئاسي فإن هذا يعني فقداني لإيماني، وأنا لا أريد أن أفرط في إيماني في هذه اللحظة.

بعد ظهر ذلك اليوم (١٠ مايو) زارني نائب المفتش العام لمصلحة السجون، وطلب مني تقديم خطاب خطي بعدم طلبي العفو الرئاسي من الرئيس، فقدمت ذلك له، حيث كتبت فيه بوضوح: «لن أطلب العفو، ولن أطلب الصفح من أحد».

قدم الوالد نصائح قيمة للجميع، وطلب منهم الالتزام بالهدوء والتحلي بالصبر، ورغم صعوبة الموقف وقساوة المشهد لم نر الدموع في عينيه، لكن لم يكن مبلد الإحساس، معطل المشاعر، بل كان هادئاً تماماً، وكأنه ينتظر بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر لقاء ربه، ثم انصرفنا جميعاً لتستطيع والدتي قضاء وقت مع والدي.

ستجدونني في والدتكم

كانت والدتي تشجع الوالد على الثبات والاستقامة في الدين لآخر رمق من حياته، وتحفزه على نيل الشهادة لما لها من مكانة عالية ومنزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وإننا سوف نستشهد بأنك كنت عبداً صادقاً تقياً، فلم ترتكب أي جريمة، ولم تؤذ أحداً، ليرد عليها الوالد بأنك من اليوم والدهم ووالدتهم؛ حيث إن فلذات أكبادي يمكن لهم أن يروني فيك، وأنت تبحثين عني فيهم.

ثم دخلنا على الوالد مرة أخرى مع إخواننا وأخواتنا، حيث وصانا الوالد بالعيش معاً، واتباع سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم والسير على نهجه وخدمة الوالدة والبر بها، قائلاً: فإنكم ستجدونني فيها، وسوف تجدني والدتكم فيكم، عليكم إيصال ما تعرفونه عن والدكم للشعب من غير زيادة ولا نقصان ولا مبالغة؛ فأنا الآن أبلغ من العمر ٧٥ عاماً، وكثير من زملائي لم يهبه الله العمر المديد مثلما وهبه لوالدكم؛ فالحياة والموت بيد الخالق لا بيد المخلوق، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، فإذا كتب الله أجلي في هذه الليلة فإن ذلك كان من الممكن أن يكون في بيتي، وعلى كل الأحوال والظروف أحسنوا الظن بالله – سبحانه وتعالى – وأبشروا بالخير واشكروه على نعمه.

بعد ذلك اصطحبنا فلذات أكبادنا إلى جدهم؛ حيث أبلغناه بأن أسماء أحفاده الثلاث تتوافق مع اسمك، فالرجاء منك الدعاء لهم بأن يكونوا عباداً صالحين مصلحين، وأن يكونوا مثلك، ليرد الوالد قائلاً: أتمنى أن يكونوا أكبر مني، وأن يصلوا إلى مراتب ومكانة لم أصلها.

ثم سرد علينا قصة قال فيها: في ذات يوم سأل عالم كبير ابنه: ماذا تريد أن تكون؟ فقال

الشهيد مطيع الرحمن نظامي لأسرته:

- لن أطلب العفو الرئاسي لأن ذلك يعني فقداني لإيماني وأنا لا أريد أن أفرط في إيماني في هذه اللحظة والله تعالى هو الذي يملك الحياة والموت

- أبلغ من العمر ٧٥ عاماً وكثير من زملائي لم يهبه الله العمر المديد مثلما وهبه لوالدكم ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

الابن: أريد أن أكون عالماً كبيراً مثلك، عندها أجهش العالم في البكاء، وعندما سئل: لماذا كنت تبكي؟ فأجاب: أنا كنت أريد أن أكون مثل الإمام علي رضي الله عنه، وأنت تريد أن تكون مثلي؛ فشتان بيني وبين الإمام علي؛ فعليك أن تفكر إلى أي مدى تستطيع أن تذهب.

قلنا للوالد: إننا لم نستطع أن نفعل لك شيئاً، فرد علينا بقوله: إن الله سبحانه وتعالى هو صاحب القرار الأول والأخير، ويمكنكم المحاولة والسعي فقط، فالكثير من زملائي الذين هم أصغر مني قد انتقلوا إلى جوار ربهم وكان بإمكانه أن يأخذني عنده في أي وقت، وإذا يشرفني ويكرمني الله سبحانه وتعالى بالشهادة بدون أن أخوض الحروب والمعارك، فهذا شرف لي بما فيه الكفاية.

كم أنا محظوظ وسعيد!

ثم تطرق الوالد لموضوع مختلف، حيث تناول موضوع التضحيات الجسام العظام التي قدمها المواطنون في البلاد له ولقادة الحركة الإسلامية، وقدم لهم الشكر والتحية من أعماق قلبه، وقدم الشكر لجميع الآباء والأمهات الذين أنجبوا هؤلاء الأبطال، وحث الجميع على الدعاء له بأن يتقبل الله شهادته لترد عليه الوالدة قائلة: لقد كرمك الله في الدنيا، وسيكرمك الله في الآخرة إن شاء الله، ثم قال الوالد: أنا إنسان أنحدر من قرية ريفية نائية، وما شاهدته ولامسته من مشاعر إنسانية فياضة وجياشة للعلماء الكبار تجاهي وإعرابهم عن قلقهم على مصيري، وعدم ذهاب رئيسة الوزراء الشيخة حسينة لقمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في تركيا قبل أيام خوفاً من مناقشة قضية إطلاق سراحي من قبل القادة الإسلاميين جعلتني محظوظاً؛ فأحس الآن كم أنا محظوظ، وكم أنا سعيد بذلك!

وقد طلبنا من الوالد بأن يشفع لنا عند رب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون بالفوز بالجنة، فرد علينا قائلاً: «اعملوا ما يجعلكم تفوزون بالجنة، وإن شاء الله سوف تدخلونها».

بعد ذلك طلبنا منه أن يرفع يديه إلى رب السماوات والأرض ليدعو لنا وللأمة الإسلامية، حيث دعا قرابة الساعة، استهلها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا بالأدعية المسنونة، واختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

بعد انتهاء الدعاء أخبرني ابني بأنه شاهد مسؤولي وموظفي السجن المركزي وهم ينهمرون في البكاء.

سأل الوالد ابنه الثاني نجيب مؤمن (أخي) عن رأيه: هل الأفضل أن يذهب لحبل المشنقة بالإزار أم بالسروال والقميص؟ فأجابه أخي بأنه يفضل الذهب إليه بالسروال والقميص.

ضيف من ضيوف الجنة

بحكم عملي طبيباً، فقد شاهدت العديد من مشاهد الموت أمام عيني، لقد رأيت الكثير يحتضرون ويعدون العد التنازلي للموت، رأيت الموت على وجوههم، والرغبة الجامحة في البقاء على قيد الحياة ليوم إضافي، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها ضيفاً من ضيوف الجنة، يتوق للقاء ربه، ليضع قدميه على باب الجنة، وقد كانت لديه فرصة التقدم بطلب عفو رئاسي، إلا أنه فضل الشهادة في سبيله، وهو ما يدل على قوة وصلابة إيمانه، وهذه هي المرة الأولى التي أرى فيها شخصاً يحتضن الموت بهذه الأريحية.

إن كل من تعاملوا أو تعايشوا مع الوالد سيشهدون أنه كان شخصاً خلوقاً ليناً متواضعاً، كان يتتبع أحوال القريب والبعيد دون كلل أو ملل، وإذا تعرض أحد لأذى كان يعايده مراراً وتكراراً، وهذا دليل على محبته للناس ومدى ارتباطهم بهم. وفي معظم اللقاءات العائلية كان دائماً يقول عن نفسه خوفاً: بما أنني لين الطبع هل سأستطيع أن أبقى حازماً حتى النهاية؟

إن من الصعب أن تتمسك بعواطفك، وتترفع عن جميع أنواع المحبة، وتتكلم بهدوء وأريحية تامة وأنت واقف أمام الإنسان الذي يرى الموت المحقق بعينيه.

في نهاية الاجتماع، سأل الوالد من منكم سيذهب إلى مدينة «فابنا» لحضور مراسم الدفن؟ فقلت له: أنا والأخ مؤمن، فقال لنا: اذهبوا بحذر، وطلب منا اصطحاب الأخ ميتو مساعده الشخصي، ومنعت الوالدة من الذهاب إلى فابنا، وطلب من الأخ مؤمن إمامة المصلين في صلاة الجنازة ونصحه بلبس القميص والسروال بدلاً من البدلة التي كان يرتديها.

الوصية الأخيرة لوالدي:

عليكم بالامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، واجتناب ما نهاكم عنه، واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والسير على نهجه مهما كانت الظروف، ومهما كانت الأحوال والظروف، عليكم بالصبر، وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، والمواظبة على الصلوات الخمس مع الجماعة في أول وقتها، وإنكم ستجدون وصيتي لكم في الكتاب الذي قمت بتأليفه وأنا في السجن بعنوان «الرسول صلى الله عليه وسلم على ضوء القرآن والسُّنة وحياة المؤمن على ضوء القرآن والسُّنة».

وأخيراً التفت إلى الوالدة وقال لها: فلذات أكبادي الستة تركتهم عندك أمانة في عنقك، ثم قال لنا: اذهبوا؛ فأنا أريد أن أشاهد مغادرتكم، بعد ذلك في مشهد وداعي مهيب صافح جميع أفراد العائلة الوالد الذي لم تفارق الابتسامة محياه، وغادرنا زنزانته الانفرادية المعتمة لتلحق معنا القطة التي كانت جالسة أيضاً معه في العنبر.

بعد خروجنا من السجن استقللت السيارة متوجهاً إلى منطقة «شاتهيا» في مدينة فابنا للوقوف على استعدادات الدفن لوالدنا الذي تركناه حياً قبل قليل، وعلى طول الطريق كانت صورته حاضرة أمام عيني بوجهه البشوش الممتلئ بالحيوية، وما زال صوته يتردد في أذني بكلماته الرقيقة، وهو يودع فلذات أكباده للمرة الأخيرة قبل أن يكون بجوار ربه.■

مقال

بقلم: د. يوسف السند

سمعة الدعاة تتحدى ظلم الطغاة!

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مدح الله خُلقه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾) (القلم)، وزكى بصره: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾) (النجم)، وحفظ نطقه ولسانه: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾) (النجم)، وأقسم الله بعمره المبارك: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾) (الحجر).

وأقسم الله بحياة رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وما أقسم بحياة أحد غيره؛ تمجيداً له وتعظيماً وتشريفاً له وتكريماً. (محمد كريّم راجح، قبس من القرآن الكريم).

وكم حاول الطغاة تشويه سمعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فارتدت سهام مكرهم إلى نحورهم فباؤوا بالخسارة والبوار؛ (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾) (الفرقان).

وبعد أن استخدم الكفار التعذيب والضرب والسجن والنفي والقتل، تحولوا بعد ذلك لاستخدام الآلة الإعلامية المتاحة في عصرهم، وذلك بعد أن ظهرت للمسلمين دولة وقوة وحضور اجتماعي واقتصادي وسياسي، فكانت الآلة الإعلامية بالتالي:

- الإفك والكذب.
- الإشاعة والتحريض.
- والتوهين والتثبيط.
- السخرية والضحك.
- الشعر.
- التجريح والتشكيك.
- الطعن والافتراء.

ثم قوي إعلام الكفار والمنافقين بانضمام إعلام اليهود؛ فكان الإرجاف وخلخلة الثوابت لدى المسلمين، حتى نزل القرآن الكريم كالصواعق الحارقة على الكافرين والمنافقين واليهود (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾) (الأحزاب).

ومن وسائلهم إثارة الشبهات حول الدعوة ورسولها صلى الله عليه وسلم ورموزها ورجالاتها ودعاتها، ومن ذلك ما كانوا يثيرونه ضده - صلى الله عليه وسلم - وهو يعرض الإسلام على القبائل، ويبلغهم رسالة ربه، فقد رُوي أن أبا لهب كان يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس بعكاظ، وهو يقول: يا أيها الناس، إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم. (مسند الإمام أحمد).

وسيظل الطغاة والظلمة ينهشون في أعراض العلماء والدعاة لعداوة الظلمة للإسلام، ظانين أنهم بتشويه سمعة الدعاة سينالون من الإسلام العظيم فيعملون الآتي:

- التشويه المعلن والمتعمد في الصحف المقروءة العادية والإلكترونية.
- إنتاج المسلسلات الهابطة والكاذبة، وتسخير بعض الممثلين والمخرجين وتسييرهم بالمال وإغرائهم لحرب الدعاة في وقت لا يستطيع الدعاة أن يدافعوا عن أنفسهم وسمعتهم ودينهم!
- تخوين الدعاة المصلحين وتكذيبهم.

وهذا ما حدّث عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سَيأتي على الناسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فيها الكَاذِبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائِنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأَمِينُ، ويَنْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ، قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: الرجلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ في أَمْرِ العَامَّةِ» (حسن بشواهده).

- إلصاق التهم بالدعاة المصلحين؛ «إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة؛ الملتمسون للبرآء العيب» (حسن لغيره).

وهذا هو منهج الظلمة في كل زمان ومكان؛ منهج عقيم، وتبذل سقيم، واتهام باطل، وتخوين كاذب، وهذا كله زبدٌ يعرفه الناس عبر التاريخ (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾) (الرعد).

ويظل الدعاة صادقين مع ربهم واثقين بأنفسهم ومنهجهم محبين لإخوانهم ودعوتهم، وإن سمعة الدعاة تتحدى الطغاة طال الزمان أم قصر، ولله در حسن البنا حين خاطب الدعاة: لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، ومازال في الوقت متسع، ومازالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد، والضعيف لا يظل ضعيفاً طول حياته.

والحمد لله رب العالمين.■

مسؤول الدبلوماسية الإنسانية بالإغاثة التركية عزت شاهين:

نتمنى من الحكومة التركية منح الجنسية للاجئين

أجرى الحوار: سعد النشوان

مؤسسة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH) هي جمعية خيرية تركية تعمل في ١٢٠ دولة، تأسست عام ١٩٩٢م بغرض مساعدة المسلمين في البوسنة، وهي تسعى إلى تقديم المساعدات الإنسانية وتوفير حياة كريمة لكل المحتاجين والمظلومين في مختلف مناطق العالم، وكذلك تسعى للتصدي لكل ممارسة سياسية تنتهك حقوق الإنسان، وتعمل على تثبيت القيم الإنسانية العميقة في هذا العالم المتغير، لتوفير حياة كريمة للجميع.

«المجتمع» حرصت، من جانبها، على أن يكون لها هذا الحوار مع الأستاذ عزت شاهين، عضو المؤسسة ومسؤول الدبلوماسية الإنسانية بها، لإلقاء الضوء على دور الجمعية تجاه اللاجئين السوريين؛ حيث أكد أنه يوجد قبول وترحيب كبيران من الشعب التركي للاجئين السوريين، وهناك قبول أيضاً من الحكومة، مع أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأحزاب فيما يتعلق بقضية اللاجئين، حسب أيديولوجية كل حزب، متمنياً من الحكومة التركية منح السوريين صفة لاجئ، ومن ثم مستقبلاً تعطيهم الجنسية ويعيشون بيننا.

وفي هذا السياق، ثمن دور دولة الكويت وأميرها في الموقف الإنساني المشرف تجاه اللاجئين السوريين سواء داخل سورية أو خارجها.

● بداية، ما دور جمعيتكم تجاه أماكن الحروب والأزمات بصورة عامة، ودوركم تجاه اللاجئين السوريين بصورة خاصة؟

– منذ تأسيس الجمعية أثناء الحرب

> هناك ما يقارب ٣ ملايين لاجئ سوري في تركيا إلى جانب لاجئين عراقيين ومصريين وفلسطينيين وأفريقيين

في البوسنة والهرسك وإلى يومنا هذا، ركزت الجمعية بل وأعطت الأولوية لأماكن الحروب والأزمات في كل أنحاء العالم، كذلك نولي اهتماماً كبيراً بالكوارث الطبيعية التي تتعرض لها الشعوب والدول؛ كالزلازل والفيضانات والجفاف وغير ذلك، كما أننا نركز أيضاً على مناطق الفقر والمجاعات، وطوال تلك السنوات من العمل الجاد والمضني، أصبح لدينا خبرة طويلة في مجال العمل الإنساني في مناطق الأزمات.

أما بالنسبة لسورية، فهي دولة شقيقة وجارة لنا، تمتد حدودنا معها نحو ٩٠٠ كيلو متر، وعند حدوث الأزمة التي ألمّت بها، أصبحت مسؤوليتنا تجاهها كبيرة؛ نظراً للحدود المشتركة فيما بيننا، كما أن المساعدات التي نقدمها للاجئين متاحة نظراً للحدود المشتركة، أضف إلى ذلك أن جمعية IHH جمعية معروفة دولياً، حيث تشارك الكثير من الجمعيات العالمية المانحة والمنفذة فيما يخص الإغاثة في مناطق مختلفة من العالم.

منذ بداية الأزمة السورية وحتى يومنا هذا، قمنا بدور كبير جداً، وما زلنا نعمل على قدم وساق من أجل مساعدة اللاجئين السوريين سواء في الداخل أو الخارج.

● كم عدد اللاجئين السوريين في تركيا؟

– هناك ما يقارب ثلاثة ملايين لاجئ سوري، كذلك يوجد عندنا لاجئون عراقيون، ومصريون، وفلسطينيون، وأفريقيون، حيث أتوا لتركيا لأنها دولة مرغوب الإقامة فيها، والبعض أتى لأسباب أمنية، والبعض الآخر جاء لأسباب أخرى، ولكن لم تتوافر لهم سبل العيش في تركيا، وهم الآن في طريقهم إلى أوروبا، أو يقومون بالتفكير في الهجرة إليها.

● هل يوجد تنسيق بينكم وبين الدول المانحة بخصوص الأزمة السورية؟

– بالطبع هذا التنسيق موجود، ومن أهم الدول التي نقوم بالتنسيق معها دولة الكويت، حيث شاركنا في كل اجتماعات الدول المانحة للشعب السوري، وفي كل مرة تفي جمعية IHH بما تتعهد به من مساعدات إغاثية، ففي العام الماضي تعهدنا بمساعدات قدرها ١٠٠ مليون دولار، والعام الحالي تعهدنا بمساعدات قيمتها ٩٠ مليوناً.

وبهذه المناسبة نشكر دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً، فهم بالإضافة إلى المساعدات السخية التي قدموها للشعب السوري، قاموا بدعوة حكومات العالم إلى دولة الكويت، وكان لهم دور كبير في تعريفهم بحقيقة الأزمة السورية، وما يتعرض له الشعب السوري من محن وأزمات، وضغطوا على المانحين سواء من الحكومات أو الجمعيات بألا يتراجعوا عن مسؤوليتهم في تقديم مساعدات للاجئين وكذلك النازحين في الداخل، حيث توجد مخيمات وبيوت جاهزة قامت الكويت بإنشائها في الداخل السوري، كما قامت الحكومة الكويتية مشكورة بتقديم مساعدات كبيرة جداً للاجئين السوريين في الأراضي التركية، ولا ننسى دولة قطر أيضاً، حيث قامت بتقديم مساعدات كبيرة للاجئين السوريين في تركيا والنازحين في الداخل السوري، حيث وقفت الحكومة القطرية مع الأزمة السورية سياسياً وإنسانياً وإغاثياً، وما زالت قطر والكويت أكبر دولتين خليجيتين داعمتين للاجئين السوريين.

● ما دور الجمعيات الخيرية الكويتية (الإصلاح، والتراث، والخيرية) في تقديم المساعدات للاجئين السوريين؟

– نحن نتعاون مع كل الجمعيات الخيرية الكويتية، مثل الهيئة الخيرية، وجمعية عبدالله النوري، وجمعية الرحمة، وبيت الزكاة، ولولا هذه الجمعيات لكانت الكارثة أسوأ، ونتائجها أفدح، حيث قامت تلك الجمعيات بتقديم مئات الملايين من الدولارات على شكل مساعدات للاجئين والنازحين، ولا يمر يوم حتى تأتي حملة جديدة من الكويت من إحدى تلك الجمعيات.

● حصول سمو أمير الكويت على لقب قائد إنساني، كيف تنظرون إليه في سياق موقف سموه مع اللاجئين السوريين؟

– نحن نشهد في جمعية IHH أن سمو الأمير، حفظه الله، لم ينحصر عطاؤه في مساعدة اللاجئين في المخيمات داخل تركيا فقط؛ بل شمل كل سورية وكل المتضررين من الأزمة، سواء في تركيا أو في لبنان أو الأردن أو الداخل السوري، ونحن في الجمعية عندما نسافر إلى أي بلد في العالم يحتاج إلى إغاثة نجد آثار المساعدات الكويتية في هذا البلد المنكوب، ونسأل الله تعالى أن يعوضه خيراً عما يقدمه من خير للفقراء والمحتاجين، في الدنيا والآخرة.

● ماذا تقولون للشعب السوري؟

– أتمنى من الإخوة السوريين أن يصبروا، وأن يقاوموا، وأن يتفهّموا ويسامحوا إذا صدر أي تعدٍّ من أحد الأتراك عليهم، لأن مثل هؤلاء لا يمثّلون كل الشعب في تركيا، وأن يقفوا مع الجمعيات التركية مثل IHH ويساعدوا في نصرة إخوانهم السوريين، وأن يكونوا أكثر مسؤولية تجاه تعليم أولادهم والحفاظ على مستقبلهم.■

> نتعاون مع كل الجمعيات الخيرية الكويتية مثل الهيئة الخيرية وجمعية عبدالله النوري وجمعية الرحمة وبيت الزكاة.. ولولا هذه الجمعيات لكانت الكارثة أسوأ

عطاء أمير الكويت لم ينحصر في مساعدة اللاجئين في المخيمات داخل تركيا فقط بل شمل كل سورية وكل المتضررين من الأزمة في لبنان والأردن

إعداد: د. أشرف دوابة

بعد ارتفاع حجم التجارة البينية بين دول التعاون الإسلامي.. طموحات المستقبل تعيقها التحديات

شهد حجم التجارة بين الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ارتفاعاً بنهاية عام ٢٠١٥م ليصل إلى ٨٧٨ مليار دولار أمريكي، مقابل ٨٠٢,٢٥ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٤م، محققاً زيادة نسبتها ٩,٤٤٪، لكن هذا التطور يعيقه عوامل مؤثرة تقلل من التفاؤل بشأن المستقبل.

ويمثل العامل السياسي التحدي الأكبر في استمرار النمو في حجم التجارة البينية بين دول التعاون الإسلامي التي تعتمد على الاقتصاد الإسلامي ومحركاته في التعامل، وأهم الصور الممثلة لهذه التحديات استمرار الصراع الدائر في مناطق عدة في ظل استمرار الأزمة اليمنية بجانب الأزمة الأضخم بسورية وعدم استقرار الأوضاع في مصر والتدهور الاقتصادي الذي يعيق دورها بجانب الأوضاع في العراق.■

«التعاون الإسلامي» تطرح فكرة إنشاء شركة متعددة الجنسيات

طرحت منظمة التعاون الإسلامي فكرة إنشاء شركة متعددة الجنسيات تتملكها الدول الأعضاء، تشمل قطاعات إنتاج اللقاحات والمستحضرات الصيدلانية وتجارة المنتجات الزراعية وتصنيعها، خلال أعمال منتدى وكالات تشجيع الاستثمار في الدول الأعضاء، بمدينة الرياض.

وشددت المنظمة على أن هذا المشروع يسعى إلى تعزيز الاستثمارات الإسلامية البينية، من خلال استخدام التكنولوجيا الملائمة والابتكار، وتوفير فرص العمل لفائدة الشباب والفئات الضعيفة، وتعزيز الازدهار والرفاه عبر تطوير القدرة التنافسية الدولية لصادرات بلدان المنظمة.■

السياسة النقدية

تمثل السياسة النقدية دوراً مهماً في هيكل السياسات الاقتصادية الكلية، وتتصرف السياسة النقدية إلى الرقابة والتحكم في عرض النقود داخل الاقتصاد.

وتعرف السياسة النقدية بأنها السياسة التي تستخدمها السلطات النقدية ممثلة في البنك المركزي للتأثير على المعروض النقدي وتنظيم السيولة بصورة تمكن من تحقيق معدل نمو حقيقي ملائم، مع المحافظة في الوقت نفسه على استقرار الأسعار في الداخل، وكذلك استقرار سعر صرف العملة الوطنية.

وهي بذلك تعمل على معالجة مختلف الاختلالات والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية المهمة، وتحقيق استقرار اقتصادي واجتماعي وسياسي يكفل تحقيق تنمية حقيقية وعادلة ومستدامة.

وتقوم السياسة النقدية في الاقتصاد الإسلامي على معيارين أساسيين:

الأول: تجنب التعامل بالربا: ومن ثم لا يمكن للبنك المركزي في إدارته للسياسة النقدية استخدام سعر الخصم باعتباره رباً، باعتبار النقود في الإسلام يتاجر بها لا فيها، فهي مقياس للقيم ووسيط للتبادل ومستودع للقيمة أو الثروة ومعيار للمدفوعات الآجلة.

الثاني: تجنب التلاعب في النقود: ومن ثم لا يمكن للبنك المركزي في إدارته للسياسة النقدية استخدام التمويل بالعجز؛ أي طباعة النقود لتمويل عجز الموازنة العامة؛ مما يؤدي إلى التضخم وانخفاض القوة الشرائية للنقود؛ وهو ما يؤثر على النقود بصفتها مقياس للقيم ويضر بالمجتمع.■

رمضان.. والتربية الاستهلاكية الإسلامية

المنطق الرياضي يشير إلى أن رمضان شهر الاقتصاد فنسبة الاستهلاك فيه ينبغي أن تنخفض بمقدار الثلث باعتبار تخفيض عدد الوجبات من ثلاث وجبات إلى وجبتين

حسب الإحصاءات فإن الاستهلاك في «شهر الصوم» يرتفع بنسبة تتراوح بين ١٠ و٤٠٪ عنه على مدار السنة و٤٥٪ من الوجبات التي يتم إعدادها تلقى في القمامة

التبعية الغذائية التي تشهدها بلاد المسلمين تعد من أخطر التحديات أمام الدول الإسلامية فتلك الدول تخضع لتحكمات المتبوع الذي يمتلك الغذاء

يستقبل المسلمون شهر رمضان، وهو ضيف طيب مبارك، جمع الله فيه جوامع الخير، فيه ارتبطت السماء بالأرض فنزل أفضل منهج ممثلاً في القرآن الكريم لأفضل أمة كتب الله لها السيادة والريادة ما التزمت بذلك المنهج الرباني المشهود بالعقول السليمة والفطر المستقيمة، والذي يجمع بين الدنيا والآخرة في إطار قويم يسعد به الفرد والأسرة والمجتمع بل والبشرية جمعاء.

وفي هذا الشهر الكريم تتعدد الجوانب التربوية والإيمانية التي تسمو بالمسلمين إلى أعلى عليين، ومن هذه الجوانب الجانب الاقتصادي الذي لا ينفصم في الإسلام عن الجانب الإيماني والأخلاقي، فالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، وفي رمضان العديد من الدروس الاقتصادية؛ منها التربية الاستهلاكية الإسلامية، فرغم ما يتميز به شهر رمضان من بركات، فإن هذه البركات تتحول إلى الاستهلاك، فنحن أمة – للأسف الشديد – أصبح الاستهلاك ديدنها.

إن الاستهلاك المفرط لدى الكثير من الأسر المسلمة في رمضان أصبح يهدد حياتها الاقتصادية، حيث تشير بعض الدراسات التي أجريت على دول الخليج أن ٤٥٪ من الوجبات التي يتم إعدادها تذهب إلى صناديق القمامة، كما كشفت دراسة ميدانية عن الإسراف والتبذير في المأكولات الملقاة في صناديق القمامة في مدينة واحدة في إحدى الدول العربية، فكانت النتيجة أن الإسراف بلغ نحو ٣٦٥ مليون ليرة سنوياً.

وتشير الإحصاءات إلى أن الاستهلاك في «شهر الصوم» يرتفع بنسبة تتراوح بين ١٠ و٤٠٪ عنه على مدار السنة، فعلى سبيل المثال يمثل الإنفاق الاستهلاكي في مصر نسبة ٢٠٪ من النفقات السنوية على الغذاء، بينما ترتفع تلك النسبة في السعودية لنحو ٤٠٪، وفي المغرب لنحو ٣٠٪، هذا في الوقت الذي تتنامى فيه الفجوة الغذائية في العالم العربي، ومن المعلوم أن هذه الفجوة الغذائية تعني المزيد من الاعتماد على الخارج؛ ذلك لأننا أمة مستهلكة أكثر منها منتجة، ولم نصل بعد إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، رغم أن أرض السودان وحدها يمكن أن تفي بحاجات المسلمين جميعاً من الغذاء باعتبارها سلة غذاء العالم الإسلامي إذا تم توجيه الاستثمارات نحوها.

إن التبعية الغذائية التي تشهدها بلاد المسلمين تعد من أخطر التحديات أمام الدول الإسلامية، فتلك الدول تخضع لتحكمات المتبوع الذي يمتلك الغذاء ويستطيع أن يتحكم في نوعيته وجودته ووقت إرسالها إلينا، ومن ثم كان للاستهلاك أبعاد خطيرة كثيرة تهدد حياتنا الاقتصادية وتهدد أيضاً أمننا الوطني.

لقد جعل المسلمون من شهر رمضان – للأسف الشديد – موسماً سنوياً للإسراف، فتراهم يتهافتون إلى الأسواق؛ لشراء ما لذّ وطاب من الطعام والشراب الذي لا عهدَ لهم به في غير رمضان، وهذا مناف لحكمة الصوم، مناقضٌ لحفظ الصحة، معاكسٌ لقواعد الاقتصاد.

إن المنطق الرياضي يشير إلى أن رمضان شهر الاقتصاد فنسبة الاستهلاك في شهر رمضان ينبغي أن تنخفض بمقدار الثلث، باعتبار تخفيض عدد الوجبات من ثلاث وجبات في الأيام العادية إلى وجبتين في ذلك الشهر الكريم، فرمضان فرصة ومجال لامتلاك إرادة التصدي لحالة الاستهلاك الشرهة التي تنتابنا في هذا الشهر الكريم وتحقيق التربية الاستهلاكية من خلال القاعدة القرآنية الإرشادية المعروفة: (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ) (الأعراف:٣١)، وهذه القاعدة لا شك هي ميدان الترشيد على المستوى الفردي والمستوى العام.

إن رمضان محاولة لصياغة نمط استهلاكي رشيد، وعملية تدريب مكثّف تستغرق شهراً واحداً تفهم الإنسان أن بإمكانه أن يعيش بإلغاء الاستهلاك.

إن الإسراف في كل شيء ممقوت حتى مع السعة، فقد جاء التوجيه النبوي لمن أراد الوضوء بعدم الإسراف في الماء ولو كان على نهر جار، إنها حكمة اقتصادية خالدة وقاعدة استهلاكية رشيدة، ومن وصايا الرسول الكريم في مجال الإنفاق الاعتدال: «ما عال من اقتصد» (رواه أحمد)، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخذ شهر رمضان ترويضاً وتربية للنفس، لا كما نفعل نحن من تخمة أنفسنا بالملذات من مآكل ومشارب، تحرك الجوارحَ إلى المعاصي، وتثقلُها عن الطاعات، وتستهلك الأموال، وتضيع الأوقات في الأسواق.

إن المسلم يجب أن يؤمن أن له وقفَة مع الله سبحانه وتعالى يحاسبه عن هذا المال من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟! ولو قدر لهذه الأمة جمع ما تنفقه من أموال على الأمور التافهة في صندوق موحد ثم أنفق هذا على إزالة أسباب الفقر والبؤس من حياة الناس؛ لصلحت الأرض وطاب العيش فيها وأصبح كل امرئ راضياً مرضياً.■

بيانات الكتاب:

اسم الكتاب: مقاصد المقاصد.. الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة
المؤلف: د. أحمد الريسوني.
الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر مركز المقاصد للدراسات والبحوث.
الطبعة: الثانية سنة ٢٠١٤م.
عدد صفحات الكتاب: ١٧٥ من القطع المتوسط.

مقاصد المقاصد..

الغايات العلمّية والعمليّة لمقاصد الشريعة (١-٢)

عرض: محمود المنير

هذا الكتاب:

يمثل هذا الكتاب خطوة على طريق بيان الفوائد المتوخاة والأهداف المبتغاة من وراء معرفة المقاصد ونشر الثقافة المقاصدية؛ أي بيان مقاصد هذا العالم وما يقدمه من ثمرات وما يسده من ثغرات.

ومن هذا المنطلق صدر د. الريسوني كتابه الماتع على قلة صفحاته بعدد من التساؤلات والتخوفات المثارة حول ما أسماه بـ «المد المقاصدي» وأغراضه ومآلاته، وحول تأثيراته على استقرار الأحكام والثوابت الشرعية، ومنظومتها الفقهية الأصولية.

ومن تلك التساؤلات ما يأتي:

– هل اتباع المقاصد والتعليل بها سيعيد تفسير النصوص والأحكام الشرعية على نحو جديد مغاير لما عهدناه وورثناه؟

– هل مراعاة المقاصد ستؤدي إلى تجاوز النصوص الشرعية والتفلت من سلطانها، اكتفاءً بالمقاصد والمصالح، كما نجد اليوم عند بعض الكتَّاب والمفكرين والمفتين المقاصديين؟

– هل الدعوة إلى الاجتهاد المقاصدي تعني إلغاء اجتهادات العلماء السابقين؟

– هل عامة الناس أيضاً بحاجة إلى تعريفهم بالمقاصد وإقحامهم فيها؟ وهل هم قادرون على استيعابها والتعامل السليم معها؟

– أليس هذا مجرد بلبلة وتشويش لهم في دينهم؟ أليس هذا خروجاً عن قصد التعبد بالأحكام الشرعية والتسليم لها كما هي؟ دون سؤال أو تعليل؟

– وإذا كان المسلم ملتزماً بتكاليفه الشرعية على نحو ما جاءت به نصوص الشريعة وبينه الفقهاء، فماذا ستزيده هذه المقاصد في دينه وتدينه؟

– وإن قيل: إن المقاصد لا تغير من أحكام الشريعة شيئاً، فلماذا كل هذا العناء والادعاء؟ أليس في النصوص كفاية وغنية عما سواها؟

هذه التساؤلات وغيرها يجيب عنها د. الريسوني في هذا الكتاب؟ وكان دافعه الملح للإجابة عنها هو خوض الكثير من غير المختصين أو المختصين غير المؤهلين، أو المغرضين التحريفيين في استخدام المقاصد، والإتيان بالغرائب والعجائب من الآراء والنظريات والفتاوى

«المخرجة تخريجاً مقاصدياً»! حتى أصبح كثير من الناس يظنون أن الفتوى المقاصدية هي التي تتجاوز النص استناداً إلى المقاصد، وهي التي تستطيع إعفاءهم من بعض الواجبات وتسمح لهم ببعض المحرمات!

مقاصد المقاصد

لعل من المهم أن نلفت الانتباه لما ذكره الريسوني في مفتتح كتابه من أن أي شيء لم تُعلم مقاصده الحقة، أو لم تُراع ولم تُتَحَرّ عند استعماله أو التعامل معه، فقد ضاعت حقيقته وقيمته وفائدته، ولو بقي منه ما بقي، وهنا نستحضر كلمة الشاطبي: «المقاصد أرواح الأعمال»، وهذه الكلمة كما يقول الريسوني لا ينحصر مداها في مقاصد المكلفين ومقاصد أعمالهم، بل يشمل سائر المجالات، فروح القرآن مقاصده، وروح السُّنة مقاصدها، وروح الأحكام الشرعية مقاصدها، وروح التدين تكمن في مقاصده وفي تحقيقها ما أمكن.

وبناءً عليه؛ «فالفقه بلا مقاصد فقه بلا روح، والفقيه بلا مقاصد فقيه بلا روح، إن لم نقل: إنه ليس بفقيه، والمتدين بلا مقاصد تدينه بلا روح، والدعاة إلى الإسلام بلا مقاصد هم أصحاب دعوة بلا روح».

محتويات الكتاب:

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول طرقها شيخ المقاصديين د. الريسوني للإجابة عن الإشكالات والتساؤلات والاعتراضات التي سبقت الإشارة إليها، وذلك عبر الفصول الثلاثة التالية:

- **الفصل الأول:** مقاصد المقاصد في فهم الكتاب والسُّنة.
- **الفصل الثاني:** مقاصد المقاصد في الفقه والاجتهاد الفقهي.
- **الفصل الثالث:** المقاصد المعلية للمقاصد.

حقائق حول علم المقاصد

سطر د. الريسوني بعض الحقائق قبل الحديث عن مقاصد المقاصد في فهم الكتاب والسُّنة، ومقاصد المقاصد في الفقه والاجتهاد الفقهي، ومنها:

- ليس هناك مقاصد للشريعة سوى مقاصد الكتاب والسُّنة، وكل ما هو خارج عن نصوص الكتاب والسُّنة ليس له نسب فيها، فليس من مقاصد الشريعة في شيء.
- مقاصد الشريعة مبتداها الكتاب والسُّنة، ومنتهاها الكتاب والسُّنة، ومن لم يكن على هذا، فليس بسائر في طريق المقاصد الحقة، ولا هو من أهلها.
- مقاصد الشريعة لا مصدر لها سوى نصوص الشريعة.

المقاصد العامة للقرآن الكريم

تحت هذا العنوان في الفصل الأول تحدث د. الريسوني، مبيناً أن المقاصد العامة للقرآن هي تلك الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن، ويستدل عليها بمسلكين؛ هما:

- المسلك الأول: ما جاء التنصيص عليه في القرآن الكريم نفسه، من أغراض وأوصاف وتعليلات لهذا الكتاب الكريم وما أنزل لأجله، وما يتحقق بتلاوته واتباعه من نتائج وآثار وفوائد.
- المسلك الثاني: هو استقراء مضامينه وأحكامه التفصيلية واستنباط العناصر المشتركة الجامعة لما تركز عليه وما تدعو إليه.

وسرد الريسوني جملة من مقاصد إنزال الكتاب العزيز، كما هي منصوصة ومبثوثة في كل أنحاء القرآن الكريم:

- مقصد توحيد الله وعبادته:

قال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾) (هود).

- مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد:

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴿٩﴾) (الإسراء).

- مقصد التزكية وتعليم الحكمة، وفيه الآيات الكريمات:

قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾) (البقرة).

- مقصد الرحمة والسعادة، وفيه من الآيات البينات:

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾) (الأنبياء)، وقال جل شأنه: (طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾) (طه)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال:٢٤).

- مقصد إقامة الحق والعدل، ونجده في أمثال هذه الآيات:

قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد:٢٥)، وقال سبحانه: (وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾) (الأنعام)، وقال عز وجل: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿٥٨﴾) (النساء).

وساق الريسوني في هذا الفصل نماذج مختلفة لمقاصد القرآن الكريم عند العلماء منهم الغزالي، والمقاصد العشرة للقرآن الكريم عند الشيخ رشيد رضا، والذي اعتبره الريسوني من الذين توسعوا في الاستقصاء والبيان لمقاصد القرآن، وذلك في الجزء الحادي عشر من «تفسير المنار» عند تفسير أول سورة «يونس»، وذكر المقاصد الثمانية عن ابن عاشور في مقدمته الرابعة من مقدمات تفسيره لبيان مقاصد القرآن. ■

> أي شيء لم تُعلم مقاصده الحقة أو لم تُراعَ ولم تُتَحرّ عند التعامل معه فقد ضاعت حقيقته وقيمته وفائدته

> الفقه بلا مقاصد فقه بلا روح والمتدين بلا مقاصد تدينه بلا روح والدعاة إلى الإسلام بلا مقاصد هم أصحاب دعوة بلا روح

حوار مع شاب (٤)

القرار لمن؟

د. إيمان الشوبكي

انفردت به متعمدة في طريقه إلى المدرسة وسألته عن أحواله وأخيه الأصغر وأمه المريضة.

فقال: الحمد لله، قالها وهو مطأطئ الرأس.

فقلت: همك بادٍ على وجهك، لا يتجاهله مبصر ولا عاقل.

قال: والدي.

قلت: ألهذه الدرجة همّ الآباء دائماً مصدر حزن الأبناء والشباب؟!

قال: لماذا تلك الفجوة بينكم كجيلين؟

وأردف: المشكلة عندما تتلخص في القرار لمن؟

قلت: يعني..؟

قال: أنا أريد التخطيط لمستقبلي من خلال رؤيتي لنفسي وقدراتي، وأبي وأمي بل العائلة كلها أحياناً تتدخل في قراراتنا المصيرية التي هي من حقي.

قلت: وهل قراراتك المصيرية حقك وحدك؟

قال: حتى اللبس، يعلقون عليه يتدخلون في أسعاره وموديلاته.

قلت: من أي سن تعتقد أن يترك الأبناء لأنفسهم؟

قال وقد بدت الحيرة على وجهه: لا أدري، أعتقد أنها على حسب النضج والمسؤولية، ليست مرتبطة بشكل قطعي على السن.

قلت: وكيف تستطيع أن تقيِّم مستوى النضج هذا والمسؤولية؟

قال: أسئلتك صعبة!

قلت: الأصعب هو طلبات الأبناء أحياناً وما يطالبون بتنفيذه.

قال: لكن هي الحرية الشخصية في القرار.

قلت: أم الشعور بالاستقلالية؟

قال: هذا أو ذاك إحساس الشاب أن لديه مساحة كافية للاختيار، ولا يفرض عليه كأنه طفل لا يدرك مصلحته.

قلت: نعم، الاستقلالية مع المسؤولية.

قال: ماذا تعني؟

قلت: الطفل الصغير قد أعطيته بعض القرارات، لكن بدون تحمل للنتائج كاملة له، أما الشاب المسؤولية كاملة عليه، وجزء من النتيجة عائد على الأهل.

قال: مثل؟

قلت: لو أخذت قراراً مثلاً بالزواج من فتاة اخترتها أنت طبعاً لمواصفات ورغباتك دون النظر لأي اعتبارات أخرى.

قال: وهل في مثل هذا القرار اعتبارات غير تلك؟

قلت: سأجيبك بعد أن أوضح لك كم يكون الفرع متصلاً بالجذور مهما نضج وعلا وارتفع، فمازال يسقى من الجذور، ويطلق عليها اسم الجذور ذاتها، فأنت تحمل اسمهم وترث مستواهم الاجتماعي حتى تحركه أنت فيما بعد، والثقافي كذلك.

قال: الرجل بذاته.

قلت: نعم بذاته فيما يخص، وبالآخرين فيما يعم.

قال: وكيف يرث الشاب ذنب أو سمعة عائلته؟

قلت: هكذا الدنيا، أنت رجل بذاتك في صفاتك وأخلاقك وسلوكياتك وبعائلتك اسماً ونسباً.

قال: أليس هذا ظلماً؟

سألت: هل تستطيع أن تتزوج فتاة مجهولة النسب؟

قال مندفعاً: لا.

قلت: لماذا؟

قال متلعثماً: لا أعرف من أبيها وأمها ومن هي وكيف وضعهم.

قلت: هذا ما أقوله؛ الفرع من الأصل، لا تستطع فصله مهما حاولت، وارجع إلى سؤالك فما هو؟

> استقلالية الأولاد معارك صغيرة لإثبات الذات

المسؤولية والاستقلالية وجهان لعملة واحدة

> على المرء أن يراقب ويتابع نتائج قراراته ويتقبل النصيحة

الاستقلالية لا تعني الانفراد بالقرار فتقبُّل النصيحة أمر ضروري

قال: هل في قرار الزواج اعتبارات غير ما يحدده الشاب ويورده؟

قلت: بعد ما ذكرت اتصال الفرع بالأصل وارتباطه به، فهناك توافقات لا بد من مراعاتها حتى تضمن نجاحاً سعيداً وسريعاً.

قال: وما هذه التوافقات؟

أجبت: التوافق الاجتماعي والديني والثقافي والذكائي والمادي..

قال: كل هذا؟ ولماذا؟

قلت: لأنها ستضمن لك أو تمهد وتعبد لك الطريق نحو توافق وانسجام.

قال: وما دخل الآباء في هذا القرار طالما اخترت بناء على هذه التوافقات مثلاً؟

قلت: لا دخل لهم بعد ذلك فيما تختاره لأنه لك وحدك.

قال: إذاً هل يمكن تقسيم القرارات لمن فيها الحق أو لمن القرار في أمور كثيرة عند الشباب فهم ليسوا حكراً لأحد؟

قلت: بالطبع نحن حينما نقل ذلك لا يعني أننا نتحكم فيهم أبداً، إلا أننا سنتحمل معهم النتائج جميعاً حتى الإخوة.

قال: هل يعني الاستقلال بحياة وحدي أنني مستقل والقرار يكون لي وحدي؟

قلت: لا أظن لأنك..

قاطعني: هل سيظل الإنسان رهينة.

قلت: لم تدعني أكمل.

قال: تفضلي.

قلت: ستكون أنت الأصل وأولادك الفرع، فحتماً ستأخذ في الاعتبار وجود أناس يعيشون معك.

قال: ألم يكن الأصل له حرية أكثر في القرار المنفرد والأوحد أحياناً؟

قلت: نعم، لكن هب أنك أخذت قراراً بالخروج لمصيف مثلاً، وحينما أخبرت به أسرتك وجدت أن لديهم امتحانات، هل ستأخذ القرار أيضاً؟

قال: لا، حينما يكون القرار متعلقاً بالآخرين حتماً سيكون في عين الاعتبار ظروفهم، لكن لو قرار يخصني وحدي يخصني أنا وحدي فقط، أليس في هذا العالم شيء اسمه استقلال؟

قلت: بالتأكيد هناك، لكن لو قرار يخص عملك أكيد ستدرس الظروف التي تعيشها، لم يكن للغير قرار أو مشاركة واضحة مباشرة، لكن وجودهم في دائرة القرار مؤثر في حد ذاته على القرار.

قال: هكذا الدنيا، لا انطلاقة كما كنا نتوقعها.

قلت: هناك انطلاقة في حدود تقسيم من مؤثر في اتخاذ القرار، ومن سيتأثر، وكلما انعدم المؤثر والمتأثر كان القرار انفرادياً.

قال: نعم، لقد ارتحت الآن يا دكتورة بهذا المفهوم الذي تجاهله يجلب علينا الويلات مع آبائنا، ونظل في شجار دائم معهم بسبب تدخلهم في قراراتنا واختياراتنا؛ ظناً منا بدكتاتورية الآباء، وظناً منهم بالحرص على المسؤولية.

قلت: نعم، لكن هذا لا يعني أن هناك آباء يتدخلون بشكل كبير ومستفز بالفعل في حياة الأبناء، حتى إنهم يسلبونهم إرادتهم، أو يتركون أمرهم بالكلية جهلاً منهم بمعنى الاستقلالية مع المسؤولية ومتى تكون، وكيف تكون.

قال: إذاً القرار لمن؟ ليس له إجابة محددة للجميع.

قلت: نعم، هي ضوابط لمواقف مختلفة لأعمار وعقول متنوعة تحسب لكل منهم على حدة.

قال: أشكرك على هذا الحسم في أمور كانت شائكة مع والدي وضعت لها حلولاً ونقاطاً على الحروف حتى نقرأها مضبوطة.. شكراً لك.■

العقل السُّني العراقي.. وتحديات الوعي

بقلم:
محمد سالم الراشد

السُنة في العراق متفرقون وغير موحدين، ليس لديهم رؤية واحدة ولا مشروع حقيقي، ظلوا سنين تحت حكم «البعث»؛ فضاعت هويتهم وقدرتهم على التفكير وإرادتهم على التوحد، لم يكونوا على رؤية واحدة لمشروع متفاهم عليه أمام التحديات والمتغيرات التي حدثت بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م، لم تكن لديهم قيادة قادرة على استيعابهم وحشدهم أمام المتغيرات والتحولات التي نشأت أمام الدولة العراقية تحت الاحتلال؛ فانقسموا إلى ثلاث طبقات:

– طبقة حاولت أن تفهم الموقف بأن الأمريكيين هم الأقوى ويفرضون حلاً عسكرياً وسياسياً، ولديهم حلفاء محليون وقادمون من إيران، ولديهم حليف كردي قوي، ولديهم تجربة في الحكم الذاتي وإدارة الحرب؛ ومن ثم بادرت هذه الطبقة لمحاولة الانسجام مع المتغيرات الدستورية والسياسية في وضع دستور جديد، ولكن هذه الطبقة لم تجد في بادئ الأمر التأييد الشعبي بين السُّنة الذين كانوا أغلبهم يعارضون الاحتلال الأمريكي، ويعتقدون سهولة مواجهته، وأن الشيعة ما هم إلا قادمون مع المحتل ويسهل معالجة أمرهم، وقد حاولت هذه الطبقة السياسية إقناع القوى الشعبية السُّنية بجدوى المشاركة السياسية، ولكنها لم تفلح؛ مما سبب في إيجاد دستور غير عادل للسُّنة، وتم تفريغ المؤسسات المدنية والوزارات من السُّنة لصالح الشيعة والأكراد، وعندما رجع السُّنة للعملية السياسية بعدها كانوا متأخرين، إذ فُرض عليهم النظام الانتخابي غير العادل، ومكّن ذلك للشيعة والأكراد سياسياً وعملياً، وتم تشكيل الجيش العراقي من هاتين الفئتين على حساب السُّنة الذين خسروا مواقعهم في الدولة الجديدة بعد الاحتلال الأمريكي.

– الطبقة الثانية: وهي طبقة علمائية وعسكرية، رأت في وجود المحتل سبباً لمأساة العراق، فكانت الخطة العملية هي عدم تمكينه في العراق، فاتخذوا مقاومة المحتل سبيلاً، ونشأت جماعات مسلحة واجهت المحتل الأمريكي وحلفاءه، من هذه الجماعات كتائب العشرين وجامع وغيرها.

واستطاعت هذه المجاميع أن تتقدم نسبياً في المحافظات السُّنية، لكنها ووجهت بالعنف، واستطاعت «القاعدة» أن تسيطر على الأوضاع في المناطق السُّنية الملتهبة، ووجهت «القاعدة» ضرباتها على القوى السُّنية المقاومة وفرقتها، واستطاعت الدولة العراقية الجديدة وتحالفها مع الأمريكيين أن تحول صراعها ضد الإرهاب، والتي أقنعت المجتمع الإقليمي والدولي بمواجهتها بما يسمى بالتحالف ضد الإرهاب.

– أما الطبقة الثالثة: فهي طبقة البعثيين الموالين للنظام السابق، والذين ظلوا في مكمنهم الاجتماعي في الموصل والأنبار وبعض أجزاء من بغداد، ثم مؤخراً تحالفوا مع مجاميع «القاعدة» وتنظيم «داعش»، وهم ظلوا سبباً في تفكيك أي مشروع سُني سياسي أو مقاوم.

وتكرر المشهد المأساوي للسُّنة؛ «ساسة يعملون تحت إطار الدستور» غير متفقين على رؤية ولا سياسية موحدة، يفشلون في تحقيق مطالب الديمقراطية السُّنية، في حين يحقق الشيعة والأكراد ما يريدون في كل مرحلة، وسُنة ثائرون متطرفون أو مقاومون يدخلون في صراع مسلح مع الدولة التي يقودها الشيعة، ويكون الصراع في المناطق السُّنية؛ مما سبب دمارها بالكامل، وتفشل كل مرحلة، فالسياسيون السُّنة لم يحققوا أي نجاحات سياسية لإعطاء السُّنة حقوقهم المدنية والدستورية والاقتصادية، كما فشل حاملو السلاح في قدرتهم على حسم معاركهم؛ مما سبب دماراً لمناطق السُّنة وتسبب في هجرة سكانها وموتها اقتصادياً.

إن السُّنة في العراق عاجزون على التوحد في الرؤية والسياسة والقوة، ولا تستطيع أي دولة سُنية الاعتماد على أي طرف منهم؛ بسبب ضعفه منفرداً، أو أي كتلة سُنية؛ بسبب خلافاتها الجذرية، وعليه اتجه العقل السُّني في العراق إلى حالة من الانغلاق والانسداد، وقلة الحيلة، ثم بدأ هذا العقل السُّني إلى مزيد من التطرف في تحميل أي طرف يحاول إيجاد حل أو مخرج أو لتقليل المفاسد والخسائر فيحمله النتائج، ويتجه هذا العقل إلى شيطنة وتخوين الكل مع عدم قدرته على وضع الحل الواقعي.

وعليه؛ يمكن توصيف العقل السُّني العراقي في هذه المرحلة بما يلي:

أولاً: يعتمد العقل السُّني العراقي على محصلة العلم الشرعي دون الاعتماد الحقيقي على قدرات علم الواقع في الجيوستراتيجية، وفهم العلاقات الدولية، والتحصن بالاقتصاد والعلم الاجتماعي، فتقدير الواقع مرده إلى العقل المتخصص وليس العقل الشرعي؛ وبالتالي فإن نقصان القدرة على تحليل الواقع أدى إلى سوء تقدير الموقف؛ حيث اعتمد الموقف على تحليل النظر الشرعي والحمية الدينية، وعزة النفس وترك الاعتماد على التحليل الواقعي الذي يقتضي وجود العقل الإستراتيجي والواقعي الذي يدرس موازين القوى، ويصنع

التتمة (ص١٩)